جواهر الكلام
في عقايد اهل الإسلام
تاليف
عبد الكريم المدرس
في الحضرة القادرية
غفر الله له ولسائر المسلمين آمين
بغداد
1414ه - 1993م

تـــنـــبـــيـــه

- **تم إعادة تنضيد الكتب وتدقيقها لمرة واحدة على الأقل، الرجاء التماس العذر في حال وجود بعض الأخطاء والمساعدة في تصحيحها إذا أمكن وذلك عن طريق التواصل عبر الايميل (** muhmaz@gmail.com**) او عن طريق الواتس اب (**0097336610249**).**
- **للحصول على آخر تحديث على الكتب يرجى تحميلها من قسم "الوصلات الخارجة" في صفحة المؤلف على موسوعة ويكبيديا حيث ستتوفر الروابط لأحدث النسخ (** https://tinyurl.com/yvt2s8pm**).**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله   على رسوله ومصطفاه

محمد وآله[1] وصحبه[2]   وكل تابع له من بعده

<3>

[1] قول النظام (وآله): آل الرجل نسله ورهطه الاقربون، وخصه الرسول بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم بمؤمني بني هاشم وبني المطلب في حديث تحريم الصدقات الواجبة عليهم، وقد استعمل لكل مؤمن تقي من أمته صلى الله عليه وسلم، كما استعمل بمعنى جميع أمة الإجابة له، أي المؤمنين به صلى الله عليه وسلم.

[2] قول الناظم (وصحبه): اسم جمع لصاحبه صلى الله عليه وسلم: وهو من اجتمع مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وسلم ومات على الإيمان، ولم يشترط فيه طول الصحبة ولا الجهاد معه ولا الرواية عنه، ولا عدم تخلل المانع للدين في الحياة، فالمؤمن به، ثم المرتد، ثم المؤمن بعد ذلك، من الصحابة، وهم أشرف جميع امة الاجابة لظاهر قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (البقرة/110) وآيات أخرى كآية: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح/29) وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾. (الفتح/18) وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (التوبة/100) وكذلك تدل عليه احاديث عديدة. وعلى ذلك استقرت الأمة الإسلامية فلا مجال للريب فيه بأقاويل باطلة تحكى، فان كل ذلك لا قيمة له عند هذه النصوص الواضحة. فرضي الله تعالى عنهم وعمن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

وبعد: فاعلموا بأن ماهنا   فضل من الله أتاكم بالهنا

أصولنا في اعتقاد الدين   حجتها آدلة اليقين

أساسها نص كتاب الله   وسنة المولى رسول الله

وعلمها فرض على المكلف   وحفظها سهل بلا تكلف

منظومة من درر ثمينة   قلادة الرقبة الأمينة

أبياتها ألفان مع كسور   أرجو بها العفو عن القصور

واسمها (جواهر الكلام)   في اعتقاد ملة الاسلام

دثار فضل وشعار الشرف   وسام خير خلف للسلف

والله أرجو نفعها للدين   لي ولكل طالب أمين

وجعلها كسوة فضل فاخرة   لي ولهم بين أنام الآخرة

فإنه الموفق المعين   وفضله معمم مَعين

وبابه فتح بالإحسان   للملَك والجن والإنسانِ

مائدة الإنعام عمت الامم   عدوُه يدخل يأخذ النعم

فكيف لا السائل مرتقب   خادم مولاه الرسول العربي

صلى عليه الله بالدوام   وآله وصحبه الكرام

ما بسطت موائد الانعام   علي براياه بفيض عام

لقبها: (علم الكلام)[3] وكفى   دأباً لأصحاب الخلوص والصفا

<4>

موضوعه [4]المعلوم[5] مما علقا   باعتقاد المسلمين مطلقا

الذات والصفات والملائك   والرسل الكرام في الممالك

والكتب التي تنزلت الى   رسله بفضله جل علا

---

[3] قول الناظم (لقبها علم الكلام): قال: لقبها، لأن اللقب ما أشعر بمدح أو ذم، وهذا اللقب يشعر بمدحه، بأنه علم يورث لعالمه قوة في الكلام الحق لرد المبطلين وإرشاد الطالبين، ولأنه قرر أهل التحقيق أن اسماء العلوم: أعلام شخصية، حيث وضعت لمجموعة معينة من المسائل. ثم إن من العلماء من قال: ان اسماء العلوم وضعت لمسائلها، وهي قضايا كلية، مثل: كل فاعل مرفوع، وكل مفعول به منصوب في النحو، وهكذا، ومنهم من قال: إنها وضعت للتصديق بتلك المسائل. ومنهم من يقول: إنها وضعت للملكة الحاصلة من تكرار التصديقات.

[4] قول الناظم (موضوعه): موضوع كل علم ما يبحث في ذلك العلم عن عوارضه الذاتية، فإن الكلمة موضوع، وجميع مسائل النحو يبحث عن عوارضها وأحوالها، ولو بالواسطة. فان قول النحوي: كل فاعل مرفوع، لفظ الفاعل يدل على اسم استدلالية فعل أو شبهه، والاسم قسم من الكلمة فعاد البحث الى الكلمة.

[5] قول الناظم (المعلوم): اختير هذا لأنه يشمل جميع ما وقع موضوعاً في مسائل علم الكلام من ذاته تعالى وصفاته والملائكة والانبياء والرسل والكتب واليوم الآخر والقضاء والقدر وسائر ما يقع الاستعمال له.

واليوم الآخر وكالقضاء ... والقدر المقرون بالرضاء

وغيرها من كل معلوم جرى ... مربوط اعتقادنا كما نرى

تعريفه بجملة لطيفة: ... علم بذي العقائد الشريفة

اكتسبت من الأدلة التي ... تفيدنا اليقين دون شبهة

غايته[6] اولا اطمئنان ... لكل من في قلبه إيمان

<5>

[6] قول الناظم (غايته): غاية الشيء ما يترتب عليه. وبما أن غاية مسائل الكلام الاعتقاد بها لا شيء آخر، يقال: إن غاية مسائل الكلام هي انفسها، دون الفقه وأمثالها، فإن غايتها غيرها، كالعمل في الفقه وحفظ اللسان عن الخطأ في النحو وهكذا. وعلى ذلك فالغايات المذكورة هنا من غايات الغايات، لا نفس الغاية الأساسية التي هي الاعتقاد.

وثانيا تعليم كل طالب   مسترشد في الحق ساع راغب

وثالثاً رد لكل ملحد   معاند لديننا ومفسد

حسب نصوص الدين واستدلال   نقلاً وعقلا قدر المجال

ورابعاً الفوز بالسعادة   وهذه عاقبة العبادة

نفعنا الله به بالرحمة   فإنه ولي كل نعمة

<6>

بيان أسباب تأليف علم الكلام وغيره من العلوم

يعلم كل مؤمن بالله أن حسبنا ديناً كتاب الله[7]

إذ فيه أمر بإطاعة له كذا إطاعة لمن ارسله

<7>

[7] قول الناظم (أن حسبنا دينا كتاب الله): خلاصة ما فيه أن مرجع الدين الاسلامي اعتقاداً وعملاً: الكتاب والسنة النبوية، والإجماع، والاستدلال من المجتهدين.
وفي القرآن الكريم كل ذلك. فان فيه الأمر بطاعة الله تعالى واطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وإطاعة أولي الأمر من الأئمة المجتهدين، وأمراء الحكم العادلين. وإن حصل نزاع بين المسلمين فالمرجع كتاب الله، وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفيه الأمر الضمني باتباع إجماع المؤمنين في قوله الكريم: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (النساء /115) وأكد ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: ((إن أمتي لا تجتمع على ضلالة)) (رواه ابن ماجه) وبقوله: ((الجماعة رحمة والفرقة عذاب)) (رواه أحمد بن حنبل). وفيه الأمر بالعمل بالاجتهاد في قوله تعالى: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ (التوبة/112) وأكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((اذا حكم الحاكم واجتهد واصاب فله اجران واذا حكم ثم اخطأ فله أجر واحد)) رواه البخاري ومسلم وغيرهما. واستقر على ذلك أمة الإسلام.

فكل حكم ديني يدل عليه الكتاب بإحدى دلالاته الأربع أو السنة كذلك، وما أجمع عليه ولو إمامان مجتهدان، وما ثبت بالاجتهاد من المجتهد، فهو من دين الاسلام. وأما البدعة الشرعية التي سميت بدعة وضلالة، فهو ما خرج عن الأدلة الأربعة، وما اشتهر بين الناس ان ما لم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بدعة قول باطل، فانه وإن كان بدعة بالمعنى اللغوي لكنه ليس بدعة شرعية، وإلا لزم أن يكون جمع القرآن الكريم وتدوين السنة النبوية وانشاء المدارس وأبنية الفتوى والقضاء، أو تأليف العلوم التي تتوقف عليها معرفة الكتاب والسنة بدعة وضلالة، ولا يقول بذلك إلا الجاهلون. فخذ واعمل بمقتضاه تكن من الراشدين.

كذا إطاعة أولي الأمر وهم ... من لإدارة الوري عينهم

وفيه تقرير للإجماع على ... حكم لدين الله حسبما انجلي

كذاك تقرير للاجتهاد ... من أهل فقه حائز الرشاد

وفيه احكام[8] الشريعة التي ... جاء بها الرسول طبق الحكمة

والله قد خوّل في البيان ... رسوله الينبوع للعرفان

وهو قد بين بالإمكان ... جميع ما يحتاج للبيان

ففهم الناس وقد تعلموا ... وعلموا الأناس حكما يلزم

أتَوا بما توقف الأمور ... عليه مما ناله الشعور

من صدر الإسلام الى زماننا ... صيانة لمقتضى إيماننا

من علم الاعتقاد بالأصول ... وبالفروع شرعة الرسول

وسائر الفنون مما قد أتي ... تأليفه من عالم تثبتا

---

[8] الأحكام التي شرعها الله تعالى اما اصلية واعتقادية، والغاية منها الاعتقاد بها. واما فرعية وعملية، والغاية منها عمل المكلف بها مثل: الصلوات الخمس واجبة.

نحواً وصرفاً به لغة، بلاغة	وغيرها مما ترى ابلاغه
فما أتَوا ببدعة في العرف	اي عرف الاسلام ولو بحرف
لأن بدعة الهوى هي التي	خرج مبناها من الأربعة:
كتاب ربي، سنة الرشاد،	اجماع امة، والاجتهاد،
فان ديناً خالداً في العالم[9]	وجامعا وثابت المعالم

[9] قول الناظم (فان ديناً خالداً في العالم): يعني انه لما ثبت عياناً وبرهاناً ان ادلة الدين عبارة عن الكتاب والسنة والإجماع والاجتهاد، اتسع المجال لأهل العلم العادلين أن يخدموا هذا الدين في جميع جهاته بالتأليف والتفسير والتعليم والبيان، ولذلك لما رأى سيدنا علي بن ابي طالب اختلاط العجم بالعرب، والعرب غير العرباء بالعرب العرباء، وكثير منهم لا يعرفون لغة القرآن الكريم إعراباً وبناءً ومادته اشتقاقاً، بدأ بتأليف علم النحو، وعاونه في ذلك أبو الأسود، واستمر ذلك وزاد الناس عليه الى أن وصلت العربية الى القمة. وألّف الناس علم الصرف لمعرفة بناء الكلمات: جموداً واشتقاقا، وألّفوا علم البلاغة لمعرفة النكات التي بني عليها العلم ببلاغة القرآن، وعلم اصول الفقه المعرفة الأدلة التي بني عليها الفقه والاستنباط للأحكام الشرعية، وعلم اصول الدين لمعرفة العقائد الاسلامية على ضوء أدلتها. والّفوا علم المنطق لمعرفة طرق التعاريف والبراهين المثمرة للنتائج بوجه سليم. وعلم المناظرة لمعرفة الحق من الباطل من الأنظار فكل ذلك مما يتوقف عليه فهم الكتاب والسنة بالوجه الكافي. وعدم حاجة أهل عصر الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك لأمور:
منها: اكتفاء الناس ببيان الرسول بالوجه الكافي الوافي السهل السليم.
ومنها: عدم استعداد الأميين لمعرفة الاصطلاحات والامور التي لم يسبق لهم العلم بها.
ومنها: اشتغالهم بالأهم الأهم، أعني الجهاد لبث التوحيد، وارشاد الانام إلى أصل الاسلام الى غير ذلك... فلا تصغوا إلى الجهال المنكرين لهذه العلوم، فان المرء عدو لما جهل.
وكذلك علينا واجبات كفائية كثيرة مما يتوقف عليه أمر الاسلام والمسلمين ادارة واقتصاداً واجتماعاً وغيرها. وعليك بمراجعة الكتب الفقهية كشرح الروض والانوار، حتى يظهر لك الحق الحقيق بالقبول.

لا يقبل الميل الى الجمود فيما يُري موافق الحدود
يجتهد الأهل للاستنباط في الرد والقبول لانضباط
وكيف ينصاع الهدى الى الهوى ولا يرد قول مفسد غوى؟
حضر درس الحسن البصري[10] التابعي العارف العصري
من لقي الصحب الى خمسمائة واهل علم فئة على فئة
طلبة مستكشفون للغطا وفيهم الواصل وهو ابن عطا

[10] قول الناظم (حضر درس الحسن البصري): قال ابن القيم رحمه الله تعالى: توفي الرسول صلى الله عليه وسلم عن عدد كثير من اهل الاجتهاد والفتوى من الصحابة الكرام يبلغ عددهم مئة وثلاثين أو نحوها، وكانوا يعلمون الصحابة الدين اعتقاداً وعملاً على ضوء الكتاب والسنة وما عندهم من المواهب الروحية الموافقة للدين. ونشأ من التابعين كثيرون. مثل الحسن البصري الذي يقال انه رأى خمسمائة صحابي. وابي ادريس الخولاني في الشام وغيرهما من العلماء، وكان الحسن يدرس من حضر عنده في البصرة وحضر عنده واصل الغير الواصل، فأظهر مفاسد على ما ذكروا، فطرده الحسن عن مجلسه فصار رئيس المعتزلة.

وكان يأتي بشذوذ اللغوه ... يجعل فوق زبد حق رغوه

فرده الإمام رداً بملل ... وقال: وقد خرج عنا واعتزل

فراح يسعى في الورى حول الفتن ... حتى ابتلى الناس بذاك وافتتن

أتتهم النفس مع الشيطان ... بموجبات البغي وافتتان

لاسيما في الذات والصفات ... وانحرفوا عن ظاهر الآيات

بعذر عدل الله[11] والتوحيد ... قد أوجبوا الصلاح للعبيد

---

[11] قول الناظم: بعذر عدْل الله الى آخر الابيات: يعني أن الفرقة الاعتزالية تشبثوا بأذيال الفلاسفة وجاءوا بعقائد فاسدة في الواقع. فبعذر أن الله تعالى عدل اوجبوا عليه رعاية ما هو الأصلح للعباد. ولم يمعنوا النظر في أن العدل هو رعاية الأنصاف بين متخاصمين لم يكونا مملوكين للحاكم. وان الله تعالى مالك جميع الكائنات، احيائها وجماداتها، ثم لم ينظروا ما معنى الوجوب على الله، ومن هو الموجب عليه.

وبملاحظة توحيد الباري نفوا صفاته السبع لأنها قديمة ويتعدد بها الواجب الواحد ولم يعلموا أن الفاسد هو تعدد الذوات القديمة لا وجود الذات القديم مع صفاته. فان ذات الواجب الكامل لا يتصور بدون صفاته الكمالية، وكذا صفاته الكاملة لا تتصور بدون قيامها بذات الواجب، وان الأوصاف ليست اعتبارية فحسب بل معان قديمة قائمة بذاته لكنها من لوازم الذات، فلا مجال للكلام فيها بانها عين للذات او غيرها كما ستنكشف لك.

و نفوا علم ذات الباري بالجزئيات بحجة أنها لا تعلم بغير الحواس المادية، وقاسوا الغائب على الشاهد ولم يتفكروا في أن الله تعالى قادر على خلق العلم في الممكنات بالحواس، وهو متصف بالعلم بها بصفته الذاتية التي لا تشبه صفات غيره تعالى.

ونفوا ارادته للشرور بحجة أن أرادة الشر شرٌ وجب تنزيهه تعالى عنها، ولم يعلموا أن الشر هو اتصاف الذات بالشر لا بإرادته في غيره لحكمه كخلق النار المحرقة، والماء المغرق وارادته لاحتراق اشياء بالنار، واغتراق اشياء بالماء.

ونفوا قدرة ذات الباري على مثل مقدورات البشر بحجة أنه يلزم توارد المؤثرين اذا اجتمعا وبمخالفة مقدور البشر المقدور الله اذا تفارقا. ونفوا كلام الباري واتصافه به قديماً وحديثاً إلا بخلق الاصوات في الهواء والأشجار بحجة أن الكلام مركب من الأحرف المتعاقبة المنافية للقدم، واعتمدوا على قياس الباري تعالى على الحوادث ولم يتفكروا في أن الباري تعالي حي بدون البنية، عالم بدون جهاز القلب، وسميع وبصير بدون آلات السمع والبصر.

وانكروا رزق الناس من الحرام اذا أتاهم من الله لأن خلق الحرام حرام ولم ينظروا في أن الخلق غير الاكتساب والأكل والشرب.

ونسبوا الخلق والايجاد للعباد، ولم يتفكروا في أن الخالق لابد له من علم بما يخلقه، وان العبد ليس بعالم بما يعمله وانما هو كاسب ومدرك لاكتسابه.

وعددوا الأجل بحجة أن الشاب لو لم يقتل لبقي سنين ولم يعلموا أن الأجل هو الوقت المعلوم لانتهاء حياة الحي أينما كان وكيف كان فلا يتعدد ابداً، وأخرجوا المؤمن من ايمانه ان لم يتب بحجة ان الايمان هو التصديق مع الصيانة عن المعاصي أو التوبة عنها، ولم يتفكروا في انه يلزم فقدان المؤمن في العالم إلا ما شذ من المعصومين.

واوجبوا العقاب على العصاة بحجة رعاية العدالة والثواب للمحسنين كذلك. وانكروا الشفاعة للشفعاء بحجة انها تدعو الانسان الى المعاصي على امل الشفاعة، وان العفو بعد الاجرام خلاف العدالة ولم يتفكروا في أن الإثابة والعقاب من خاصة ذاته وليس لأحد علاقة فيهما وان العاصي ربما لا يتصور

وجود الشفيع في المستقبل عند إقدامه على ما يكتسبه من الجرم كما لم يتفكروا في أن قبول الشفاعة فضل ورحمة من الله، كاعطاء الاموال والأولاد والمراتب والجاه للإنسان في العالم، وكذا لم ينظروا الى النصوص الدالة على وجود الشفاعة لمن أذن له الرحمن.

وقد نفوا صفات ذات الباري   للاكتفاء بالوصف الاعتباري

وخالفوا ظواهر النصوص   والوصف أمر ثابت خصوصي

<12>

وعلم ذات الحق بالجزئي   إلا بوجه شامل كلي

نفوا ارادته للشرور   وبالغوا كالجاهل المغرور

كذا نفوا قدرة ذات الحق   في مثل مقدورات نفس الخلق

نفوا كلام الله بالإطلاق   إلا بخلق لصوت في الافاق.

نفوا صفة سمعه والبصر   بعذر فقدان جهاز البشر

وانكروا الرزق من الحرام   بعذر الامتزاج بالآثام

على خلاف نص ما من دابه   لم يَرزق الخونة الكسّابه

ونسبوا الايجاد للعباد   في العمل الصالح والفساد

وعددوا آجال ذي الحياة   بالطبع والهجوم للآفات

واخرجوا المؤمن من إيمانه   إن لم يتب عن كابر عصيانه

وأوجبوا العقاب للعصاة   كذا الثواب لأولي الخيرات

اذ أوجبوا الأصلح للعباد   لخالق المبدءِ والمعاد

وانكروا شفاعة الشفيع   لمن أتى بالعمل الشنيع

وانكروا عذاب قبر العاصي[12]   اذ ليس للميت من حواس

وانكروا الحساب والميزانا   والجسر والمرور مهما كانا

<14>

[12] قول الناظم: وانكروا عذاب قبر العاصي، أي بحجة أن الميت عبارة عن جسد هامد جامد ليس له حس ولا حركة فكيف يعذب لاسيما كثير من الأموات تأكله السباع او تبلعه الحيتان او تحرق ويذر غباره في الجو. ولم يعلموا أن الروح باق وخالد الى وقت البعث والنشور وبعده الى الابد وإن الجنة والجحيم داران للخلود. كما لم يعلموا أن الجسد البرزخي مقدور للباري تعالى بأن يخلقه ويتعلق به الروح فيتعذب الميت او يتنعم فيه. كما لم ينظروا في أن الملك المأمور بالوحي قد ينزل على الرسول بالجسد الإنساني.
وكذلك انكروا الحساب في الآخرة بحجة أن الله عالم بالأعمال فلا وجه له، وان الميزان يوزن به الاعيان لا الأعمال، ولم يعلموا أن الموازين كثيرة وليست منحصرة في ميزان الباعة للمواد.
كما أنهم انكروا الجسر والمرور عليه بحجة أن المرور عليه ممتنع عادة ولم يعلموا أن الناجين يعبرون كالبرق وما دونه وان الهالكين يقعون في جهنم من الجسر، والجسر شبكة اهلاكهم وإيقاعهم فيها.
وشرح هذه الأمور يحتاج الى زمان، وأسباب هذه الاختلافات كثيرة، منها أو اهمها: ضعف ايمان الجيل البعيد عن التابعين الكرام وضعف علميتهم بسبب ضعف حركة التعليم، ومنها: تعود الناس على بقايا عقائدهم الفاسدة السابقة.
ومنها وجود الاختلافات السياسية لاسيما في وادي العراق وما جاورها، ومنها إلقاء جمع كثير مختف بين المسلمين من الحاقدين على الإسلام. ومنها ضعف اهتمام الأمراء بناحية الدين بسبب انشغالهم برياساتهم وسياساتهم.

وغيرها مما يطول ذكره ... ودخل الشيطان فيهم مكره

فافتَتَن الناس بهم ومالوا ... لاسيما الفُسّاق والجهّال

فضل من ضل غوى من قد غوى ... لا غرو أن قد ركبوا على الهوى

فمرت الأيام في تلك الردي ... ما اقبح الفتنة مع طول المدى

فأوصلوا الغبار والبخارا ... الى سماء الصحو في بخاري

وطيروا للمغرب الغرابا ... لا واحداً بل سيروا أسرابا

فوقع المسلم في تزلزل ... من أسفل الوادي الأعلى الجبل

حتى اتى الزمان للجبائي[13] ... ابي عليٍ مقتدى الأهواء

<15>

[13] قول الناظم حتى اتى الزمان للجَبائي: وهو كان رئيس المعتزلة في البصرة في أيام أبي الحسن الأشعري، وهو كان طالبا عنده وعلى عقيدته حتى نازعه وغلب عليه، فاعلن رفضه وترك الاعتزال ورجع للسنة. وهو من أحفاد أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل الذي تولى قضاء البصرة أيام الخليفتين الراشدين عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما.
في كتاب (تبيين كذب المفتري) لابن عساكر الدمشقي الصحيفة 34 قال: أخبرنا الامام ابو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي الحافظ، قال: رأيت في كتاب أصحابنا: ابو الحسن علي بن إسماعيل بن اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري انتهى.
وقد ولد في البصرة في مئتين وسبعين وتوفي بعد ثلثمائة واربع وعشرين للهجرة. وقد درس على أبي علي الجبائي وكان على عقيدته، ولكنه وقع في قلبه أن الجبائي خارج عن السنة، وانه ينشر البدع والأهواء، وبينما هو كذلك إذ وقع بينهما نزاع ومناقشة في وجوب رعاية الأصلح، فسأله عن الاخوة الثلاثة كما في شرح العقائد للتفتازاني، فغلبه أبو الحسن وبهت الجبائي. ثم اعلن تركه لاعتقاد ابي علي الجبائي وتمسكه بظاهر النصوص من الكتاب والسنة. ودعا المسلمين الى اتباع الحق فنصره الله تعالى على المعتزلة كافة، وتبعه المسلمون ثم هاجر الى بغداد، واخذ ينشر عقيدته المشهورة بعقيدة ابي الحسن الأشعري، الموافقة للكتاب والسنة. فكان عموداً عظيماً لبيت الاسلام، وتوفي في بغداد ودفن في مسجد يظهر بالعلامات انه المسجد المعروف بالقبلانية، القريب من الجسر عند جامع الوزير والآصفية رضي الله تعالى عنه آمين.

فقام في رد ضلال المفتري … أمامنا ابو الحسن الأشعري

الزمه وبهت الذي فسق … وعاد روح الفؤاد من صدق

الزمه بقصة الاخوان … فاخزي الفتان في الخلان

واشتهرت صيحة هذا العالم … وانتشرت الى علا العوالم

فانتقل الإمام بالشرافة … الى مقر صاحب الخلافة

بغداد دار الخير والسلام … مجمع أوليائه الكرام

فاجتمع الناس الكرام حوله … وأيدوا فكرته وقوله

فارجع النصوص للحقايق … فسرها لهم بوجه لايق[14].

<16>

[14] قول الناظم: فارجع النصوص، الى آخره: يعني أن الإمام أبا الحسن الأشعري رضي الله عنه التزم ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه من الكتاب والسنة وطبقوها حسب تقسيم الباري تعالى للآيات الى المحكمات والمتشابهات، فعمل بظواهر المحكمات ما لم يكن هناك مانع من التخصيص والتقييد والنسخ وغيرها، وترك المتشابهات وآمن بها وبمعانيها وفوض تأويلها الى الله تعالى على ظاهر الوقف على كلمة الجلالة، ولم يحملها على ظواهرها، فخرج بذلك عن التعطيل وعن التجسيم وعن نسبة كل شيء لا يناسب مقام الباري تعالى اليه، وذلك دأب السلف الصالحين. ومن ادعى انه قال بالتجسيم وغيره من مناسبات التجسيم فقد افترى عليه، فهو تكلم مرات فيها بقوله: بلاحد ولا كيف، أي أن تأويلها راجع الى الله تعالى. وعليكم بمطالعة كتاب (تبيين كذب المفتري) لابن عساكر الدمشقي رضي الله عنه.

فعادت الآيات للأحكام
وسدَّ باب خلل الأحكام

ابقى جميع المحكمات للهدى
على معانيها كما له بدا

والمتشابهات قد سلمها
بما من الحكمة قد ألهمها

سلم معناها ولم يعطل
فوّضها لله لم يؤول

لكنه قال بلا كيف وحد
لا يعلم التأويل غيره احد

ومن يرى خلاف ذا للأشعري
يرده (تبيين كذب المفتري)

من طالع التبيين قد تبينا
عقيدة الإمام حقاً بينا

سعى الامام الاشعري للدين
بينه كأصله الأمين

على الذي كان عليه المصطفى
وصحبه الكرام اصحاب الصفا

ونور العالم باعتقاد
موافق لمنهج الرشاد

هو الذي فسر دين الرحمة
بما يفي عصور كل الأمة

دعا الى توحيد امة النبي
في اعتقادها بحسن الأدب

وحصر السبب في بقاها
بحصره الكرم في تقاها

حصر عمره على التأليف
منتصراً لدينه الشريف

جدد دين المصطفى في عصره
اخرج اهل دينه من عسره

فاشتهرت عقيدة المرء السري
باسم عقيدة الامام الاشعري

ولد بعد مائتين معها
خمس وسبعون فما أرفعها

توفي الإمام في بغداد ... على دوام السعي في الارشاد

وفاته عام ثلاثمائة ... وأربع عشرين حسب الهجرة

مدفنه الشبيه بالجنان ... متصل بجامع القبلاني

فاضت على قبره بالدوام ... رحمة ذات الملك العلام

كذا بدا في مشرق الأنوار ... ذات ابي المنصور بافتخار

فملأ المشرق من نور الهدى ... احسن به في المنتهي كالمبتدا

مولده بلدة (ماتريد) ... عند سمرقند بلا ترديد

من علمه الواسع في الاسلام ... قد استفاد غالب الانام

عليهما رضوان رب العالمين ... جزاهما عن الهدى للمسلمين

وبعد ذا نبدء بالمقاصد ... على نظام للحديث الوارد

ايماننا التصديق[15] بالرسول ... محمد ذي الجاه والوصول

>18<

---

[15] قول الناظم: (ايماننا التصديق الى آخره) مما ينبغي معرفته ان هناك أمور مهمة:

الأمر الأول: الفرق بين معنى الإيمان لغة وعرفا وشرعا. فاعلموا أن الايمان مصدر باب الأفعال، من الأمن، ومعناه لغة: جعل الغير أميناً من المكروه مطلقاً، ثم نقل في العرف العام إلى جعل الغير أمينا من التكذيب، ونقل شرعاً الى امن الرسول صلى الله عليه وسلم من التكذيب، فيما جاء به من الله تعالى وتصديقه فيه، ففي لفظ الايمان نقل الى العرف العام ونقل الى الشرع.

الأمر الثاني: ان الإيمان بمعنى التصديق علم، وهو من الكيفيات النفسانية التي لا اختيار لنا فيها، فالتكليف من الله تعالى به تكليف بكسب مقدماته التي يحصل هو منها، كالنظر في الأنفس والآفاق للإيمان بوجود صانع واجب الوجود. والنظر في أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وافعاله ومعجزاته للإيمان بأنه رسول من الله تعالى، كما أن التكليف بالصحة تكليف برعاية اسباب الصحة وشرب الدواء النافع عند الأمراض. وعلى ذلك فمعنى آمنوا بالله: انظروا في الأنفس والآفاق لتؤمنوا به، ومعنى آمنوا بالرسول: انظروا في اخلاقه ومعجزاته لتعلموا أنه رسول من الله تعالى، وعليه فاذا حصل للانسان ايمان وتصديق بلا اختيار فلا يصير المؤمن به مؤمنا حتى يرجع الى نفسه ويتبين له صدق الرسول مثلا في ما جاء به، لكنه لما كانت تلك الصورة نادرة جدا لم ينظر إليها مع انه كل من حصل له الإيمان موهبة يدوم معه مكسبة ايضا، فتبين ان الايمان تصديق واذعان علمي كما في التصديق المنطقي، ولكن المعتبر ما هو مكتسب للمؤمن.

الأمر الثالث: إن هذا الاذعان العلمي لا يكفي في تحقق الايمان شرعاً إلا بشروط:

الشرط الأول: مقارنته للإذعان الفعلي والتسليم والرضا، والقبول النفسي من المؤمن لما علمه من صدق الرسول، ولذا عطف الله تعالى التسليم عليه وقال:

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾(الأحزاب/22) فلو صدق شخص بالرسول ولكن عارضه نفساً فهو باق على كفره كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل/14).

الشرط الثاني: عدم اظهار المؤمن لأي قول او عمل يدل على الاستنكار ظاهراً، كتحقير شأن الرسول والرسالة أو القرآن الكريم أو شعار من شعائر الدين المبين كما يستفاد ذلك من الآية المذكورة وغيرها.

وانما اكتفى في تعريف الايمان بالتصديق فقط وقالوا: الإيمان هو التصديق

في كل ما جاء به من ربه مفصلا أو مجملاً في بابه

مفصلاً في ما أتي مفصلا ومجملاً فيما أتانا مجملا

<19>

بما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأن التصديق هو الاساس المهم، وان الغالب أن كل مصدق به يسلم بالقلب ما أتى به إلا اذا كان هناك عناد ومعارضة كما بين بعض أهل الكتاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم.
الشرط الثالث: تلفظ القادر بالشهادتين، وذلك لإجراء احكام المسلم عليه، فمن قدر على التلفظ ولم يتلفظ بدون مانع اعتبر كافراً. والدليل على أن هذا الاقرار شرط للإيمان وليس ركناً له، أنه يسقط عند وجود المانع من الخوف عن ظالم كافر، كما في قوله تعالى: ﴿إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾(النحل/106)٠
واما الأعمال فليست داخلة في حقيقة الايمان، لأنها امور كثيرة سلباً وايجاباً، أي تركاً للمحرمات، وإتياناً بالواجبات. فاذا اعتبر كلها فلا يوجد ايمان إلا من المعصومين. واذا أعتبر بعضها لم يكن هناك ضابط يعتمد عليه. مع العلم أن وجود الايمان في القلب لا ينفك عن بعض الأعمال التي عليها مدار الاسلام، وإن اختلف ذلك باختلاف الناس في قوة الايمان وضعفه، فعدم الإتيان بالأعمال مطلقاً يدل على عدم وجود الايمان فيه، والمحدثون المعتبرون لكون الأعمال جزءً منها لهم مسامحة عن النظر الدقيق لما قلنا آنفاً.
واما قول من قال: إن الإيمان هو الإقرار بالشهادتين لاكتفائه به صلى الله عليه وسلم، فهو مبني على المسامحة بما يمكن العلم به حيث لا يعرف ما في القلب إلا الله، ولان المقر اذا بقي عندنا ولازم أدابنا حصل له كمال التصديق.
الأمر الرابع: قبول الإيمان للزيادة والنقص لأنه كما علمت انه التصديق وللتصديق مراتب:
منها: الظن، ولا يكتفي به للإيمان ابدا، فان الظن لا يغني عن الحق شيئا لخلوه عن الجزم.
واما مراتب التقليد واليقين فهي كثيرة مختلفة من التقليد مع دليل أو دليلين. ومن علم اليقين او عين اليقين الحاصل به الاطمئنان وذلك واضح جداً.
وما اشتهر من أن بعض الأئمة قال بعدم قبوله لهما، أراد أن الجزم الذي يحصل به الايمان كاف فيه، فلا حاجة إلى الزيادة في درجاته، والدليل على ما قلنا آيات ظاهرة كثيرة، نحو ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (الأنفال/2).
الأمر الخامس: معرفة النسبة بين الايمان والاسلام، حتى نعرف النسبة بين المؤمن والمسلم. فاعلم ان الايمان هو التصديق، وهو علم وكيف نفساني، والاسلام تسليم، وهو فعل من أفعال النفس، فهما متباينان ذاتا ومفهوماً، ولكنهما بينهما عموم وخصوص من وجه بحسب التحقق، لوجود الإيمان والاسلام من شخص له التصديق والتسليم. وافتراق الايمان عن الاسلام في كتابيّ له التصديق علماً برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حسب ما في كتب الأولين، ولكنه خال عن التسليم والقبول لرسالته لوجود العناد والاستكبار فيه، وافتراق التسليم عن الايمان في شخص يقبل ما جاء به الرسول حسب التقليد الصرف بدون اي علم ومعرفة، وإن كان هذا النوع

بالله والملك والرسل البشر والكتب والبعث وبالقضاء قدر

والنطق بالشهادتين يعتبر القادر إذ به ايمان ظهر

<20>

نادر جداً، لكن لما كان الغالب على الحال أن المؤمن العالم متصف بالقبول والتسليم، وان اهل التسليم والقبول عالمون ومصدقون، يقال: انهما متساويان في الوجود، كما يظهر من قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(الذاريات/35).
الأمر السادس: هو أنه لما كان الإيمان في الشرع عبارة عن التصديق لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في ما جاء به من الله تعالى، وأهمه التوحيد الله تعالى.. علم قطعا ان إيمان المؤمن الناطق بكلمتي الشهادتين لا يوجد مع الإشراك ولا مع أي نوع من الكفر، لأن ذلك التصديق جاء للبراءة المطلقة من تلك المفاسد الاعتقادية.
وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ نازل في جمع من المشركين يريدون جمع الإيمان بأصنامهم مع الإيمان بالله، فنزلت الآية الكريمة ردعا وزجرا لهم عن تلك الدعوى الفاسدة، والإيمان في قوله ﴿وَمَا يُؤْمِنُ﴾ إيمان لغوي، وليس الإيمان المعتبر في عرف الشرع، فدعوى وجود الاشراك في المؤمنين الموجودين في عصرنا بشبهة بعض الأوهام.. دعوى باطلة فاسدة لا أصل لها. صرح بذلك العلامة السعد في شرح العقائد التفتازانية. على أن من يفكر في الجملة الأولى أو الثانية من كلمتي الشهادتين علم أن المؤمن بريء من الإشراك مطلقا، لأن الجملة الأولى معناها لا معبود إلا الله، إذ لا خالق إلا الله، والخالق هو المعبود بالحق، ولا واجب في الوجود إلا الله، لأن غيره تعالى من الممكنات ففيها التوحيد في العبادة والخالقية ووجوب الوجود. وتؤيد كل ذلك الجملة الثانية لأن الاعتراف برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - معناه الاعتراف بكل ما اتي به من الله تعالى.

شرط لإجراء الامام العام   عليه حكم الدين في الاسلام

وسره أن جميع ما استقر   اصلاً وفرعاً فيهما قد استتر

<21>

إن لم يكونا هكذا لم يتركا   من مكره لخوفه توركا

والعمل المشروع بالإيجاب   أو ندبه الآتي على الصواب

<22>

وترك ما حرم من اعمال   ونحوه الآثار للكمال

لو كانت الأعمال من اركانه   لقلَّ مؤمن علي امكانه

لكن علينا أن نرى الإيمانا   يجب أن يقارن الأسلاما

يعني به التسليم والقبول   لكل ما أتى به الرسول

ايماننا التصديق وهو علم   اسلامنا فعل رضاء سلم

والفرق بين العلم والفعل لدي   اهل العقول أظهر مما بدا

وعطف تسليم على الإيمان   حجتنا في آية القرآن

كان اليهود يعرفونه كما   قد عرفوا أباءهم بلا عمى

وجحدوا واستيقنت أنفسهم   بانه في الانبيا اقدسهم

يومي بطرْف عينه العرفاني   (مقاصد السعد) لذا البيان

وضابط الايمان عقد جازم   لازم[16]

<23>

---

[16] قول الناظم: وضابط الايمان الى آخره: يعني أن المعتبر في التصديق هو العقد الجازم، سواء كان برهانياً او بديهياً او تقليدياً، فلا عبرة بالظن، لأنه اذعان راجح لا جازم.
ومما ينبغي أن يعلم ان الانسان اذا وصل الى حد الرشد، فإما ان يكون رشيداً او سفيهاً لا يفهم، فان كان الأول فأول واجب عليه معرفة ربه وخالقه، لان معرفته اساس كل ما يتوجه اليه من التكاليف، اعتقاداً وعملاً فيجب عليه النظر في مقدماتها حتى تحصل له.
ومن الناس من يساعده التوفيق واللطف ومواهب الباري تعالى فيصل الى درجة من معرفة ربه كأنه يراه عياناً، بحيث يكون وجود الواجب تعالى المتصف بالكمال المنزه عن النقص نصب عين بصيرته، فيجعل وجود ذاته تعالى بهذه الصفات دليلا على أن الكائنات من خلقه وآثار قدرته، وهذه درجة الانبياء والمرسلين، ومن أراد الله أن يقربه إليه فيجعله من اصفياء عباده.. ومنهم من لا يصل الى درجة المواهب هذه، ولكنه يوفقه ربه للاستدلال بالأنفس والافاق فيجاهد للوصول إلى معرفته وكسب مرضاته، فيوصله ربه إليها، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت/69). أي إن الذين سعوا في الوصول الى الحق وجاهدوا حق الجهاد، لنوصلنهم الى الأفكار والاعمال والأخلاق المرضية التي تعين السالك في الوصول إلينا، وهذه درجة الاعيان من العلماء العاملين واهل الطاعة والتقوى الواصلين، وبين الفريقين فرق واسع، ولكل درجات بعضها ارقى من بعض، كما قال تعالى هذا المفهوم بآيات في شأن الرسل والاصفياء من عباده.
ومنهم من ليس موهوباً ولا مستدلاً مكتسباً بل يكتفي بتقليد الناس في اعتقاده. فهذا الصنف أن لم يحصل له العقد الجازم في دينه فلا يعتبر مؤمناً، مادام له قابلية الاستدلال ويتركه للاكتفاء بالتقليد. ومن وصل الى العقد الجازم اعتبر مؤمناً ثابت الايمان لكنه يعصي بترك الاستدلال مع القدرة عليه، فقول من قال: لا عبرة بإيمان المقلد، محمول على القسم الأول، أو محمول على انه عاص بترك الاستدلال، وأما ايمانه فثابت، وهذا خلاصة ما ذكروا هنا.

يكون من موهبة المنان   أو اكتساب لذوي العرفان

للجزم حقاً درجات تخلص   يزيد ايمان بها وينقص

وقد يُرى الجزم من التقليد   من عاقل لمؤمن رشيد

من منع التقليد لا يعول   عليه، أو كلامه مؤول

مادام الايمان كذا في الشرع   فامنعه مع شرك بمنع قطعي

فالآية الدالة في القرآن   على وجود الشرك مع ايمان

كما أتت في يوسف ذي الجاه   ﴿ما يؤمن اكثرهم بالله

إلا وهم﴾ وبعد هذا ﴿مشركون﴾   ايمان اهل اللغة وذا يهون

في وصف جمع مشرك يُعاني   ايمانه بالله مع أوثان

كانوا يريدون مع الله الأجلّ   إشراك لات أو مناة أو هبل

فكان ايمانا علي عرف اللغة لمشركين انهمكوا في دغدغة
وليس ذا في عرفنا المجيد والدين فيه خالص التوحيد
قد صرح السعد به في شرحه عقيدة للنسفي أحِسن به
فاين تذهبون أيها اللغاة تفسيرها روحُ المعاني بلّغا

الاحسان

احساننا لمن له الاخلاص وفي تقى الله له اختصاص
ان تعبد الله كأن تراه[17] علي خلوص العبد من مولاه
إن لم تكن تراه بالعيان فانه يراك كل آن
دائرة الإيمان جدا واسعة[18] وكل دورة بحق نافعة
ولاية في كل دورة له مع الإله فانتبه حقاً له
ادنى الولايات بأصل دينه ولو يقارن كدراً في حينه

---

[17] قول الناظم: أن تعبد الله كان تراه: اشارة الى الحديث الشريف الوارد في الاحسان جواباً لجبريل عليه السلام.

[18] قول الناظم: دائرة الايمان جداً واسعة، وقوله: ولاية من كل دورة له، اشارة الى فوائد جليلة في الموضوعين، وخلاصة ما في المقام ان الدين الاسلامي الحنيف اعتقادات واعمال، فالاعتقادات من اصول الايمان ومما لا يعلمه إلا الله، واجمالها: الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر، ودرجة الاخلاص وهي ان تعبد الله بلا تردد ولا دغدغة في وجوده الواجب كأنك تراه، فان لم تكن تراه بعينك فانه يراك ولا تغيب عنه ابداً.
وأما الأعمال فأركانها الأصول الخمسة المفسرة بالشهادتين، والصلوات الخمس في كل يوم وليلة، وصيام شهر رمضان من كل سنة، واعطاء زكاة المال، وحج بيت الله الحرام.
وأما فروعها الحسنة فلها ميدان واسع، كما في الحديث الشريف: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها كلمة (لا اله إلا الله) وأدناها اماطة الأذى عن الطريق)) (رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه) أو كما قال، ثم انه ينتج من الدين اصلاً وفرعاً واعتقاداً وعملاً ولاية العبد لربه تعالى، ومحبته له تعالى، ولها درجات اربع:
الأولى: الايمان بالله تعالى وبسائر ما يجب الايمان به، وإن كان مع مقارنة بعض الأمور غير المرضية من الذنوب، ذلك لان الايمان اعظم نور في قلب الانسان يهتدي به الى مرضاة الله، ويشير اليها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ (المائدة/55).
الثانية ولاية ثابتة للمتقين الذين يتقون عن الكفر ويدخلون في الايمان، ويتقون عن الذنوب الكبائر والإصرار على الصغائر، ويدخلون في العدالة، ويتقون السفاسف والدنايا، ويدخلون في مقام الثبات والتمكين، ويشير اليها قوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾(الانفال/34).
الثالثة: درجة اهل الاستقامة الذين يستقيمون في السراء والضراء وحين البأس ويصبرون على العلة والذلة والقلة، والذين لا يخافون في الله لومة لائم، وهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ومن نزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾(فصلت/30).
الدرجة الرابعة: درجة الانبياء والمرسلين الذين في مقام الحضور وعدم الغفلة عن الله دائما، ولهذا البحث مجال واسع.

وفوقه ولاية بالتقوى   إن أولياؤه أتى بالفتوى

وفوقه ولاية استقامة   من استقام فاز بالسلامة

وفوق ذا ولاية الحضورِ   وعدم الغفلة بالشعور

<26>

والسابقون السابقون منهم ... فلا تكن في الغافلين عنهم

حديث من نصره بالرعبة ... مقرر له ماة شعبة

أعلى الجميعِ جملة التوحيد ... والباقي من عمله الرشيد

يحوي جميع ذلك الموفِّقُ ... والله سبحانه هو الموفِّقُ

فلا تكن من منكري الحقايق ... وجاهدن لها بوجه لايق

مظهرة الاسلام ذو أركان ... أولها منها الشهادتان

نشهد بالقلب وباللسان ... شهادة تليق للإنسان

﴿ان لا اله﴾ واجبا وجودا ... وخالقاً لعالم معبودا

لعابد يسعد من تقواه ... في كل ظرف الدهر ﴿إلا الله﴾

﴿واشهد ان محمداً﴾ بدا ... وهو ﴿رسول الله﴾ في نشر الهدى

الى جميع الانس والجن كما ... بمعجزاته الجلية عُلما

وهو ابن عبدالله عبدالمطلب ... من هاشم شريف عَجمٍ وعرب

وأمه آمنة بنت وهب ... عبد المناف زهرة ذوي حسب

والثاني منها الصلوات الخمس ... مفروضة حتى حوانا الرمس

ثالثها صيام رمضان بحق ... في كل عام طبقاً على طبق.

رابعها زكاة مال الاغنياء ... للمستحق خالصاً دون ريا

خامسها الحج لبيت الله ... وعمرة خالصة لله

آدابنا في ديننا مقررة ... اعدادها تصل ثنتي عشرة

التفصيل في الآداب

وإذ أخذت مجمل المرام ... فأَصغ للتفصيل في الكلام

نؤمن بالله الكثير الجود ... خالق كل ممكن موجود

معبودنا المخصوص بالعبادة ... عبادة تفيدنا السعادة

صفاته كاملة مبشرة ... نفوس مؤمن بها مستبشرة

منها الوجود صفة نفسية[19] ... اقرهـا قـوم أولـو شخصـية <

---

[19] قول الناظم: منها الوجود صفة الى آخره، تصريح بما قرره علماء من ان صفات الباري عشرون، أولها: الوجود وهو صفة نفسية، يعني انه يدل على نفس ذات الباري بدون أي شيء آخر، وخمس منها صفات سلبية، وهي: الوحدة والقدم والبقاء والاستغناء عن ما سواه ومخالفته له، فالوحدة عدم تعدده ذاتاً، لا إله إلا الله، وصفةً، أي لا صفة لأي موجود تماثل صفاته، وفعلاً، أي لا تأثير أبداً لمن عداه، وكل ما يرى مما يتوقف عليه شيء عادة فهو من الأسباب العادية، جرت عادته تعالى بخلق الاشياء معها، فهي أسباب عادية، لا وسائط عقلية فان الله تعالى خالق بالاختيار لا بالإيجاب وبالذات لا بالواسطة.

والقدم معناه: لم يسبق عليه العدم، ووجوده أزلي.

والبقاء معناه: لا يلحقه العدم ووجوده أبدي.

والاستغناء عن الحوادث معناه: انه القيوم القائم بذاته المقيم لغيره، المستغني عما سواه. وهذا معنى الصمدية له تعالى، ومخالفته للحوادث معناه: أنه لا يكافئه ولا يماثله ذاتاً أو صفةً أو فعلاً أحد.

وسبعة منها صفات ذاتية مشهورة بصفات المعاني، وهي: الحياة والعلم، والقدرة، والارادة، والسمع، والبصر، والكلام، وهي أوصاف ذاتية موجودة للحق بالحق بدون اعتبار. واتصاف ذاته تعالى بها تسمى بالصفات المعنوية، وهي كونه تعالى حيا عليما قديراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً.

وتسمى معنوية، لأنها أمور اعتبارية معنوية، وليست أموراً موجودة، ولكن منشأ انتزاعها وهو الله الواجب الوجود موجود، وتنتزع هي من اتصافه بصفاته الذاتية، فهي اعتبارية واقعية، وليست أموراً مخالفة للواقع كون الامي كاتباً به وكون الابيض اسود احتمالاً واعتبارا، فالاعتباريات قسمان: قسم اعتباري واقعي، لأنه انتزع من أصل ثابت وهو صحيح ثابت، وقسم اعتباري صرف، صرح به الخطيب في حاشيته على المطول، وغيره في مواضع شتى.

ورمزوا إلى صفات المعاني بجملة: ((أحق سبعك)) ترمز الالف للإرادة، والحاء للحياة، والقاف للقدرة، والسين للسمع، والباء للبصر والكاف للكلام. وتدل على جميع صفات المعاني والصفات الوجودية والسلبية سورة

لكن عده من الصفات	لا يرتضي عند أولى الثبات
اذ الثبوت أمر اعتباري	ومبدأ الأثار ذات الباري

<29>

الاخلاص. فكلمة الجلالة ((الله)) تدل على الذات الواجب الوجود، الموصوف بصفات المعاني. و((أحد)) على الوحدة. والصمدية على الاستغناء، لأنه يؤول إلى معنى المرجع لكل شيء، وجملة لَمْ يَلِدْ إلى البقاء لأن الحاجة للولادة لغرض بقاء الممكنات الخاصة. وجملة لَمْ يَلِدْ للقدم، والباقي لمخالفته للحوادث.

أي لأنه إذا أريد من الوجود معنى الكون والثبوت، فهو أمر اعتباري وليس من الحقائق، وإن أريد به الوجود بمعنى المبدأ للآثار فهو نفس ذات الباري لا صفته، فتأمل.

فالحق أن ليس من الأوصاف ... كما بدا عند اولي الانصاف

له صفات خمسة سلبية ... بها سلوب النقص والرّديّة

وحدته قدمه بقاؤه ... عن كل ما سواه استغناؤه

عدم مثليته لغيره ... اذ ما سواه طالب لخيره

وله سبعة من المعاني ... (أحق سبعك) رمزها للعاني

حياته وعلمه إرادته ... وقدرة تظهر منها سطوته

كلامه وسمعه وبصره ... يبدو بها كماله وأثره

حيّ عليم ومريد وقدير ... متكلم سميع وبصير

واتصاف ذاته العلية ... بها صفات له معنويه

ككونه حياً عليما شائيا ... وقادراً فكن لها مراعيا

بها نري صفاته عشرينا ... فكن بها من المبشرينا

ولنتكلم حسب الأوصاف ... اذ بحثها نورٌ القلب صافي

وجوده الواجب ذو الكمال ... منزه عن العيوب خالي[20]

وذات ربي ازلي أبدي ... مبرء عن حاجة لأحد

وحدّه لا يحتويه من احد ... ولو سعي الآن إلى مد الأبد

وانما المعلوم منه رسمه ... افعاله آثاره واسمه

وجوده بذاته قد وجبا ... بستر غيب عن سواه احتجبا

ادراك كنه ذاته عز وجل ... أو وصفه في الامتناع قد دخل

<31>

---

[20] قول الناظم: وجوده الواجب الخ: اشارة بل عبارة عما قال المحققون من أن الوصول الى معرفة كنه ذات الباري تعالى ممتنع، لأنه ليس فيه تركيب من جنس وفصل، وما به الاشتراك وما به الامتياز، ولا طريق الى تحديده، والجزئي لا يحد، وانما يعرف بالآثار، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾(فصلت/53). وبهذا المنهج أي الاستدلال بما في الأنفس والآفاق وصل إلى معرفتِهْ من وصل، والعاقبة التصور بالجزم، والايمان بوجود ذات واجب الوجود موصوف بالكمال، ومبرأ عن النقص.
وليس العجز عن إدراك كنه الباري معناه عدم الوصول الى معرفته سبحانه وتعالى، لأن كثيراً من الحقائق لا تعرف الا بالفوائد والآثار، فان من دق عليك الباب وتكلم علمت منه انه الانسان الموجود وراء الباب، ومع ذلك لا تعرف أحواله واخلاقه وآثاره ؛ وذلك لان الباري تعالى من حيث الوجود أزلي لا سابق عليه وابدي لا يأتيه العدم، والعقل المنتهي المحدود لا يصل الى معرفة ذات موصوف باللاإبتدائية واللاإنتهائية.
ومن العلماء من قال: إن العجز عن ادراك ذاته تعالى متعسر وليس متعذراً. والتعذر بالنسبة الى العامة أي الذين لم يفتح الله تعالى عليهم باب المعارف الربانية وإلا فالإدراك سهل لمن هو اهل.

اذ كشف كنه الأزلي الأبد   ممتنع لممكن محدد

ودرك محدود للامحدود   ممتنع في فكرة المسعود

لكن آثار وجوده السري   معلومة مكشوفة للبشر

في نفسه كذاك في الآفاق   عند التفكر السليم الراقي

إذ حاجة الممكن للإيجاد   واضحة لصاحب الرشاد

ومن بإيجاد سواه استقل   لاشك ذات واجب عز وجل

ألا فالإبصار لما لا ينتهي   من منتَهٍ ليس لدي منتبه

فاين منتهٍ من اللامنتهي   واين إدراك لنا ندرك به

فمنتهى إدراكنا المحدود   انه ذات واجب الوجود

والعجز عن ادراك كنه الواجب   كمالنا وارفع المراتب

وقد يفيض الرب بالإحسان   على القلوب نور الاطمئنان

ألا بذكر الله تطمئن   قلوبنا ودونه تَئِنُّ

رب أَفِض نور الهدى علينا   ليطمئن قلبنا لدينا.

الاستدلال على وجوده تعالي

وان ترد شيئا من الدليل[21]   على وجود ذاته الجليل

فأولاً دلالة الآثار   عليه من تقايس الأنظار

[21] قول الناظم: وإن ترد شيئاً من الدليل الى آخره، يعني ان في إثبات وجوده تعالى أدلة كثيرة، منها خطابية اقناعية، ومنها براهين، وتفيد العلم قطعاً.
فمن القسم الأول: الاستدلال بالآثار على وجود الصانع المختار. فان من نظر الى صناعات المحترفين كالخياط والزراع والنجار يستدل بنفس آثار اعمالها على وجود أصحابها. وبحسنها وجودتها على قابليتهم ومهارتهم فيها. فمن هذا الباب يفيد النظر في العالم العلوي وكواكبه والشمس والقمر ودوران الأمور على نظامها، وفي العالم السفلي من الهواء والرياح والبحار والأنهار والجبال والصحاري، وما فيها من المعادن والمتابع والمنافع على وجود صانعها العليم الخبير كما قال الأعرابي في جواب سؤال عن وجود الباري ما نصه: (البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام على المسير، فأرض ذات فجاج، وسماء ذات أبراج، ألا تدلان على اللطيف الخبير).
ومن جهة أخرى يرى الإنسان أن الحقائق الامكانية المحسوسة والمعلومة كلها مسخر لخدمة تعود الى الانسان او غيره من الحيوانات والسخرة للخدمة شأن الخدم والعبيد، لا شأن الخالق والسيد. فتدل هذه الأمور أيضاً على وجود خالق عليم خبير. والى هذه الاشارة بقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ...﴾ الآية (53/فصلت). بل من تفكر في نفسه وجسده وهيكله واعصابه وعروقه ومعدته وشراايينه والقوى المودعة فيها انتقل ذهنه الى الايمان، والعلم بوجوب ذات العالم الصانع الخالق الخبير.

زراعٍ أو خياط او نجار
كل له من صنعه آثار

فالعالم المنتظم المرتب
والشمس والقمر ثم الكوكب

تلك البروجِ العاليات الحسنة
دورتها المعلومة المستحسنة

والبحر والأنهار والمنابع
وهذه الخيرات والمنافع

ألا تدل عند عقل سالم
على إله خالق للعالم

وثانيا نرى بهذا العالم
مسخراتٍ خدمة للآدمي

فقد نرى المجموعة الشمسية
قد سخرت بجذبة قدسية

للدورة اليومية الغريبة
او سنوية لها عجيبة

كل مسخر لخدمة البشر ... او غيره على نظام استمر

ولا يكون خالق بخادم ... بل آمر ناهٍ لأهل العالم

وثالثاً العالم المشهود[22] ... اما جميعاً واجب وجود

أو بعضه الواجب اما الباقي ... فممكن عدمَه يلاقي

أو كله الممكن يقبل العدم ... مثل الوجود لهما فيه القَدَم

والأول الباطل أننا نرى ... أن الفنا على كثير قد جرى

كذلك الثاني خيال باطل ... ولا يراه أهل فهم عاقل

فبقي الثالث وهو أنه ... كله ممكن وذا موجّه

واحتياج ممكن للخالق ... حقيقة من أظهر الحقائق

إذ ممكن مؤثر في ممكن ... كميت لميت مؤمِّن

<34>

---

[22] قول الناظم: وثالثها العالم المشهود: اشارة الى ادلة برهانية قطعية على ثبوت ذات الصانع الواجب الوجود المتصف بالكمال، المنزه عن النقص، بان تستدل وتقول: العالم إما جميع اجزائه واجب الوجود ويمتنع عدمه، واما جميعها ممكن الوجود والعدم. واما بعضها واجب وبعضها الآخر ممكن.
والشق الأول باطل بالبداهة، فان ما نجده ونحس به يفنى أو يتبدل بغيره، وما لا نجده مماثل له.
وكذلك الشق الثاني، اذ لا فضل لبعضها على الآخر، حتى أن بعض الناس لما صعدوا إلى القمر واخذوا بعضا من اجزائه وجدوه لا يمتاز عن سائر المواد الأرضية القابلة لما يقبله الآخر، فلم يبق إلا الشق الآخر وهو أن كل اجزائه ممكن والممكن لإمكانه محتاج إلى المؤثر الذي يرجح أحد طرفيه من الوجود أو العدم على الآخر، وهذا المؤثر هو الواجب الوجود ولا يحتاج إلى غيره.

وإن تظن بالهوى تسلسلا[23] تشخُّص المجموع ذاك ابطلا

فكله يحتاج الى المؤثر مؤثر من عيب الامكان برى

علاوة ذلك الذي قد وجدا اليك يا موجود كان عددا

بالفرد أو بالزوج حتما ينتهي فينتهي الكل لدى المنتبه

ولست محتاجاً الى التطبيق صعب عليك موجب التدقيق

فانحصر الممكن في حدٍ يري وفوقه الواجب خلاق الوري

<35>

---

[23] قول الناظم: وان تظن بالهوى تسلسلاً: بيان لدفع ما يتوهم أن الممكنات لا تحتاج الى المؤثر الواجب لأنها سلسلة تؤثر السابق في اللاحق وهكذا، فلا حاجة إلى الواجب.

وحاصل الدفع أن الممكن في حد ذاته بالبداهة محتاج إلى المؤثر الاستواء طرفيه ذاتا. وإذا توهمت تأثير السابق في اللاحق فقل في إبطاله: بأن تلك السلسلة كل جزء منها ممكن، فالمجموع ممكن، فكيف يكون موجوداً بدون الصانع، والحال أن تأثير الشيء في نفسه وفي غيره مستحيل ؟

وعلاوة على بطلان الاستغناء عن المؤثر، فوجود السلسلة اللامتناهية من الممكنات باطل ؛ لأن المجموع متعدد، والعدد إما زوج فيكون أقل من عدد أزيد منه بفرد، وإما فرد فيكون أقل من عدد زوج فوقه، فينتهي قطعاً.

وأيضاً إن المجموع الموجود لابد له من تشخيص. إذ لا وجود بدون التشخص، واللاتناهي للأجزاء مانع عن التشخص. وبهذا يبطل التسلسل قطعاً، ويؤول الأمر إلى الاعتراف بالخالق الواجب، الفرد الموصوف بالكمال، الا له الخلق والأمر فتبارك الله.

إن قلت هذا العالم الموجود[24] معقوله محسوسة المشهود
براً وبحراً وهواء وسما وكوكباً شمساً حزاماً أنجما
تجمع أسباب الحياة كلها ماءً وقوتناً ونعيماً جُلها
وقد وجدناها على بقاء وقد سمعناها من الآباء
فما هو المانع من أن يعتبر كواجب يخلق كل ما قدر
قلنا: نرى بالعقل وصف الخلق أمراً مهماً ثابتاً بالحق
له شعور الحال والمآل وقدرة وَهَيْبَةَ الجلال
لا يقبل التحويل والتبديلا ولا تناهيا ولا تحليلا
وذلك العالم فيه النقص والزيد والتبديل رفع رخص
تبدل الصنف بصنف آخر تبدل الهواء بماء فاتر
تبدل الماء بأرض من تراب وفيه كون وفساد بحساب

<36>

[24] قول الناظم: إن قلت هذا العالم، وقوله: قلنا نرى بالعقل: بيان لتوهم من توهم أن العالم المحسوس هو المؤثر في وجود ما يتفرع من ودفعه.
وحاصل الدفع: أن هذا العالم مركب من أجزاء متساوية في وصف الإمكان، وقابلية الحدوث والزوال والكون والفساد، وهذه الأجزاء مثل الكل لا فرق بينهما في ذلك الوصف، والقابل لعروض العدم والفناء لا يليق بوصف كونه واجب الوجود بذاته، بل من خارج مؤثر فيه، وذلك لأن ذلك العالم المركب من الأعيان والأعراض، وتلك الأعراض كلها حادثة، بعضها بالعيان، وبعضها بعروض العدم عليها، وما لا يمكن وجوده بدون الحوادث ولابد يكون حادثاً، فان المحتاج في البقاء إلى العوارض، والمحتاج في الوجود والتحقق إلى الحوادث.. حادث ؛ لأن الوجود والبقاء صفة الصانع الكامل في حد ذاته، والمحتاج في الوجود والبقاء الى الحادث حادث بالبداهة.

قد أخذ الناس من أجزاء القمر … فلم يكن فرق لها مع الحجر

والكشف بالعلم يرى في الشمس … ضعف أشعة نشا عن نقص

وكل ذي التبديل والتحويل … تراه مثل عاجز عليل

من لم يكن ذا قوة في ذاته … كيف يسوّي مقتضي نياته؟

شخصه[25] … والنوع باقٍ مستمر نفسه

قلت: وذاك عندنا موجود … وجامد مسخر مشهود

والجامد الخالي عن الشعور … كيف يكون ناظم الأمور

والخلق يحتاج إلى الإدراك … لنظم امر الارض والافلاك

مجموعة شمسيه بِاسْتمرار … تدور حول الشمس في المدار

والارض منها ولها مدار … من دورها ذا الليل والنهار

ومثلها الكواكب السيارة … على الدوام جملة دوّاره

هل دون خالق له نظام … تظن دورة لها دوام؟

<37>

---

[25] قول الناظم: إن قلت قصدي، وقوله: قلت وذاك عندنا موجود: إشارة إلى بقاء المتوهم على توهمه وتحريره لمراده مما توهمه مع رده أيضا.
وحاصل التحرير ؛ أن مرادي بتأثير العالم في أجزائه تأثير نوعه المستمر، فإن الأرض تتبدل بالماء والماء بالهواء، والهواء يعود ويتبدل بالأمطار، وهكذا. والنوع موجود مستمر لائق بالتأثير في الحوادث.
وحاصل الرد: أن ذلك النوع عبارة عن مادة علوية وسفلية، تتبدل صورتها النوعية، وهي في حد ذاتها من الجوامد، أي من الأمور التي لا شعور لها. فلا يليق بالخلق، وإيجاد أمور متناسقة نظامية تُعجِبُ الناظر المستبصر فيها، فوجب الاعتراف بوجود صانع للكل، واجب وجوده، وعالم بالأمور، وقادر على كل ممكن من الأمور.

إن ينقلب وهمك للطبيعة[26]	فتلك أخزى بدعةٍ شنيعة
فان تكن من عرض فلا يرى	دون محل مستقر جوهرا
أو جوهراً مادياً أو مجرداً	فلا يرى دون كمال أبدا
والكامل الموصوف بالكمال	منحصر في ذات ذي الجلال
ولا تُسمّ ذاك بالطبيعة	بل هو رب حسن الصنيعة
وقل بدون الريب واشتباه	إنك أنت الحق يا إلهي

<38>

---

[26] قول الناظم: إن ينقلب وهمك للطبيعة: بيان الحقيقة ما أراده المتوهم ودفعه. وحاصل ما أراده منه هو أن مقصودنا من العالم المؤثر ليس الأجزاء المادية المستمرة، بل طبيعتها الواقعية المتمكنة من التأثير بالإيجاد والابداع، والتنظيم للأمور المترتبة وليست هي من المواد. وحاصل الدفع أن تلك الطبيعة إما عرض قائم بالغير، أو عين وقائم بالذات. فإن كانت الأول، فهي محتاجة إلى ما يقوم به وجوده قبلها، فكيف يكون خالقاً لما تقدمها ولغيرها وهي محتاجة ؟
وإن كانت عينا قائمة بنفسها، فإما أن يكون ناقصة في الصفات الكمالية من الحياة والعلم والقدرة والإرادة وغيرها، وإما متصفة بها، فإن كانت ناقصة فيها فتوهم كونها مؤثرة من نقص العقل، وإن كانت كاملة ومتصفة بالصفات المالية، فليست الا ذات الواجب الوجود الموصوف بالكمال، وأنت سميتها بالطبيعة من عدم نظرك إلى اسم جليل جميل يليق بذاته تعالى وهو الله تعالى جل شأنه العظيم.
ومما أعجبني ما قاله بعض العلماء في هذا الموضوع بوجه سهل سليم، فقال: بالعين المجردة نحس بالحركة للأجرام وللشروق والغروب، والحركة صفة قائمة بالمتحرك، ولابد للمتحرك من محرك له كيف كان. ولا يجوز أن يكون بلا شعور، لأن النظام المستمر لا يمكن من عديم الشعور، فوجب الاعتراف بوجود محرك عالم قادر يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو الله تعالى.

أقسام الكفار

من لم يكن يري[27] إلها كاملا		فهو سفيه سَمِه (معطلاً)
وذاك راكب على متن الهوى		وتاه في دور الضلال وغوى

<39>

[27] قول الناظم: من لم يكن يرى، بيان لتقسيم الكفار بذات واجب الوجود، وحاصله: أن المكلف إما أن لا يسند العالم إلى الخالق مطلقا فهو معطِّل - بالكسر - أي جعل العالم عاطلاً عن الصانع. وإما أن يسنده إلى ما يتوهمه من طبيعة العالم نفسه، وهو يسمى بالطبيعي، لإسناده له إلى الطبيعة والحقيقة الثابتة من الأشياء. فإن الطبيعة بمعنى الثابتة. وذلك الكافر لا يرى شيئاً ولا يعتبر إلا هذا العالم المحسوس، وقد يسمى بالدهري، لإسناده له إلى الدهر، بمعني الزمان المستمر الذي يعتقده مؤثراً. وقد يسمى بالزنديق، نسبة له إلى الزند. وهو كتاب مستوثق عند الفرس في سالف الأيام، فأبدلت إحدى الياءين بالقاف، ثم حرفوا ذلك الكتاب، فآل دينهم إلى اللادينية.
وأما من اعترف بواجب الوجود واشركه الأصنام والأوثان، فيسمى مشركاً. بصيغة اسم الفاعل، من باب الإفعال، لإشراكه غيره تعالى معه في التأثير، بإسناد الآثار العلوية إلى الله، والآثار السفلية إلى الأوثان. أو بقوله باشتراكهما في إيجاد كل مخلوق، مع العلم أن ذلك الكافر إذا اعتبر واجب الوجود خالقاً وجب عليه أن يكتفي به، إذ لا حاجة مع وجوده إلى غيره، ونشأ من هذه العقائد الفاسدة أمور وعقائد فاسدة يطول شرحها.
وأما من قال بواجب واحد متصف بالكمال منزهٍ عن النقص فهو مؤمن موحد. ولبثّ روح التوحيد أرسل الله تعالى رسلاً مبشرين ومنذرين.

ومن يرى الهه الطبيعة	فجاهل مرتكب الشنيعة
ومن يرى رباً له شريك	فمشرك عن الهدي تريك
أو واحداً وواجب الوجود	فذاك فاز رتبة الشهود
وعد مؤمناً اميناً أدباً	له معالٍ شرفاً وحسباً
يا مرحبا اهلاً وسهلا مرحبا	بعاقل في دينه تهذبا
فلا تكن معطلاً بطالا	كي لا تكون تائها ضلالا
ولا تر التأثير للجوامد	ولا بمشرك عنيد فاسد
والحس راعى الرعي للحيوان	والعقل داعي الوعي للانسان
كن مؤمناً بربك القديم	فردٍ عليم قادر قيوم
واعلم بعلم سالم كما هو	أن لا إله لك الا الله
فاعقل وعقل المرء نور النفس	العالم الموجود مثل شخص
مخلع بخلعة شريفة	مزيَّن بزينة لطيفة
حتى يكون علماً جميلا[28]	على وجود ذاته دليلا
إن قلت اني لا أري دياراً[29]	ولا أرى مهيمنا جبارا

---

[28] قول الناظم: حتى يكون علما: إشارة إلى أنه إنما سمي ما سوى الله عالماً ؛ لأنه يعلم به الصانع دلالة الأثر على المؤثر، فالعالم - بفتح اللام - بمعنى ما يعلم به الصانع، كالخاتم بمعنى ما يختم به، والطابَعِ بمعنى ما يطبع به.

[29] قول الناظم: إن قلت إني لا أرى ديارا: بيان لما توهمه بعض الناس، وقال: إني أرى هذا العالم الموجود كدار فيها مَن فيها من أهلها، وما يحتاجون اليه، ولا أرى دياراً، أي: صاحب الدار مؤثر فيها، فكيف اعترف بوجوده به او بوجوب وجوده ؟
وحاصل قوله: قلت سؤالكم: بيان لدفع توهمه، وحاصله انك أيها السائل بعدما اعترفت بأن هذا العالم موجود محسوس، وأجزاءه ليست واجبة الوجود، بل من الممكنات الخاصة التي يستوي وجودها وعدمها، علمت انها تحتاج الى وجود مؤثر، لأن الأثر لا يكون بدون مؤثر، وظهور ذلك المؤثر كالبديهي عند العاقل، لدلالة الصوت على المصوت، وحركات أغصان الأشجار على الرياح المحركة.
فإن القوة المودعة في الأثير لا ترى وآثاره من الكهرباء أو غيرها محسوسة أو معلومة، والهواء لا يرى بالعين، وآثاره معلومة محسوسة لنا. ومن دق الباب عليك لايرى، وصوت دقه له مسموع معلوم، ولكل إنسان أو حيوان روح لا يرى بالعين، وآثارها في صاحبه معلومة، من القيام والقعود والكلام وغيرها، وكواكب السموات مشرقة، ولها مالها من الدوران، ومحركها لا يرى، فوجود ذات المؤثر معلوم، ولكن حقيقته غير معلومة، والحركات صفات للمحرك لابد لها من قوة محركة وإن كانت لا ترى، فعدم العلم بحقيقة تلك القوى لا يدل على عدمها عند العقل السليم.
ومجموع هذا العالم الذي وصل الاحساس والعلم إليه، وإلى آثاره أثرٌ يدل دلالة قطعية على وجود مؤثر فيه يجب ان يعترف به العاقل وإن كانت حقيقة تلك القوة المؤثرة مخفية، مع أن في العالم قوانين غير اعتيادية كما في خوارق العادات ومعجزات الأنبياء والرسل من عدم تأثير النار في

الإحراق، والماء في الإغراق، والحجاب في اغتياب ما وراءه، وذلك يدل واضحا أن هناك مؤثرا واجبا موصوفا بالكمال لكل تلك الآثار سلباً وإيجاباً وإعداما وإيجاداً، وهو الله تعالى.

فكيف ايماني برب خالق   لذلك العالم ذي الحقائق؟

قلت: سؤالكم لطيف جدا   أراك شخصا عاقلا مجدا

<41>

وخذ من المجيب قولاً الطفا　　والمرء فوق الوسع لن يكلفا

هنا مقامان لنا كلاهما　　مسلمان عند كل العلما

مُقامنا الاول في الوجود　　والثاني في حقيقة الموجود

اما الوجود فهو كالبديهي　　في عقل شخص راشد منتبه

اذ عدم الرؤية للموجود　　ليس دليلا لانتفا الوجود

إن الأثير لايرى لكن له　　آثاره في كهرب وهَوْ لَهُ

إن الهواء لا يرى في البين　　آثاره معلومة بالعين

من دق باباً يرى وجوده　　ووصفه وحاله وعوده

لكن علمت أن عند الباب　　شخصا يريد الخير بالحساب

وكل إنسان يُرى ولا تَرى　　من روح ذاك الشخص إلا الأثرا

أعني قعوداً وقياماً حركة　　وهي كمنبع لكل بركة

وتدرك الحياة للحيوان　　ولا ترَى الروح مع الأبدان

تري كواكب السماء شارقة　　على مدارها ولن تفارقه

كذا ترى الأرض هنا جهارا　　تُبدي لنا الليل تلا النهارا

والعالم الاسفل مع أعلاه　　مسخر ذاتا لدى مولاه

تجول حول مركز تدور　　أكثر من نصف عليه نور

وحركاتُ كل ذي تحرك　　بداهة تحتاج للمحرك

وليس في العقل محرك لها　　بدون قدرة وعلمِ حالِها

فهل من المعقول أن تراها　　دون عليم قادر يرعاها

أو هل يرى شعور ذي شعور　　نظام عالم بلا شعور

فقل سماءٌ ربنا رفعها[30]		على الموازين التي وضعها
والأرض والعجائب التي بها		من مبدأ الامر لحد المنتهى
وجمود رب خالق للكل		له كنور كان دون ظل
ظهوره كالنور في المصباح		أو كظهور الشمس في الصباح
﴿الله نور﴾ حجة الظهور		في الصورة المضافة للنور
واذ نظرت نحو هذا العالم		نظرة حق لائق بالآدمي

<43>

---

[30] قول الناظم: فقل سماء الخ: بيان لدلالة الآثار المعلومة في العالم من السماوات والأرض وما بينهما، وهي تدل على وجود خالق واجب، ووجود ذلك الخالق ظاهر ظهور نور مصباح في مشكاة لا منفذ لها حتى يستولي الهواء على حركات مخالفة للنور
وجعل آية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ﴾ (النور/35) إشارة إلى هذا المقصود المهم، وذكروا في التمثيل وجوهاً عديدة.
الأول: أن السموات والأرض كمشكاة، وأحوالها وما يحدث فيها وما يزول كمصباح، ونظرنا وتفكرنا فيها نور يستنير به ويظهر وجود الخالق الواجب الوجود.
الثاني: أن السموات والأرض مشكاة، ونفوسنا المدركة مصباح، وزجاجة التفكر، وشعلة المصباح نور القلب، ونفس القلوب محل خروج النور ومشعله.
الثالث: أن أبداننا مشكاة، وصدورنا مصباح، وزجاجها ملاحظات القلب، وزيته استعدادنا المخلوق لنا، وإشعالها الهداية والعناية الربانية، وتضيء في بيوت ذكر الله تعالى من المساجد، وحلقات الذكر والتدريس وهيئات الانس.
وذلك النور مقسوم، ولكلٍ من أصناف العباد المؤمنين نصيب معلوم.

وجدت أن الكائنات كلُّها ... مشكاتها[31]، مصباحها من حالها
نظرنًا فيها بالاعتبار ... نور دليل الواحد القهار
او عنصر المشكاة كائنات ... ارض سما النجوم سيارات
مصباحها الأنفس والافاق ... زجاجها التفكر الوفاق
مشعلها القلوب باستمرار ... ونورها الايمان بالجبار
يظهر بالتوفيق[32] للشهود ... نور وجود واجب الوجود
وان أردت قل على التمثيل ... لما يرى في نصه الجميل:
أبداننا كمادة المشكاة ... صدورنا المصباح ذو الجامات
زجاجها قلوبنا اللطيفة ... مظهر أنوار الهدى الشريفة
وزيتها استعدادنا النفسية ... أشعالها الهداية القدسية
تضيئ في بيوت ذكر الله ... مع حضور قلبنا لله
وذلكم مكسبة للأصفيا[33] ... موهبة خالصة للانبيا

<44>

---

[31] أي مشكاة في نظرنا أي كمشكاة.

[32] قول الناظم: يظهر بالتوفيق: حاصله أن وجود المؤثر معلوم بلا شبهة، للعقل السليم. وأما حقيقته وكنهه فخفية على العباد مطلقاً. أو معلومة البعض من اختصه برحمته وتوفيقه.
قال بعض المحققين: لا يعرف من الحقائق الثابتة إلا آثارها وخواصها وفوائدها، وتظهر لنا بالتعاريف والرسوم. وأما حقائقها فلا سبيل للعلم بها إلا عناية الله تعالى لمن اختاره بفضله.

[33] قول الناظم: وذلكم مكسبة الخ: بيان إجمالي لفيوضات الباري تعالى على عباده، ويقول: إن فيضان النور على قلوب عباده على قسمين: الأول: ما يحصل بطريق الاكتساب، والمجاهدة في الاعتقاد والأعمال بالإخلاص والاستفادة من الأساتذة والمرشدين وصحبة الصادقين كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي كونوا معهم كينونة عادية مادية بحضور مجالسهم ودروسهم، وأخذ النفحات من انسهم. أو كينونة معنوية روحية، وتلك باتباع آدابهم وأعمالهم واخلاقهم ومحبتهم، والسعي وراء ما سعوا فيه بقدر الإمكان، كما كان للأصحاب الكرام رضى الله عنهم وخاصة لمن حوله وبالأخص للخلفاء الراشدين بمجاورة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. الثاني: موهبة خاصة من الله تعالى، وعناية ربانية، وجاذبة روحية، كما تحقق للأنبياء والمرسلين، وبالخاصة للرسل منهم، وبالأخص لأولى العزم الخمسة الكرام: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسيدنا محمد عليهم الصلوة وأخص الأخص لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. كما يظهر بالنظر في القرآن الكريم واعتنائه تعالى به صلى الله عليه وسلم.
ولا ينافي كون ظهور نور الحق لهم موهبة ما كانوا عليه من الأتعاب والاحوال في مبادئ أمورهم، لأنها أيضا كانت عناية خاصة بهم، كما لا ينافي طلب سيدنا ابراهيم عليه السلام لإحياء الموتى عنده ؛ لأن لأنوار القلب والأحوال العارضة عليه واطمئنانه درجات كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ الآية، فانظر في الدقائق لكشف الحقائق.

وعندما يضيئ بالشهود	يظهر نور واجب الوجود
وذا لعمركم شهود الحق	قمته العليا لمولى الخلق
سيدنا محمد نور الهدى	من أقتدي به بحق اهتدي
وغيرها لغيره حسب النسب	في قوة التقوى وإخلاص
فاض على روحه وابل الكرم	من الصلاة وسلامة الأتم

والأنبيا والرسل الكرام ... والآلِ والأصحاب بالإكرام.

مقامنا الثاني[34] مقام كنهه ... أي ذاته حقيقة كما به

هذا الذي تاه العقول فيه ... وفكرة الممكن لا تكفيه

إدراكـ كنه واجب الموافقـ ... بعالم الإمكان غير لائق

والعقل لا يصل بالتحقيق ... لدرك كنه الواجب الحقيقي

بل درك الأشياء التي نراها ... بالحق لا يبلغ منتهاها

والعين لا تبصر ذرات الفضا ... والفكر لا يبلغ اسرار القضا

والرسل الكرام قد اعترفوا ... بعجزهم عنه فلا تعسفوا

هذا الذي في منحة الإمكان[35] ... مع محنة الزمان والمكان

<46>

---

[34] قول الناظم: مقامنا الثاني: مقابل ما سبق من قوله: مقامنا الأول في الوجود، وحاصله: أن وجود ذات الواجب معلوم عند كل عاقل منصف متصف بجودة النظر بلا شبهة، كنور المصباح، بل كنور الشمس في الصباح. وأما حقيقته فخفية، كما قال عليه السلام: ((سبحانك ما عرفناك حق معرفتك)) فإن درك حقيقته تعالى ممتنع ومتعذر عند العلماء وإن قال بعضهم إنه ممكن يحصل لبعض الأحباب الأصفياء.

[35] قول الناظم: هذا الذي في منحة الإمكان: يعني هذا القدر القليل من معرفة الواجب تعالى، برسمه وآثاره به هو الذي يمنح ويسخى به عقل البشر الضعيف، المتصف بالإمكان الخاص، الموطن لكل نقص في الذات والصفات، مع معارضة طوارئ الزمان والمكان، فإن في كل زمان أزمات، وفي كل مكان آفات.

الوجوب

وإذ بدا الوجود في الأعيان[36] لو لم يجب فسد بالإمكان

إذ حال كل ممكن لنا عيان سداه مع لحمته نقصان

الوحدة

دليل وحدة الآله[37] أنه لو كان الله عديل مثله

ففي اتفاق واجتماع في العمل توارد للعلتين قد حصل

<47>

---

[36] قول الناظم: وإذ بدا الوجود إلخ: يعني ما دام ثبت وجود الصانع لزم أن يكون واجباً، لا ممكنا خاصاً ؛ لأنه لو لم يجب أتاه فساد الإمكان الخاص المنافي لكمال الألوهية.

[37] قول الناظم: وقد أتي الباري الخ: إشارة إلى ما ذكره المحققون في معنى الآية الكريمة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء/22) من أنه لو فسر الفساد بالفساد الفعلي والاختلال كانت الآية الكريمة دليلاً خطابياً اقناعياً على وحدته تعالى ؛ لأنه على فرص التعدد للآلهة جاز التفاهم والتوافق على ترتيب معين في السموات والأرض، فلم يلزم الفساد والاختلال فعلاً.
وإن حمل الفساد على عدم التكوين، وعدم الوجود بناءً على تقدير جواب في الآية الكريمة، أي لو كان فيهما آلهة إلا الله لأمكن التمانع والتدافع بينهما، ولو أمكن ذلك لزم أن لا يكون أي واحد من الآلهة إلها كاملاً وصانعاً متميزا بالقوة الكاملة، لأن إمكان منع الغير له يوجب نقصانه، عن تلك المرتبة العليا، وحينئذ لزم خلف الواقع عن الصانع القدير، ولزم أن لا يوجد العالم من السموات والأرض وما بينهما وغيرهما، لأنها من آثار الصانع القدير، ولكن العالم موجود والسموات والأرض متكونتان، والفساد بالمعنى المذكور باطل، فتعدد الآلهة باطل، لأن رفع التالي يوجب رفع المقدم، وعلى هذا الوجه فالآية الكريمة برهان قطعي وحجة قاطعة على عدم التعدد، وعلى وحدة الإله الصانع الكامل.

إذ يستحيل اشتراك القدرة   مع قدرة أُخرى بأي صورة
ليس الإلهان كممكنين   تشاركا في عمل بالعين
وإن جرى العمل من فرد فقط   دواماً أو تناوباً جاء الغلط
لأنه ما دام يكفي عامل   فالعامل الآخر حشو عاطل
وفي اختلافٍ لزم المفاسد   يختلف منها قاصر وقاصد
إذ لو جرى عجز على هذين   لزم رفع المتناقضين
وإن أتى عجز لواحد فقط   فغيره الإله لا هذا السقط
وإن جرى التأثير من اثنين   لزم جمع المتناقضين
أو جمع ضدين من الأضداد   ويستحيل ذاك بالإسناد
والحق أن وحدة الإله   أمر بديهي بلا اشتباه
لولا لِرد مشرك عليل   ما احتاجت الوحدة للدليل
فان عاقلاً بعقله عقل   حياً عليماً قادراً عز وجل
علم أن ذاته كاف لما   يريده من أرضه أو من سما
فأين حاجة لذاتٍ عاقل   يأتي على الوحدة بالدلائل

وقد أتي الباري بنص نافع[38] يشير باللطف إلى التمانع

﴿لو كان فيهما﴾ يكون شرطاً ﴿لفسدتا﴾ جواب شرط ربطا

دليل إقناعي بنهج العادة يعني خطابي بعرف السادة

إذ يمكن التفاهم بينهما فلا يُري تنازع لديهما

وحجة قطعية برهاني إن أخذ التالي على الإمكان[39]

<49>

---

[38] فقول الناظم: إن أخذ التالي على الإمكان، معناه إن أخذ جواب ﴿لو كان﴾ بإمكان التمانع بأن يقال: لو كان فيهما آلهة إلا الله أمكن التمانع بينهما، ولو أمكن التمانع بينهما لفسدتا، أي لم تتكون السماوات والأرض ؛ لأنهما أثر الإله الكامل، والإله الذي يمكن منع غيره له ليس باله، فيبقى العالم بلا صانع كامل، فلا يوجد ولا يحدث أي أثر حادث.

[39] قول الناظم: إمكان ما استحال نفس الأمر، المراد بما استحال في نفس الأمر: عجز الإله الواجب الوجود.
بقي أنه اعترض بعض بأن الاستدلال المذكور بالآية الكريمة مبني على استعمال المنطقيين، حيث استعملوا الدليل المصدر بكلمة ﴿لو﴾ في القياس الاستثنائي الذي قد يستعمل للاستدلال برفع التالي على رفع المقدم، وليس ذلك الاستعمال عربيا، والقرآن الكريم نزل على استعمال العرب، ومن استعمالها عند العرب ما يستدل بانتفاء المقدم على انتفاء التالي، نحو: لو اكتسبت المال لتحسنت لك الحال، وأجاب عنه السعد بأن هذا الاستعمال أيضا عربي، ولكن الاستعمال الثاني أكثر من الأول، فخذ هذه الفوائد وكن على بصيرة في رعايتها.

ومن فسادٍ عدم التكوّن   يعني لهذا العالم المعيَّن

إذ لو تعددٌ له تينا   إمكان الاختلاف قد تعينا

إِذ عند امكان الخلاف يجري   إمكانُ ما استحال نفس الأمر

وهذه وحدته في الذات   على براهين وبينات

منها بدا الوحدة في الصفات   كذاك في الأفعال في الجهات

فليست الصفات والافعال   من ناقص كَمَنْ له الكمال.

<50>

القدم

اما دليل القدم للذات   لولاه كان من حوادثات[40]

وكان معروضاً لأوصاف لها   ناقصة في المبتدأ والمنتهى

<51>

---

[40] قول الناظم: أما دليل القدم للذات إلى قوله وكان معروضة مع ما بعده من أدلة الصفقات السلبية وما يحوم حولها، واعلم أن هذه الصفات السلبية كلها كمال لذات الواجب وخلافها نقص يجب سلبها عنه، فإنه تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، ويحتاج الى المحدث، تعالى الله عنه علوا كبيراً.
وأما بقاؤه فلأنه بعد القول بقدمه يجب اعتقاد امتناع طرو العدم عليه، واشتهر أن كل ما ثبت قدمه امتنع عدمه، لأن القديم إما واجب الوجود لذاته أو لازم لذات الواجب، فلا مجال لعروض العدم عليه.
وأما الاستغناء عن الغير فلأن كل محتاج للغير أدنى شأناً منه والله أعلى من كل شيء وأكبر منه.
وأما نفي المثل، فلأن غير الواجب إما ممتنع الوجود أو ممكن خاص يستوي وجوده وعدمه، فكيف يكون له مماثل تعالى الله عن ذلك.
وإذا تقرر ذلك تبين أن ليس ذات الباري جوهراً لاحتياجه إلى الغير وإلى عروض الأعراض المشخصة له، ولا جسما لاحتياجه إلى أجزائه التي تركب منها، وليس في زمان لأن الزمان يتوهم من حركات الكواكب وشروقها وغروبها، والله تعالى ليس له محل تشرق المشرقات عليه وتغرب، ولا مكان له، لأن المكان إن كان بعدة مجردة أو موهوما فهو مما ينطبق عليه أبعاد المتمكن، وإن كان عبارة عن السطوح الحاوية لسطوح المتمكن فلان السطح من توابع المواد ذات الأبعاد والله بريء من ذلك كله.
والباري تعالى ذات أزلي وأبدي، وكان ولم يكن معه شيء، وخلق ما خلق من الحوادث باختياره بدون حاجة إليه، وخلقه كان بأمر كن فيكون. وهذه الجملة إما بيان السرعة تحقق المراد ونفوذ إراداته، وإما خطاب منه تعالى لما كان في علمه، وقرر ايجاده في مالا يزال، فتوهم استقرار على العرش أو في أي مكان آخر توهم ممن لا مكان له بين العقلاء المؤمنين، وإنما تفسر تلك الآيات الدالة على الزمان والمكان والاعضاء له تعالى على تأويلها بالاستيلاء على ما سواه قدرة وعلمة ورعاية وعناية، وهذا دأب الخلف المؤولين لها بما يناسب شأنه تعالى.

وأما السلف فقد آمنوا بها، وقالوا: إن معانيها ثابتة على ما استأثر الله ذاته بعلمها ولا تعطلها عن معانيها الثابتة لها، ولكنها لا ندري تأويلها والمراد منها، إذ لو مشى الناس على ظواهرها لزم أن يكون الباري في الزمان والمكان كليهما، ويكون في كل محل مع كل شيء ذاتاً، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً، وقد قلنا سابقا أن سورة الإخلاص فيه اثبات لجميع الصفات المعنوية وصفات المعاني والسلبيات فراجع.

اما بقاؤه فان ذا القدم
ممتنع له العروض للعدم

وكل امر ثابت قدمه
ممتنع بالحجة عدمه

إذ القديم واجب بالذات
او لازم له على الثبات

اما الغنى، لو لم يكن غنيا
وصمداً مهيمنا عليّا

لكان محتاجاً لما سواه
وذلك النقص، تعالى الله

وعدم المثل له جليّ
فانه الواجب والعليّ

عن المماثلة للنواقص
كممكنات للهوى أوانِسِ

<52>

ليس الإله عرضا أو جوهرا   جوهرَ فردٍ أو مركباً يُرى

لا في زمان أو مكان أبدا   نراه ذاتا واحداً وصمدا

مكاننا مثال ارض وسماء   زماننا حركة أضواء

ربي قديم سبق الأكوانا   وسبق الزمان والمكانا

وقبل إيجادٍ لها أين الزمن   اين مكان فيه كائن سكن

من أبدع الزمان والمكانا   كيف تقول: أين قبل كانا؟

خلق عالم الوجود قدرا   من عدم صرفٍ بأمٍر أمرا

خلق العرش وارضاً فَرشا   كذا السما والنجم نقشاً نقشا

فاين كان قبل خلق العرش؟   اين البساط قبل خلق الفرش؟

إن كنت لا تدري سوى المحسوس   مبصر أو مسموع أو ملموس

فقل: أنا الموجود والخبز الحري   والماء والسكنى وساتر العري

وان ترى المعقول بالدليل   تؤمن برب واجب جليل

حي عليم أزلي أبدي   ولا مماثل له من أحد

معك اين كنت في المكان   أقرب من حبل الوريد الداني

ومع كل ذرة من الهواء   ومع ذرات من السماء

يعلم لحظ أعين الخيانة   ويعلم الإيمان والأمانة

به عيون القاصرين كلت   له رقاب القادرين ذلت

فهل من المعقول أن تراه   في احتياجه لما سواه؟ !

العقل يدعو الناس للحق الجلي   عزّ عن الحاجة ربنا العلي

سبب اشتباهنا أوهام   وجلّ عن أوهامنا العلاّم

آمن بذاته مع الأوصاف   ولا تمل قطعا الى الخلاف

نفسي عليلة من المباني   فلنرتحل لروضة المعاني

صفات المعاني

وربنا حي بلا احتياج[41] لبنية وصحة المزاج

وهو عليم، علم ربي كامل لكل ما يدرك علم شامل

<54>

[41] قول الناظم: وربنا حي الخ. إعلم أن مباحث الصفات الذاتية، المشهورة بصفات المعاني مباحث دقيقة به وبالجهد حقيقة. وقد اتفق المسلمون على أن ذات الواجب متصف بالكمال، ومنزه عن النقص، لأن وجوب الوجود منبع الكمال، والنقاش في الموضوع نقاش في زيادة الصفات، وعدم الزيادة، وستأتي المباحثة فيها، مع العلم أن النصوص تظاهرت وتضافرت على أن الله تعالى حي عليم قدير مريد سميع بصير متكلم، والظاهر أن مبادئ الاشتقاق فيها صفات معلومة واقعية، وليست اعتبارية، كوحدة الواحد، ووجوب الواجب، وأمثالهما.
ثم الحياة صفة توجب الحس والحركة الإرادية، وباقي الصفات كالتوابع لها، ولذلك يسميها العلماء أمام الصفات، وليست مشروطة بالبينة والأجزاء والأجهزة التي تحتاج إليها الأحياء في الحياة.
والعلم صفة ذاتية أزلية، يكشف جميع ما يمكن أن يكشف مما هو واجب أو ممكن خاص أو ممتنع، مفهومة وصورة في الجميع، ومصداقا وذاتنا في الواجب والممكن، وأما الممتنع فلا مصداق له حتى يعلم ويتعلق به الإدراك. فجمع النقيضين ورفعهما وجمع الضدين يعلم مفهومهما لا ذاتهما ومصداقهما، ولا يكون ذلك جهلاً ؛ لأن الجهل عدم العلم بما من شأنه أن يعلم، فإنك إذا علمت شيئا لا يمكن تعلق علمك بعدم العلم به،وذلك مما صرح به العلماء، ومنهم السيالكوتي في تعليقاته على الخيالي في البحث عن التسلسل. فيعلم الباري تعالى جميع الأشياء، ولا غيب عنده، وتعبيرنا بالغيب لما غاب عنا، وبالشهادة لما حضر، إنما هو بالنسبة إلينا لا بالنسبة إلى ذاته تعالى.
ويجب أن نعلم أن علمه تعالى ذاتي وثابت له أزلاً وأبداً، وليس كسبياً ؛ لأن الكسبيات في ما سبق الجهل به وذلك ممتنع في ذاته الباري.
وعلمه تعالى حضوري فيما هو موجود أو قد وجد أي يعلمه بذاته، وعلمه بما سيوجد علم منه بصورته ؛ لأن الموجود قبل وجود الشيء صورته، والباري تعالى عالم بذاته وصفاته الذاتية والسلبية والفعلية، ولما كان عالما بأنه خالق وعلة لكل شيء حادث كفاه في علمه بجميعه علمه بصفته خالقيته.

واجباً أو ممكناً او ممتنعا ... فعلم ربي لم يزل متسعا

سيان فيه الغيب والشهادة ... تعبيرنا بالمفردين عادة يكفي

لعلمه القديم الذاتي ... في أزل بكل كائنات

علم بذاته وبالصفات ... وأنه علة الممكنات

له إرادة هي التخصيص[42] ... لأحد الأمرين ذا محروس

بعد تعلق لعلم الباري ... بدون إجبار واضطرار

إرادة الباري لها ركون ... لكل ما قد كان أو يكون

<55>

---

[42] قول الناظم: له إرادة. يعني أن الله تعالى له صفة الإرادة، وهي التخصيص والتعيين لأحد الأمرين من الوجود والعدم، في كل ممكن أراد وجوده أو عدمه. وإرادته تابعة لعلمه، لأن ما أراده هو الذي علمه مقارنة للحكمة، وهذا التخصيص في أفعال الحكيم المطلق لا يحتاج إلى مخصص مطلقاً ؛ لأن المخصص علمه، بالمرجحات، وهذا معه لا ينفك عنه، وأما في الممكنات فقد تحتاج الارادة إلى المخصص كما في إرادة سلوك أحد الطرفين لقربه او سلامته، وقد لا يحتاج إليه كما في ارادة سلوك احد الطرفين المتساويين مطلقاً.

وأساس المخصصات يرجع إلى العلم، ولو كان الرجوع الى العلم، واقتضاؤه شيئاً يستلزم الاضطرار لم يبق مختارٌ أبداً، لا من الممكنات الخاصة ولا من الواجب، فدقق في الموضوع.

وتبعية إرادته تعالى لعلمه هي التي تسببت في أن ما شاء الله كان. لأن تأثير القدرة تابع للأرادة، وهي تابعة للعلم، وعلمه بوقوع شيء لا يتخلف عنه ذلك الشيء.

ما شاءه الله العليم كانا … مالم يشأ لم يك مستبانا

وحسبما خصصت الإرادة … وهي لعلمه بطبق العادة

يعلم في الأزل أعمال الوري[43] … حسَبَ اختيارهم كما يُرى

كذا يريد خلقه في الأزل … خلقاً مؤجلاً الى المستقبل

فعلمه حاكٍ وتابع لما … نعمله كمنظر قد رُسما

<56>

---

[43] قول الناظم: يعلم في الأزل أعمال الورى: بيان للمقام ودفع لشبهة أوردها بعض المتفلسفين حاصلها انه لما كان علم الله بما سيقع لا يتخلف عنه المعلوم لم يبق للمكلفين اختيار في الأعمال ؛ لأن ما تعلق به علم الباري يجب أن يجري كما علم، ودفعها بان الله تعالى علم أن المكلف في المستقبل يختار ما يفعله من أعماله حسب رغبته الا بإلزام الله تعالى إياه.

فلا تلوموا ما عدا أنفسكم　　　في عمل بمنكر حبسكم

قدرته اختصت بممكنات[44]　　　وعلمه بكل شيء آتي

مفهومه مصداقة البراق[45]　　　والمستحيل ماله مصداق

وله سمع كل صوت يسمع[46]　　　سراً وجهراً يقرع أو يقلع

<57>

---

[44] قول الناظم: قدرته اختصت الخ: بيان لما قرره الأصوليون: أن دائرة العلم أوسع من دائرة القدرة، فان العلم شامل للواجب والممكن والممتنع، واما القدرة فلا تتعلق إلا بالممكنات الخاصة، وذلك أن الواجب غير قابل للتغير. والتأثير فيه ممتنع، والممتنعات لا يمكن وجودها فبقى الممكن الخاص أثرا للقدرة لا غير.

[45] قول الناظم: مفهومه الخ: يعني أن الواجب والممكن معلومان مفهوماً ومصداقاً، وأما الممتنع فالمعلوم مفهومه، ولا مصداق له حتى يعلم.

[46] قول الناظم: وله سمع مع البيت التالي: بيان لصفتي السمع والبصر، وأنهما صفتان، ولا يدخلان في صفة العلم، كما روي عن الامام الأشعري. ولكن اعتقادي أن الإمام لم يرجعهما إليه، بل أراد أن لا يخوض الناس في الكلام على الجهاز المعتبر في الشاهد للسمع والبصر، ويكتفوا باعتبار أنهما كالعلم بالمسموعات والمبصرات وإلا فعبارات الإمام أعلى من ان يتحير في الموضوع ويعتبر الحاجة إلى الجهاز المألوف في السمع والبصر فإنه قائل بأنه يجوز أن يرى أعمى في الصين بقّةً في أندلس.
ومما ينبغي أن يعلم المؤمن أن هذه الصفات في الباري تعالى لا تحتاج إلى ما تحتاج إليه غيره. فالحياة لا تحتاج إلى البنية والمزاج، والعلم لا يحتاج الى النخاع والدماغ وغيرهما مما اعتبر شرطا للعلم في العادة وكذلك القدرة والإرادة غير محتاجة إلى جهازهما في الشاهد ومثلها السمع والبصر والكلام، وبذلك يخلص الإنسان من أبعاد الأوهام. ومما يلزم أن النسبة بين الصفات تباين ذاتاً ومفهوماً، فقد علمت مفهوم كل منها وإن لها مفهوماً خاصاً غير ما لأخواته، وكل منها له مصداق غير ما لغيره. ولذا قالوا: القدرة تابعة للإرادة وهي تابعة للعلم وهو تابع للحياة كما هو مشهور.
ومما يهم علمه أن الإرادة غير الرضا والمحبة ذاتا ومفهوماً وبينها عموم وخصوص من وجه بحسب التحقق، فقد تجتمع الكل كما في إيمان المؤمن، فهو مراد ومحبوب ومرضي، وتفترق الإرادة عنهما في كفر الكافر، فإنه مراد تعلق به الإرادة لعلمه تعالى بسوء أعمال ذلك الكافر، ولا يرضى به الباري تعالى ولا يحبه. وافتراقهما في إيمان الكافر، فانه مرضي ومحبوب لو كان يوجد ولم تتعلق به الإرادة، فخذ هذا حتى لا تقع في بعض الاشتباهات.

وله وصف بصر لما يرى	لو ذرة كانت بما تحت الثرى

الكلام

كلام ربي صفة نفسية[47]	قديمة كاملة قدسية
ضد سكوت النفس والبكم الذي	يكون في أشخاصنا عيباً بذي

<58>

[47] (الكلام) قول الناظم: كلام ربي الى آخره. شروع في بيان أن الكلام صفة لله تعالى. وهو اسم المصدر بمعنى التكليم، وقد نسبه الله إلى ذاته الشريفة بقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء/164). وفي قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾. ومعنى نسبته إليه تعالى أنه صفة من صفاته، حيث أن وجوده له تعالى كمال له وسلبه عنه نقص.
وهو إما كلام لفظي مركب من الحروف الحاصلة من تقطيع الهواء عندنا، وضده السكوت والبكم عن النطق وهو عيب. وإما كلام نفسي، ليس من قبيل الحروف والأصوات، ومبدأ للكلام اللفظي، وضده البكم والسكوت النفسي والآفة، وهو نقص في حقه تعالى، يجب سلبه عنه.
ونحن - معاشر أهل السنة - نقول بالكلام له بالمعنيين حقيقة على حجة انه كمال وضده نقص وعيب.
ولاشك أن الكلام اللفظي من توابع الكلام النفسي، أي من لم يكن له الكلام النفسي لا يمكن أن يكون له كلام لفظي، وان الكلام النفسي صفة قديمة قائمة بذاته وليس حياة بداهة ولا علماً، لأنه يكون بدون الكلام ومعه، وقد يتكلم شخص بدون علمه بحقيقة ما يدل عليه الكلام، وقد يعلم شيئا ولا يتكلم به، وليس صفة القدرة ؛ لأن الكلام النفسي كما ذكرنا قوة نفسية، وتعتبر كمالا له تعالى وأزلياً. ولو كان هو القدرة لكان عبارة عن التأثير في الأشياء حسب الارادة، وليس الكلام النفسي ذلك، بل عبارة عن مبدأ المفاهيم المخزونة التي تعبر عنها بالكلام اللفظي، وليس ذلك المبدأ من آثار القدرة، لأن القدرة تؤثر وفق الإرادة فلو كان الكلام النفسي من آثارها لكان حادثاً بتأثير القدرة التابعة للإرادة. والحوادث لا تقوم بذاته تعالى مع انه يلزم أيضا خلو ذاته تعالى من تلك الصفة في الأزل وذلك مستحيل.
فثبت أن الكلام صفة ذاتية أزلية ممتازة عن باقي الصفات. لبداهة أنه ليس الارادة ولا السمع ولا البصر. وثبوته له تعالى ازلا كما له تعالى، وموجود قديم قائم بذاته وأما الكلام اللفظي فصفة لله تعالى أيضاً قديم، كما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى. ونذكر أنه صفة له تعالى وازلي كالكلام النفسي، مع العلم أنه ما دام صفة لله تعالى يجب اتصافه بالقدم لامتناع اتصافه بالحوادث.

لا حرفَ لا صوت ولا تركيبا   حتى ترى في جمعها ترتيبا

فان بكم النفس عيب جاري   ليس بمعقول لذات الباري

<59>

كلامه اللفظي كل ما نزل ... من ذاته بأمره عز وجل

وعلماء الفن قالوا إنه ... صوت وحرف مثل ما نقوله

مركب من أحرف مرتبة ... لكل حرف مالها من مرتبة

ألهمه الله لدى التنزيل ... روح الأمين الملك جبريل

بدون دخل له في ذاك ولا ... دخل لغيره إذا قد أنزلا

بنهج ترتيب له ملحوظ ... مرقم في لوحة المحفوظ

لذاك قالوا حادث لكنه ... تأدباً لا يذكر الوصف له

كي لا يؤدي في هوى العقول ... الى حدوث المبدأ المدلول

نعني به صفته النفسية ... فيوهم الحدوث في القدسية

وذلك اللفظي كلام الله ... مشترك لفظي بلا اشتباه

لأنه مخلوقه بالشخصي ... بدون دخل مَلَكٍ أو إِنس

أو جن أو سائر ما سواه ... فهو كلامه تعالى الله

قال الجلال العالم الدّواني[48] ... بقدم الألفاظ من تبيان

<60>

---

[48] قول الناظم: قال الجلال الدواني الى آخر الصحيفة. أقول: هذا شروع في بيان بعض أراء حول كلام الباري تعالى، وقدم اللفظي منه. معلوم عند الأصوليين أن المعتزلة أنكروا الكلام النفسي، وخالفوا الإجماع على إثباته لله تعالى، ولذلك أنكروا الكلام اللفظي على كونه صفة لله تعالى، وحملوا قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ الآية على المجاز. أي انه خلق الكلام اللفظي مع شهادة العقل السليم على أن معنى كون الباري متكلماً كون نفس الكلام صفة له تعالى. وشبهتهم أن الألفاظ حروف متعاقبة حادثة وهي ليست صفة له تعالى، وإنما صفته خلقه تعالى وهو صفة فعلية.
والجمهرة الكثيرة من الأصوليين أهل السنة أيضا قالوا: إن كلامه النفسي قديم. وأما الكلام اللفظي فحادث. ودليلهم ما ذكرنا من دليل المعتزلة.
وأساس الشبهة قياس الباري على الناس من جهة أن كلامنا الفاظ مرتبة حادثة. حتى قال السعد في شرح العقائد النسفية: إنا لا تعقل صفة الكلام اللفظي بدون ترتيب بين الألفاظ، ونقول: بحدوثها، مع أنا نقول: أن لفظ كلام الله تعالى حقيقة من حيث الإسناد إليه لأنه لا علاقة للملك والجن والإنس به، وإنما هو ألقاه الباري تعالى إلى الملك، وأتى به الرسول.
وقال الدواني بقدم الألفاظ على أساس أنها معلومة للباري تعالى وما دامت معلومة له فهي قديمة أزلية ثابتة في علمه تعالى ۰ واعترض عليه الأصوليون: بأنها الصورة العلمية لكلامه اللفظي لا نفس الألفاظ.
وهناك رأي تعرض له صاحب المواقف، حاصله أن الكلام معنى قديم قائم بذاته، والمعنى يشمل الصفة النفسية لأنها من المعاني، كما يشمل الألفاظ، لأنها أيضا من المعاني القائمة بذاته، فالمراد بالمعنى هو ما قام بالغير وليس المقصود به المفهوم، فالألفاظ أيضا كالصفة النفسية قديمة قائمة بذاته، ولا يلزم من ترتب الألفاظ عندنا ترتبه عنده. وتحول هذا الوجه إليه، كما أنا نؤمن بصفات المعاني كلها بالحياة بدون حاجة إلى المزاج والبنية. وبالعلم بدون الحاجة إلى الدماغ والنخاع، وبالقدرة بدون آلات البطش من اليد وغيرها. وبالإرادة بدون الشوق والانبعاث. وبالسمع والبصر بدون ما يحتاجان إليه، وهذا الرأي هو الذي اعتقده أنا، وذكرته في النظم. ثم وجدت ما في المواقف على وفاقي، فخذ ما ألقينا إليك، وإياك وقياس صفات الله على صفاتنا.

كلامه اللفظي معلوم له   من أزل لأبد وعنده

يكفي وجوده بوصف القدم   في علمه المقدس المكرم

<61>

فاعترضوا عليه قالوا: إنه … صورته العلمية لا نفسه

والبحث عن كلامه الملفوظ … وخطه في لوحة المحفوظ

وعلمه بذلكم معلوم … وبكلام غيره محتوم

قلت بعون الله ذي الجلال: … إن لدينا أحسن المقال

فأولاً منشأ ذي الأقوال … قياس وصف الله ذي الجلال

على صفاتنا وذا اشتباه … عن ذلك القيس تعالى الله

وثانيا ثبت بالتواتر … عن الرسول سيد الأكابر

كذا بإجماع من الأعلام … أن الإله صاحب الكلام

وذاك وصفه ومنه يلزم … قدم وصفه وذا مُحتَّم

علم أن كلامه قديم … وصف كمال قدره عظيم

﴿وكلم الله﴾ من القرآن … نقرأه بكل اطمئنان

ولا مجال للمجاز هاهنا … لا منع من حقيقة مبينا

فشرحه بالخلق للكلام … شرح بعيد عن هدى الإسلام

والسر، أن ضده بكم خرس … عيب ونقص عند من له نفس

فالبكم والخرس بالإطلاق … ليسا بلائقيْنِ للخلاق

ووصفه النفسي[49] دون منّه   وصف قديم عند أهل السنة

فيقتضي القدم للفظي   لأنه من مقتضى النفسيّ

<63>

[49] قول الناظم: ووصفه النفسي الخ: هذا معنى ما اشتهر أن الكلام النفسي قديم، وأجمع عليه الأمة الإسلامية من السلف قبل ظهور البدع والأهواء.
وإن شئت قلت: إن الله أسند التكليم في القرآن إلى ذاته، والمتبادر منه أن المسند ما يسمى عرفا بالكلام وهو الألفاظ الدالة على المعاني، ولما كان الكلام اللفظي لا يرجع إلى السمع والبصر والحياة والعلم والإرادة وفي إرجاعه للقدرة اشكال، قرروا أن مرجع الكلام اللفظي هو الكلام النفسي.
ولما امتنع قيام الحوادث بذاته تعالى حكمنا بقدم اللفظي والنفسي كليهما.
ثم إن لفظ الكلام مشترك بين النفسي واللفظي مما نزل به الروح الأمين على الرسول صلى الله عليه وسلم، وما حفظه الأمة الإسلامية أو كتبوه أو علموه وتعلمه الناس، كما أنه مطلق على القليل والكثير، فالكلام أو القرآن مستعمل بطريقة الاشتراك المعنوي للقدر المشترك بين الجميع.
فمن أنكر كون الكلام المتلو عندنا كلام الله، أو أن المكتوب في المصاحف أو الأجزاء، أو أن ما قرأه جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم كلام الله تعالى فهو كافر. أما الكلام النفسي فظاهر، وأما الكلام اللفظي فلانه على اعتبار قدمه فهو كالكلام النفسي، وأما على تقدير القول بحدوثه فلأنه ليس لغير الله تعالى علاقة، ومنشئية له، فإنه ليس كلام الملائكة، ولا الجن، ولا كلام البشر، وإنما هو من الله تعالى سواء بأية جهة من الجهات تلقاه جبريل من الله تعالى، وهذا الحكم شامل لكل كلام من الله تعالى نزل على أي رسول من المرسلين، من سيدنا آدم إلى سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.
ومما يجب أن يعلم ويعتقد أن كنه صفات الله تعالى مثل كنه ذاته في أنه غير معلوم لغيره تعالى. سواء قلنا بامتناع العلم به أو بتعسّره كما قال القائل نظماً:
كنه ذاته مثل الصفات ^^^ غير معلوم للمخلوقات.

لو قلت بالحدوث للألفاظ
أتاك عيب منكر اللحاظ

وهو قيام الحادث بذاته
جل عن العيب وعن سماته

فكل ما يفهم من كلام
لفظا ومعنى قام بالعلام

وكله معني قديم الشان
قام بذات ربنا المنان و

كيف كان الربط للألفاظ
بذاته يفهم للحفاظ

والمنع من قيام الألفاظ به
مرتفع عن عاقل منتبه

إذ كون الألفاظ بترتيب لنا
لا يوجب الترتيب في إلهنا

إذ ليس ترتيب له بواجب
عند قيامه بذات الواجب

وليس واجباً علينا علمه
كباقي الأوصاف القديمة له

فرؤية المؤمن لله العلي
ثابتة في جنة وتنجلي

ومالها شروطها المعتادة
لرؤية الشاهد حسب العادة و

وكل أوصاف له ذاتية
ليس لها شروطها العادية

حياته ليست ببينة ولا
علمه بالمخ له قد حصلا

إرادة الباري بدون الاشتهاء
تتبع علمه بدون الانتهاء

قدرته ليست من الأعضاء،
وسمعه غني عن الهواء

بصره حق بدون حدقه
وكلها حقيقة محققة

فلا تقس صفات ذات الباري   على صفات الممكن المختار

صفاته كالذات في اكتناه   تبعد عن كشف العبيد اللاهي

وعينها كالمتشابهات[50]   تأويلها عند جناب الذات

ولو رأيت الفكر عنها عاجزا   آمن بها ولا تكن مجاوزا

اذ دركها ممتنع للممكن   ففوض العلم الى المهيمن

وأدرج الكلام في الكمال   اثبت كلامه بكل حال

ليس مبرر لأي جاحد   إلا قياس غائب بشاهد

وذلك القياس ما فيه قبس   من نور حق بل ضلال وتعس

إن قلت[51] الترتيب في الألفاظ   من لازم الذات على اللحاظ

خلافه ممتنع في اللحظ   فيستحيل قدم للفظ

اجبت ذاك لازم للفظنا   لا لوجود اللفظ عند ربنا

مثاله كسائر الصفات   فلا تكن في شبهة الظلمات

وحاصل الكلام كل ما يرى   من عادة الألفاظ فيه لايُري

للفظة القدم لا للفظنا   وانظر الى الحق بعين لحظنا

<65>

---

[50] قول الناظم: وعينها كالمتشابهات: يعني أن إسناد تلك الصفات إليه تعالى كإسناد باقي الأمور المستفادة من متشابهات الآية. فكما أنه يجب الإيمان بها، وإحالة تأويلها الى الله تعالى وجب الإيمان بإسناد الصفات إليه تعالى، وتحويل كيفيتها إلى علمه تعالى، وذلك هو الطريق الأسلم لكل إنسان، وما دام الفكر عاجزا عن غير ذلك فلا تتجاوز ولا تتعب فكرك، واشرح صدرك بالآيات الواردة في الموضوع.

[51] قول الناظم: إن قلت مع جوابه: معناه أن اللوازم المعلومة لنا في الصفات الذاتية والصفات الفعلية، كالرؤية من لوازمه فيما يدور بيننا لا مطلقا، فإن لوازم الحادث كملزومه، ولوازم القديم كملزومه أيضا.

ثم انظرن أن كيف ربي علم[52]   آدم الأسماء وقد تعلّم

ألم تكن الفاظ تلك الأسما   مأخوذةً من ذات حق أسمى؟

ألم تكن ألفاظها كلامه   وقارنت الفاظه إلهامه

الحصى[53]   في يد أحمد وبعض الخلفا

<66>

---

[52] قول الناظم: ثم انظرن ان كيف ربي علم. معناه أن ظاهر قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة/31) أنه سمع أسماء الأشياء كلها من ربه تعالى، وإن كانت كيفية تعليمها له مجهولة، وهناك ثبت أن الله تكلم بتلك الأسماء، وفهمها منه عبده آدم عليه السلام.

[53] قول الناظم: وقد علمتم صوت تسبيح الحصى. يعني أنه ثبت عندكم أنه قد سبحت الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم، وأنه سمع ذلك التسبيح مع أنه لا لسان للحصى فكيف تحقق التسبيح، وهو بالألفاظ المعينة بصورة تخالف العادة وتخرقها ؟ كما أنه علمتم أن الله تعالى نادي الجبال ودعاها للتسبيح مع عبده داود على نبينا وعليه السلام، مع أن الجبال ليس لها اللسان، ولا إبداء الحروف من مخارجها وقد علمتم أن الله تعالى أخبر بأن كل شيء يأتي بالتسبيح لله، وأن هذا التسبيح ليس بلسان الحال بقرينة قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الاسراء / 44) لأن فهم إسناد التسبيح إلى الجوامد بلسان الحال مفهوم وسهل لكل عاقل، وإنما أراد أنها تأتي بتسبيحات بعبارات مفيدة، ولكن أنتم لا تفقهون كيفية التسبيح. ومعنى ذلك كله أن الإتيان بالكلام اللفظي بغير الطريقة المعتادة ثابت، فليكن كلامه اللفظي هكذا.
ورحم الله من قال: ان ثبوت واجب الوجود واتصافه بالكمال التام ثابت.
ومن جملة الكلام المخالف للسكوت والآفة الكلام اللفظي، فيثبت له تعالى، فكما آمنتم بثبوت ذات الواجب آمنوا بثبوت صفاته الكمالية، ومنها الكلام اللفظي، ولا يمنع المؤمن من هذا الإيمان جهله بكيفية ثبوته للباري تعالى، كإيمانه بحياته وعلمه وباقي صفاته بدون معرفة كيفية اتصافه تعالى بها، هذا والله الهادي إلى الصراط المستقيم.
وكلنا مؤمن بأن اللوح المحفوظ، وكل ما رقم فيه حادث، لكن الكلام اللفظي المرقوم في اللوح قديم قائم بذاته، كما يعلم هو أن جبريل حادث، وأن الألفاظ التي قرأها وقرأها الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته من حيث تلفظنا بها حادث، ولكنها بالنسبة الى الباري تعالى قديمة قائمة بذاته ومجردة عن موجات الحدوث، لكن لا نعلم كيفيته ونحولها إلى الله العلي العظيم.

ودعوة الجبال للتسبيح — مع عبده داود بالتصريح و

كل شيء جاء بالتسبيح — سبح بالتصريح لا التلميح

وليس من تلفظ اللسان — فكيف كان؟ هات بالبيان

وليس تسبيح لسان الحال — ﴿لا تفقهون﴾ حجة الكمال

فآمنوا بالقدم القدسي — لوصفه اللفظي والنفسي

فرحم الله الإمام الأشعري — عبر بالمعنى بتعبير حري

ويشمل المعنى بمعنى القائم — بالغير للأمرين عند العالم

فائدة رافعة الأوهام — في سلطة القدرة للكلام

صفاته بعض بلا تعلق[54] — والبعض ذو تعلق محقق

<67>

---

[54] قول الناظم: صفاته بعض بلا تعلق. اراد بهذا البعض كل الصفات الا صفة الحياة من العلم وغيره. قال المحقق السيالكوتي في تعليقاته على الخيالي حاصله: إن تعلقات علمه على نوعين:
تعلقات في الأزل، من غير أن يكون مقيدة بالزمان شاملة لجميع ما يمكن تعلق العلم به من الأزليات، لكن تعلقاته الأزلية بالمتجددات باعتبار أنها تتجدد من غير أن يكون مقيدا بالزمان، بل على وجه كلي كما يتعلق بالأمور الكلية الغير المتجددة على ما مر تحقيقه، وهذه التعلقات قديمة غير متناهية بالفعل ضرورة عدم تناهي متعلقاتها، أعني جميع ما يمكن أن يعلم من الأمور الكلية الأزلية والمتجددة لشموله الممكن والممتنع والواجب.
وتعلقات فيما لايزال مختصة بالمتجددات باعتبار أنها متجددات في زمان الحال والاستقبال، وهذه تعلقات حادثة متناهية بالفعل، ضرورة حدوث متعلقاتها وتناهيها سواء كانت مجتمعة أو متعاقبة في الوجود، لأن كل ما هو موجود متناهٍ، ولا يلزم من تغير المتجددات بحسب تجدد الأزمان وتبدلها تبدل ذات الواجب من صفة إلى صفة، كما زعمت الفلاسفة؛ لأن ذلك لا يوجب تغيرا في صفة العلم، بل في تعلقاتها التي هي أمور اعتبارية وإضافية ولا فساد فيه. وهذا ما عليه الجمهور، وذهب بعض المحققين إلى أن علمه تعالى بالمتجددات بأنها وجدت، والعلم بأنها ستوجد واحد فلا حاجة إلى اثبات تعلقات حادثة لعلمه تعالى بالمتجددات باعتبار وجودها، فإن من علم أن زيدا سيدخل الدار غدا فعند حصول العلم يعلم بهذا العلم أنه دخل الآن الدار، إذا كان علمه هذا مستمرا بلا غفلة مزيلة له، وإنما يحتاج أحد إلى علم آخر متجدد به فيعلم أنه دخل الآن بطريان الغفلة عن الأول والباري تعالى يمتنع الغفلة عليه فيكون علمه بأنه وجد عين علمه بأنه سيوجد، وإنما قال متناهية بالفعل لأن تلك التعلقات غير متناهية بالقوة، بمعنى أنها لا تنتهي إلى حد لا يتصور فوقه تعلق آخر، لأن متعلقاته أيضا غير متناهية بهذا المعنى على ما مر في تحقيق: أن مقدورات الله تعالى غير متناهية. انتهى المقصود من عبارته.
قول المحقق: وهذه التعلقات قديمة غير متناهية... سره أنه علم للذات الأزلي الأبدي بمجموع ما يمكن العلم به وهذا العلم غير متناه.

تخلو حياة الحق من تعلق   بأي أمر سابق أو لاحق

لعلمه تعلق في الأزل   على الحكاية لكل حاصل

<68>

وعلمه القديم شامل له　　　ولكلام غيره فانتبهوا

وشامل لذاته بالذات　　　كنهاً ووجهاً وعلى الصفات

ليس له علاقة التأثير　　　في أي شيء فافهموا تقريري

لكنه علاقة الحكاية　　　فادر كلامي دون ما شكايه

فالعلم يحكي صورة الكلام　　　نفسا ولفظاً حسب المرام

تعلق الارادة القديمة[55]　　　يتبعها بصورة سليمة

<69>

---

[55] قول الناظم: تعلق الارادة القديمة، يعني أنه اذا تعلق علم الباري بوجود شيء في المستقبل، تعلقت إرادته بوجود ذلك الشيء على حسب العلم فيوجد قطعة، وإذا لم يتعلق بوجوده أي علم أنه لا يوجد لم تتحقق الإرادة لوجود ذلك ولا تتعلق به. وهذا معنى الحديث الشريف: ((ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)).
وأما تعلق قدرته بالأشياء فهو مبني على عدم اعتبار التكوين صفة لله تعالى، وحينئذ يكون لقدرة الباري تعالي بالنسبة إليها تعلقان: تعلق ازلي غير تنجيزي وغير مؤثر بالفعل لأن القدرة تابعة للإرادة التابعة للعلم، فكيف جاء السابق يأتي اللاحق. وتعلق حادث في ما لايزال، للتأثير في الشيء المراد وجوده حسب علمه تعالى به.
وأما إذا اعتبر التكوين، فالتعلق التنجيزي من التكوين ولا حاجة الى تعلق القدرة بذلك الشيء.
وأما السمع والبصر ؛ فإذا رجعناهما الى العلم فالتعلق كما سبق في العلم. وأما إذا لم نرجعهما إليه فلهما تعلق بالمسموع والمبصر عند وجودهما، وذلك التعلق استقبالي. وأما بحسب الأزل فيكفي تعلق العلم بهما على ما سيكونان.
وأما الكلام فتعلقه بما يتكلم عنه الباري واضح بالأمر والنهي والإخبار عنهم، وبيان عاقبة أعمالهم، كتعلق السمع والبصر بما يسمع ويبصر من المسموعات والمبصرات، وكذلك تعلق الكلام النفسي باللفظي بكونه مبدأً له ومتبوعاً.

أي أن علمه بفعل إذ جرى   تتبعه إرادة بلا مرا

لكن قدرة الإله الباري   بالخلق والتأثير في الأغيار

معلقاً في أزل وإنما   ينجِّز في خلق ما قد علما

فقدرة الباري لها تعلق   في وحي الألفاظ على ما حققوا

كذاك في ترقيمه في اللوح   بنهج ما بلغنا من شرح

لكنها ليس لها تأثير   في نفس ألفاظه يا بصير

لأنها لازمة للنفسي   فهي قديمة ووصف قدسي

وليس للقدرة تأثير بدا   في ما هو القديم قطعا أبدا

فخرج الكلام عنها مطلقا   نفساً ولفظاً حسبما تحققا

فعُلقةٌ اللفظي بالنفسي   قديمة بالمنهج المرضي

وليس للعلم وللأرادة   علاقة في الذات والوجادة

أما تعلق الكلام النفسي   بذلك اللفظي فأمر قدسي

كلاهما فرد من الصفات	كذا أخذناها من الصفاة
ولا مجال لقيام وصف[56]	من الحوادث به في العرف

<71>

[56] قول الناظم: ولا مجال لقيام وصف. معناه إنا نؤمن بأن الله تعالى واجب الوجود، وموصوف بكل صفة كمال أزلاً وأبداً، ومنزه عن الصفات التي يشعر ثبوتها بنقص في حقه تعالى.
وأما اتصافه أو إسناد التعلقات إليه فلا بأس بها ؛ لأنها ليست صفات ذاتية، بل تعلقات الصفات، وهي أمور اعتبارية.
ثم يقول: ويطلق كلام الله في العرف الشرعي على ما مر من الكلام النفسي المبرَّء عن الحرف والصوت الذي ضده البكم والخرس والآفة النفسية التي هي نقص في حقه تعالى، وهي صفة واحدة بالشخص لا تعدد فيها، وتقسيمها إلى الأمر والنهى وغيرها، إذا سلّمناها، فهي من حيث تعلقاتها كقوة الإبصار، وهي واحدة وتتعلق بالأبيض والأسود.
ويطلق الكلام أيضا على الكلام اللفظي، لكنه بالنسبة إليه قديمة قائمة بذاته بدون وجود مانع من قيامها به على وجه يعلمه هو، كما أنه حي وعليم ومريد وقدير وسميع وبصير بدون تحقق لوازمها الموجودة عندنا عند الباري تعالى، ونحولها إلى علم الله تعالى وكذلك كل ملفوظنا ومقروئنا ومرقومنا عندنا تتحقق بوجه يقارن الحدوث، ويتحقق في الباري بوجه القدم، كما يقال إن تلفظنا وترقيمنا حادث والألفاظ المرقومة بالنسبة اليه تعالى قديمة.
وإطلاقه على ما مر إما بصورة الاشتراك في المعنى أي أن الكلام موضوع لما هو يسمى كلام الله تعالى كلاً أو جزءً بادئا ومبدءً، أو بصورة الاشتراك اللفظي، أي أنه وضع من طرف العباد. مرة للكلام النفسي ومرة للفظي وهكذا، ولكن الصورة الأولى أظهر وأنزه ؛ لأنه بعيد من علاقة وضعه لها من جهتنا. فيكفر من أنكر كون شيء منها كلام الله تعالى، لأن حكم الدال والمدلول، واللفظ ومبدئه عندنا واحد، وعند الله تعالى كذلك على ما ذكرناه.
وكذلك ألفاظ الأحاديث القدسية، فإنها كما حققه الشيخ ابن حجر الهيتمي وسلمها العلماء الأفاضل مثل القرآن نزلت من الله تعالى بواسطة الملك، لكنها ليست معجزة كألفاظ القرآن، ولا متعبداً بتلاوتها، ولا يحرم مسها بالحدث، وكل حديث قدسي لم يبلغ درجة الإجماع لا يكفر من أنكره أي أنكر نسبته إلى الله تعالى، هذا هو الحق الحقيق بالتسليم.
ومما ينبغي علمه لدفع الاشتباهات، أن قول العلماء رحمهم الله تعالى بأنه تواتر عن الرسل الكرام أن الله متكلم ما أرادوا به أنه كانت جملة واحدة سمعت من جميع الرسل عليهم السلام أن الله تعالى متكلم، لأن الرسل الكرام كانوا على ألسنة ولغات مختلفة حسب الأمة التي أرسلوا اليها كما قال تعالى: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (فاطر/24). فذلك التواتر ممتنع عادة، بل أرادوا أنه ثبت من رسولنا صلى الله عليه وسلم على ضوء ما نزل في القرآن الكريم من نزول الصحف عليهم أن الرسل متفقون على مفهوم واحد وهو أن الله تعالى متكلم. ومعنى ذلك أن الله تعالى صفة الكلام، لأنه كمال وضده وهو البكم والخرس والسكوت تقص، والله منزه عنه. وبعد ثبوت أن الله له صفة الكلام، علموا أن الكلام ليس صفة الحياة، ولا العلم ولا الإرادة ولا القدرة ولا السمع ولا البصر، فثبت أنه صفة غيرها، وما رآه المعتزلة من أن التكلم بمعنى القدرة على الكلام، فالكلام هو ذلك

ويطلق الكلام في العرف على ... ما مر من كلامه جل علا

نفسياً أو لفظياً أو مرقوما ... لله أو لغيره معلوما

<72>

فقط، وليس الكلام اللفظي صفة للباري، وانما صفته القدرة على خلق الكلام في الهواء، أو شجرة مثلاً، فهو من البدع المختلفة بعد عهد الرسول والصحابة، لأن العدول من المعنى الحقيقي المتبادر إلى المعنى المجازي اي خلق الكلام لا داعي ولا موجب له وكذلك إنكارهم للكلام النفسي أيضا، لان ضد الكلام النفسي هو الخرس النفسي، وهو محال في حقه تعالى ونقص تعالى عنه، وهو ليس من قبيل الحرف والصوت، ولا مانع من قيامه بذاته، بل يجب قيامه به ؛ لأن ضده نقص له.

بقي قيام الكلام اللفظي بذاته، والذين منعوا من قيامه به شبهتهم أنه مركب من الحروف والأصوات المتعاقبة الحادثة. والمحققون رفضوا مبدأ هذه الشبهة من حيث أنه قياس الغائب على الشاهد، وذلك فاسد، بل قيامه به على وجه يليق به تعالى، كقيام الحياة والعلم والسمع والبصر بدون الحاجة إلى ما تحتاج إليه في الشاهد، فهو قائم به على وجه يليق به، وإلا يلزمهم نفي الرؤية الله تعالى في الآخرة، مع إجماع اهل السنة عليها، فآمن بقيام اللفظي كالنفسي وقدمه مثله تأمَن من مخالفة ظواهر الكتاب والسنة السنية.

بوصفه الخاص المعنى واحد ... أي ما يسمى بكلام الماجد

أو باشتراك لفظة الكلام ... في كلها بحسب المقام

فيكفر النافي لذا الاطلاق ... معذب في ساعة التلاقي

لأن حكم الدال والمدلول ... موحد في عرفنا المعقول

إلقاؤه في نفس جبرائيل ... مثال ما لآدم الجليل

علم آدم الأسامي كلها ... أي كل ما دل على معنى لها

<73>

أسماءً أو أفعالاً أو حروفاً — مفرداً أو مركباً معروفا

ليغلي الملكَ بالإنباء — فانظر الى شرف الأنبياء

كذاك ألفاظ الحديث القدسي — جاءت من الله لمولى الإنس

مع أمين الوحي لكن لم تكن — معجزة فافهم وصن ولا تخن

فانظر دقيقاً في كلام الحق — لعلنا نحظى ببعض الرفق

وبعد أن تقرر القدم في — صفته النفسي واللفظي الصفي

لا بأس في حدوثه الملحوظ — برقم في لوحة المحفوظ

كذا حدوث اللفظ في التنزيل — مع أمين الوحي جبرائيل

أي أخذه من الجهة العليا[57] — ثم النزول لسماء الدنيا

ووضعه في بيت عزة كما[58] — جاء به الآثار عند العلما

<74>

---

[57] قول الناظم: أي أخذه من الجهة العليا. بيان لما ذكرناه آنفا من وجود أحوال هي من سمات الحدوث عندنا. وأما الكلام اللفظي في ذاته قديم وصفة لله تعالى.

[58] قول الناظم: ووضعه. إيضاح وإظهار لما اشتهر من المشايخ أن القرآن الكريم كله نزل بإلقاء الباري تعالي إلى جبريل، وأتى به جبريل إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾. (الدخان / 1-3) وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر/1) وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، (البقرة/185) وأبقاه هنا بصورة كتاب مرقوم كما في اللوح المحفوظ، أو بنوع آخر، وكلما اقتضى أمر الله تعالى بنزول مقدار منه إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أخذ ذلك القدر ونزل به إليه، ولكن هذا الوجه ليس أمراً من الأمور التي يجب اعتقادها، وإنما المعروف المعتقد أن مبدأ نزوله من الله تعالى بسفارة الملك جبريل إلى الرسول، كان في رمضان. ثم تتابع الوحي لجميعه في مدة ثلاث وعشرين سنة، وأول ما نزل منه آيات من سورة العلق مفتتحة بقوله تعالى ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ كما ثبت ذلك، وآخره آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (البقرة / 281) من أواخر سورة البقرة كما هو معروف، ثم يقول: وكل صفات تؤيد الحدوث من قبيل العوارض المشخصة له بالنسبة إلينا، لا بالنسبة إليه تعالى، كما ذكرناه مرات.

تنزيله إلى الرسول الأكرم ... مرشدنا الى الطريق الأقدم

قراءة منه ومن أمته ... ودرسه مبتغياً لرحمته

وكل ذاك حادث وآتي ... من ارتباطها بممكنات

لان لفظه القديم وصفه ... يؤول نحو علم ربي كشفه

وهذه تشخصات جارية ... عن حكم وصفه القديم عارية

تشخصات تجري للإمكان ... بحسب الزمان والمكان

كان يكون سيكون فيه ... على حسابنا إذ نبتغيه

أما بنسبة له تعالى ... لا ماضي لا حال لا استقبالا

فلا تَمَلْ من فهم هذا الأمر ... وادعِ وقل: ياربي اشْرح صدري

كلامه اللفظي والنفسي[59] ... ورَقَمٌ في لوحِهِ شخصيّ

<75>

---

[59] قول الناظم: كلامه اللفظي والنفسي إلخ، بيان ملما ثبت أن لكل موجود في الواقع وجودات أربع: عينية، أي ذاتية. وذهنية، ولفظية، وخطية، يقول الوجود الخطي على اللفظي، واللفظي على الذهني، والذهني على العيني. مثلا تقول: مجموع الخطوط المرقومة من القرآن وجوده الخطي، ويدل على الألفاظ دلالة وضعية عقلية، والألفاظ تدل على صورتها الذهنية القائم بأذهان الذين حفظوها، كالحفاظ المعروفين. وهذه الصور الذهنية تدل على واقع الكلام اللفظي القديم عند الله تعالى وهذا هو اللايق بالبيان وفقنا الله على الايمان به حقا وصدقاً.

لها وجودات وتلك أربع	خطيها لفظيها المستمع
ذهنيها عينيها في الواقع	متفق حق بلا منازع
أولها دال على الثاني وذا	دال على ذهنيه وحبذا
وذلك الذهني قد دل على	عينية الوصف له جلَّ علا
هذا هو اللائق بالبيان	وفقنا الله على الإيمان
أدلة الصفات نقلاً واضحة[60]	مثل النجوم في السماء لائحة

<76>

[60] قول الناظم: أدلة الصفات إلى قوله: لكن ما توقف النقل عليه. بيان لما أجمع عليه الأئمة من أن الله تعالى واجب، ووجوب الوجود منبع الكمال والنزاهة عن النقص، فلزم من ذلك اعتبار صفات سلبية عقلية اعتبارية له تعالى، وهي الوحدة والقدم والبقاء والاستغناء عما سواه، وعدم مماثلته له، كما لزم الاعتراف بثبوت صفات ثبوتية واقعية له تعالى، وهي: الحياة، والعلم، والارادة، والقدرة، والسمع، والبصر والكلام.

والفرق بين السلبيات والثبوتيات من حيث الذات أن الثبوتيّات امور ومعان ثابتة في نفسها ويترتب عليها آثارها كالحس والحركة الإرادية من صفة الحياة، وكشف الأمور من العلم وتخصيص بعض ما هو مقصود من الأمرين أو الأمور من صفة الإرادة والآثار الموجودة من القدرة، فالقدرة أمر معلوم ثابت. وهكذا.

وأما السلبيات فليست بمعان ثابتة في أنفسها، وانما هي منتزعة من مبدأ موجود، كالوحدة المنتزعة من زيد باعتبار أنه شخص واحد، والكثرة له، باعتبار اجزائه الموجودة. فإن كان لها مبدأ انتزاع في الواقع فهي من الاعتبارات الصحيحة، وإلا فهي أشياء باطلة، كملاحظة النمو للجوامد والبياض للأسود.

والوحدة واخواتها معتبرة ومتفرعة من أصل ذات متصف بوجوب الوجود والكمال المطلق.

والاعتبارات منها سلبيات كالوحدة وأخواتها. فانها بمعنى عدم التعدد، وعدم البداية للوجود وعدم النهاية له، وهكذا. ومنها ثبوتيات كما يعتبر من اتصاف الباري بصفاته الثبوتية، من كونه تعالى حياً وكونه عالما وكونه مريداً وكونه قادراً وكونه سميعاً وكونه بصيراً وكونه متكلماً.

وهي الصفات المشهورة بالمعنويات، أي الاعتبارية الثبوتية الواقعية.

إذ كل مشتق من الصفات … بينة دلت على الاثبات[61]

مادام مبدءً لها موجود … معناه وصف ثابت محمود

فالعلم والحياة والإرادة … والقدرة موجودة زيادة

ليست كما صفاتها السلبية … لأنها معقولة ذهنية

لا ريب فيها وهي واقعية … لكنها في العقل لا عينية

أما بوجه العقل فالدليل … على الصفات كلها جليل

إذ كلها من صفة الكمال … وغيرها نقص من المحال

وكل برهان بحق الذات … ايضاً كبرهان على الصفات

فان ذات واجب الوجودِ … له كمال مطلق الحدود

آمن بها فانها موجودة … ومن كمال ذاته معدودة

<77>

---

[61] قول الناظم: إذ كل مشتق من الصفات الخ. استدلال على ثبوت الصفات الثبوتية المشهورة بصفات المعاني. ولكن لا يتم الدليل بمحض ما ذكر إلا مع ضميمة، والمبادي المشتق منه أمور لها آثارها، وإلا فنحن نقول: الله واحد والله قديم والله باق، مع أن الوحدة والقدم والبقاء من الصفات السلبية الاعتبارية الواقعية.

لكن ما توقف النقل عليه[62] لا يستدل من نقولنا عليه

مثل الوجود والحياة كذا قدرته إن بالعموم أخذا

والحق أن نظم هذا العالم[63] بسفله وعلوه مع أنجم

<78>

---

[62] قوله: لكن ما توقف النقل عليه. إيضاح لما تقرر عند الأئمة أن الصفات الكمالية الثابتة له تعالى ثابتة بالأدلة العقلية والنقلية، إلا ما توقف النقل عليه، وذلك مثل وجود الباري تعالى، فلا يثبت بالدليل النقلي، لأنه مالم يوجد الباري تعالي لا يمكن بعث الرسول، وإنزال الكتاب عليه، فلو أثبت وجود الباري به لزم منه فساد الدور. ومثل الوجود في ذلك صفة الحياة، لتوقف النقليات عليها. وكذلك القدرة بالمعنى العام أي القوة المؤثرة مطلقاً إيجاباً او بالاختيار ؛ فإنه إذا فقدت هذه القوة لا يمكن الخلق ولا بعث الرسول. فلا تثبت بالنقل. وأما القدرة بالمعنى الخاص وهي القدرة المؤثرة وفق الأرادة فتثبت بالنقل. لأن ثبوت النقل موقوف على وجود ذات له القوة المؤثرة، لا على ذات تؤثر بالإرادة، لأنه مع القوة المطلقة يمكن البعث، وإنزال الكتب وكذلك ثبوت الكلام اللفظي، فلا يثبت الاستدلال عليه بنفس الكلام اللفظي كما ذكره العلماء الأصوليون في الكتب المعتمدة.

[63] قوله: والحق أن نظم هذا العالم الى آخر الابيات المعدودة بعده إشارة إلى أن الإنسان العاقل المتصف بالإنصاف عند نظره بالعين، وتفكره بالعقل في العالمين: السفلي والعلوي، وما احتويا عليه من الدوام والاستمرار على هذا النظام البديع وملاحظة الليل والنهار، والبراري والبحار، ونظر في أوضاع العالم من رعاية الجوامد والنوامي والحيوان والإنسان، وما يعرض على أعماله الخير والشر، ثم نظر إلى شخصه روحا وبدناً وعقلاً وحاسة، وضعفه وقوته، وحزنه ومسرّته، ومرضه وصحته، والأمور المودعة فيه من العوامل الدقيقة اللطيفة من السمع والأبصار والتفكر والأنظار وحركة القلب والمعدة، وأعمالها المتقنة بدون علاقة من أصحابها علم علما واضحا بوجود واجب الوجود الكامل المطلق كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (فصلت/53) وعلم أنه متصف بالكمال لم يزل ولا يزال والله المعين.

مع دوران كامل النظام   بوجه الاستمرار وانتظام
ينطق حقاً بوجوب ذات   متصف بكامل الصفات
والشمس بالشعاع تستنير   شعري ومعها قمر منير
وانجم مشعة حزام   كخادم له الهدي نظام
والزهر فاتح فم ابتسام   مُسبِّحاً للقادر العلام
وإن ترى شيئاً من السلوب   فليس في العالم بالعجيب
فالقادر الكامل ذو جهات   في حكم إيجاب وسلبيات
يقبض يبسط يذل يمنع   يحيي يميت ويعز يرفع

أسماؤه تعالى

انجلت[64] اعدادها تسع وتسعون جلت

مما عدا اسهم الذات والصفات للسلب كانت أو على اثبات

<80>

---

[64] قول الناظم: اسماؤه الحسنى الخ. اعتاد علماء الأصول ذكر الأسماء بعد البحث عن صفاته تعالى، لدلالتها عليها، فاقتديت بهم في ذلك.
وهنا أمور: الأمر الأول: ان اسماءه تعالى توقيفية، أي أن استعمالها يحتاج إلى توقيف وإعلام من الشرع الشريف، ولا يجوز استعمال غير ما ورد في الكتاب والسنة عند الجمهور، لأنه لا يأمن الإنسان من الوقوع في ورطة استعمال اسم لا يليق به تعالى، لقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (الأعلى/1).
الأمر الثاني: إنه لا ينافي ما روي من كثرة اسمائه تعالى ما روي من قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة))(رواه البخاري والترمذي واحمد بن حنبل) أما لأن العدد لا مفهوم له، فيجوز أن يكون له تعالى أسام كثيرة، وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم منها هذا العدد، وإما لأنه يجوز أن الاسماء المحصورة في ذلك العدد مختصة بقدسيات لا توجد في غيرها، ولذلك قال: ((من احصاها دخل الجنة))، وذلك لتفاوت الأسماء في درجات القدسية، فإن لفظ الجلالة ((الله)) يدل على الذات الواجب الوجود الموصوف بالكمال المنزه عن النقص، لكونه علماً له تعالى، بخلاف باقي الأسامي.
وقد عدّ بعض لفظ الجلالة من أعظم الأسماء، ولم يستعمل لغير ذاته تعالى، وكذلك لفظ الرحمن معرفاً باللام، بخلاف غيرهما، كالرؤوف والرشيد والصادق.
الأمر الثالث: إن من هذه الأسماء ما يدل على الذات الواجب، ووضعه الله علماً لنفسه، ومنها ما يدل على صفات المعاني، كالحي والعليم والقدير، ومنها ما يدل على صفاته الفعلية، اي تعبيرات عن تعلقات قدرته بالكائنات كالمعز والمذلّ والرافع والخافض، ومنها ما يدل على صفاته الخمس الجلالية، كالواحد، والباقي، والقديم، والصمد، والغني، والمتعال.
الأمر الرابع: إن الدعاء أي الطلب من الله والاسترحام يجوز بها، لقوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (الاسراء / 110) وإن الدعاء غير الذكر، فإن الذكر قد لا يكون بصورة الدعاء مثل ان يقول الذاكر: الله الله الله، فإنها لبركتها وقدسيتها كان التلفظ بها وتكرارها، أو ملاحظة معانيها ينور القلب، ويشرح الصدر، قال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد/ 28) وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة / 152). وقال صلى الله عليه وسلم مما رواه عن ربه: ((من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملا ذكرتُه في ملأ خير منهم...))(رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي). ويشير إلى هذا الوجه ما روي في الحديث الشريف: ((لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على الأرض من يقول: الله الله)) (رواه احمد والترمذي ومسلم عن أنس).
فلا قيمة لقول الجاهل الذي ادعى أن الأسامي المذكورة بصورة الأسماء المعدودة لا جواز لذكرها، فان كلامه نشأ من جهله بمعنى الذكر وعمومه لوجوه كثيرة، من التكرار على حيالها وذكرها في النداء والدعاء، ومن ذكرها بالخيال الصافي بالقلب كما هو معتاد العارفين.

صفات أفعال مظاهر لها		في القبض والبسط على التجلي

وكلها مظاهر التجلي		بدون حصر وبدون انتهاء

<81>

من كان أحصاها بايمان بها … وعاملاً حَسَبَ اقتضائها

دخل جنة الخلود آمنا … في روضة الرضا بحق ساكنا

نسأله أن يتجلى بالكرم … على قلوبنا بإحسان أتم

الأشعري[65] … فاعتبار العقل للمعتبر

معناه الاستمرار للوجود … او من سلوب فهو لا وجودي

كذلك التكوين للمقدور … من فكرة الشيخ أبي منصور

تعلق القدرة بالمقدور … وليس وصفاً ذا وجود نوري

صفاته طال الكلام فيها[66] … فمن أولاء كــان من يَنْفيهــا <82>

---

[65] قول الناظم: أما البقاء عند الشيخ الأشعري. بيان لصفتين إختص بذكرهما من الصفات إمامان في اعتقاد المسلمين وهما: الشيخ علي أبو الحسن الأشعري، حيث جعل البقاء صفة زائدة على السبع، والشيخ أبو منصور الماتريدي، حيث ذكر التكوين صفة زائدة عليها دون البقاء ورد عليهما الأصوليون بأن البقاء عبارة عن استمرار الوجود، وما دام الوجود معدودا فيها فلا داعي لزيادة صفة البقاء، لأن وجوده تعالى وجود واجب باقي، وإن التكوين عبارة عن تعلق صفة القدرة للباري تعالى بالمقدورات.
والتعلقات أمور اعتبارية لا من صفات المعاني، ولا من الخمس الجلالية.

[66] قول الناظم: طال الكلام فيها إلخ. يقول إن علماء الكلام طال كلامهم في صفات الباري وجوداً وعدماً، وعلى تقدير وجودها عيناً وغيراً ؛ فمنهم من خالف ظواهر النصوص الدالة على وجودها، وحكم بالانتفاء لشبهة التمكن من وحدة الذات جاهلة أو غامضة للعين بأن وجود الصفات القائمة بذاته تعالى لا ينافي توحيده ووحدته، فان الواقع وحدة ذات الواجب وهو واحد ولو قامت به صفاته الكمالية.
ومنهم من قال بوجودها واثبتها، ولكن تاه وحار في إيضاح القول بوجودها وزيادتها على الذات، فقال: إنها ليست عين الذات لبداهة أن الوصف ليس عين الموصوف، ولخوف القول بتعدد القدماء قال: إنها ليست غير الذات كما أنها ليست عينها، ولما ورد الاعتراض عليهم بأن غيرية الصفات بديهية فكيف تنكر مع أن في نفي الغيرية مع نفي العينية رفع النقيضين وفي المآل جمع النقيضين أيضاً تخلص عن نفي الغير بإبداء اصطلاح جديد للغيرين بأنهما موجودان يجوز انفكاك كل منهما عن الآخر، والصفات ليست كذلك، لأنه لا يجوز انفكاك الذات عنها، فتبقي بدون الكمال ولا انفكاك الصفات عنها لاستحالة تحقق الصفة بدون الموصوف، وحاصل ذلك الاعتراف بالغيرية حسب الواقع المعروف لغة والابتعاد عن القول بالغيرية على هذا الاصطلاح للملازمة بين الصفات وذاته تعالى، ونسبوا هذا الرأي إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ولكن المحقق السيالكوتي رفض أساساً إسنادهم ذلك الرأي إلى الامام وذكر أن الإمام رأى أن الصفات لما كانت لازمة للذات فوزانها مع الذات وزان لوازم الماهيات للماهيات، فلا مجال للقول بانها عينها او غيرها، اي منع اتباعه من هذا القول، ونص عبارته في بحث الاثنان هما الغيران. والذي عندي أن ما وقع من الشيخ الأشعري هو أن صفاته تعالى ليست غير الذات لان الغيرين موجودان يجوز الانفكاك بينهما، والباقي من إلحاقات المشايخ توجيها لكلامه، ومقصوده أن صفاته تعالى ليست متأخرة عن وجوده لكونها مقتضي ذاته كوجوده، فلا يكون ذاته تعالى فاعلة لها، لأن الفاعل يجب تقدمه بالوجود بالذات، فلا يكون ذاته تعالى بالقياس إليها موجبا ولا مختارا، فلا يلزم شيء من المحذورات كما ان ذاته تعالى ليس موجبا ولا مختارا بالنسبة إلى وجوده عند القائلين بزيادته وكما أن الأربعة ليست بفاعلة لزوجيتها لا إيجابا ولا اختيارا بل الزوجية مجهولة بجعلها، انتهى.

ينفي صفاته على عمٍ ولا	يرى وجودها لوهم نزلا
بحجة التوحيد لله العلي	لم يدر أن الوصف تابع جلي

<83>

ونحن بحمد الله تعالى نعتقد هذه العقيدة، أي أن الله تعالى واجب الوجود بالذات، وأن صفاته تعالى واجبة الوجود لذات الباري، وذلك توحيد صحيح ولا تعدد للذوات، إنما هناك ذات واحدة واجبة وله صفات واجبة لذاته تعالى ونسأل المولى أن يميتنا على هذه العقيدة ويحيينا، والمسلمين، عليها، أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

وقد يلوح قولهم بأنها   عين لذاته الكريم ذي البهاء

ومنهم المثبت لكن تاها   لعسر تفسير لها أتاها

يقول فيها ليس عينها ولا   غيراً وذا على العقول أُشكلا

إذ هو رفع للنقيضين وفي   تقريره جمع لهذين يفي

فخلصوا منه بان قد خصّوا   (غير) بمعنى غير ما يُنَصُّ

فالغير موجود يجوز فكه   عن المغاير لهذا دركه

ونسبوا ذاك لشيخنا السري   إمامنا أبي الحسن الأشعري

فالمتغايران موجودان   ذوي فكاك متفارقان

لكنه قال السيالكوتي   قولاً حقيقاً بِحِلى النعوت

يقول إن شيخنا الأشعري   افاد حقاَ عن هوى النفس بري

فقال إذ سأله الأصحاب   عن رأيه وما هو الصواب

أجاب أن هذه الصفات   مثل لوازم لماهيات

فردية تلزم للماهية   عن عين أو غير لها عرية

فلا تقولوا إنها عين لها   ولا تقولوا انها غير لها

تعدد الأوصاف مع ذات علي   نتيجةُ البرهان حق منجلي

ولا تنافي صفة التوحيد ... موصوفها فرد بلا ترديد

واجبة ضمن وجوب الذات ... ليست بالاستقلال واجبات

لو لم تكن واجبة لكانت ... ممكنة في نفسها وهانت

واحتياج واجب الوجود ... لممكن ممتنع الورود

ذات الإله الفرد مع صفات ... بها حققت كمال الذات

وكيف تدري ذات رب كامل ... بدون أوصاف الكمال الحاصل

أم كيف تصويرك أوصافا بلا ... موصوفها الواجب جل وعلا

وكنه ذاته وكنه الوصف ... ممتنع الدرك بعقل صرف

كمال إدراكٍ له محال ... والعجز عن إدراكه كمال

وذاك قول أهل صدقٍ قاله ... غاية ما يعرف منه أنه:

ذات له الكمال وصفاً دون حد ... منفرد بقدم باقٍ صمد

ولا تقس ذاته بالذوات ... لا واجب يشبه ممكنات

ولا تقس صفات ذات الباري ... على صفات الممكن المختار

أين كمال واجب الوجود ... من نقص وصف الممكن المحدود؟

وذاك مقصد الامام الأشعري ... وهو عن إصطلاحنا جدا بري

آمن به وبكماله ولا ... تقل كلاماً لا يليق كاملا

مادام كانت رتبة الصفات ... مثل اللوازم لماهيات

لا تقربن مرض الخصاصة ... لا تحسَبَنها ممكنات خاصة

موجودة ضمن وجود الذات ... واجبة ضمن وجوب الذات

فرحم الله حميد الدين ... إذ قال بالأدب والتمكين:

صفاته واجبة ل ذاته ... على اتصاف الذات بصفاته

ليست ذوات متعددات ... حتي تُرى كقدماء الذات

توصف بالقدم في الزمان ... لم نك دون الذات أي آن

تمتنع الصفات دون الذات ... والذات دون هذه الصفات

هذا الذي يصله العقول ... وفوق هذا قولنا فضول

نعم بإمكان الذوات الأصفيا ... إدراكـ ما زاد على قدر الضيا

والله رب راحم عباده ... منه إليه الفوز بالسعادة

ومن افعال الباري ايجاد العالم باختياره والعالم حادث والمحدث هو الله تعالى

وكل مافي العقل ذو تمكن[67] ... واجبٍ أو محال أو من ممكن

فما اقتضي وجوده لذاته ... فواجب مثاله كذاته

<86>

---

[67] قول الناظم: وكل ما في العقل: تقسيم للمفهوم إلى أقسامه الثلاثة وحاصله: أن كل ما تصوره الذهن إما أن يقتضي ذاته وجوده أي اقتضى النظر إلى ذلك المفهوم وجود مصداقه في الأعيان هو واجب وذلك كمفهوم الذات الواجب الوجود المتصف بالكمال. المنزه عن كل نقص، فإن شيئاً كذلك يستحق الوجود في الواقع، لكنه لما قررت مثاله لابد من إثبات أنه واجب، ومن أفراد ذلك المفهوم. وكل ما يقتضي مفهومه عدمه فهو ممتنع بالذات ومستحيل، كجمع النقيضين. ورفعهما وجمع الضادين واستواء الجزء والكل. وكل ما لا يقتضى ذاته أحد الأمرين، بل احتملهما معا فهو ممكن بالإمكان الخاص ويتساوى طرفاه كمفهوم الجماد والنبات والحيوان والإنسان.
وهذا الممكن الخاص منه ما يمتنع حسب العادة، كصعود مادة ثقيلة الى السماء، فإنه ليس ممتنعة بالذات كجمع النقيضين. وإذا نظرت الى ذاته فلا استحالة فيه، لكنه لم تجر العادة به، فإذا أوجده الله تعالى فهو معدود من خوارق العادة، وكالسلامة الإنسان واقع في تنور نار وومشي إنسان على سطح البحر، وطي مسافة بعيدة في زمن قليل فجميع معجزات الرسل عليهم السلام وكراماتهم وكرامات الأولياء من هذا النوع إلا أنها ممكنة بالذات، ولكنها تستحيل عادة، وخلقه تعالى هذا النوع لهم من باب إثبات دعوى الرسل وكرامة الولي وتأييده والقدر المشترك فيه متواتر لا ينكره إلا الجاهل أو الجاحد المعاند.
ومن الممكن الخاص ايضاً ما يمتنع علماً، كسفر زيد من المشرق إلى المغرب إذا تعلق علم الله بأنه يموت قبل السفر. وكإيمان الكافر بالله ورسوله، وهذا النوع يسمى بالممتنع في العلم، فهو ممكن خاص ولكنه ممتنع لتعلق علمه تعالى بعدمه.
ثم الامكان بهذا المعنى أي ما استوى وجوده وعدمه.. مقابل وقسيم للواجب والممتنع، وقد يطلق الامكان على سلب الضرورة عن جانب وجوده، سواء كان عدمه ضروريا كالممتنعات الذاتية أولا كالممكنات الخاصة، نحو زيد وعمرو، وهذا الإمكان يسمى بالإمكان العام المقيد بجانب العدم، أي سلب الضرورة عن الجانب المخالف وهو الوجود. كما يطلق على سلبها من جانب العدم، سواء كان وجوده واجبا كالباري، أولا، كالممكنات الخاصة، فيشمل الواجب والممتنع والممكن الخاص، كما علمت آنفا.

وما اقتضي عدمه في البين ممتنع كالمتناقضين

وما استوى وجوده وعدمه فممكن خاص كما نعلمه

ومنه ما يمتنع في العلم كانقياد كافر للسلم

ومنه ما يمتنع في العادة وجوده يكون خرق العادة

فعالم الوجود غير الله من ممكن خاص بلا اشتباه

اذ ما عدا ممتنعا وواجبا امكانه الخاص بحق وجبا

وذلك الامكان قد أحوجه[68] لخالق من عدمٍ أوجَدَه

<87>

---

[68] قول الناظم: وذلك الامكان قد أحوجه. إشارة إلى ترجيح أحد شقي الخلاف في محوج الممكنات الخاصة إلى الفاعل، إذ من العلماء من قال بأن محوجه إليه هو حدوثه، إذ مالم يحدث الممكن في الواقع لا يحتاج إلى الصانع، ومنهم من يقول إن محوجه هو إمكانه الخاص لأن استواء طرفي وجوده وعدمه هو الذي أحوجه إلى الصانع المرجح لوجوده على عدمه، أو بالعكس، وإنما رجح جانب الإمكان لأنه إذا أردنا احتياجه إلى الصانع بواسطة الحدوث فالحاجة إليه تختص بما وجد في الأعيان، ولا يشمل الممكنات التي لم تخرج الى الوجود، مع أن ما استوى طرفاه، كما يحتاج في الحدوث يحتاج في الذهن ايضاً، لاستحالة استغناء الممكنات عن الاحتياج إلى الفاعل.

من فرد أو من نوع أو جنس ... صورة نوعية أو جنس زكن

فليس في الكائن من قديم[69] ... بالذات والزمان يا نديمي

<88>

---

[69] قول الناظم: فليس في الإمكان من قديم بالذات والزمان. إشارة إلى ما أجمع عليه أهل السنة من أن القديم بالذات، أي ما لا يحتاج إلى الفاعل، والقديم بالزمان أي مالم يسبقه العدم، منحصر في ذات واجب الوجود، لاستغنائه عن الفاعل لوجوب وجوده، وعدم سبق العدم على وجوده، لإثبات قدمه.
وأما قول الفلاسفة بوجود القديم بالزمان كالمادة، حيث ادعوا قدم المادة العنصرية وتبدل الصور عليها من كونها جامدة أو نامية، أو حيوانا أو إنسانا، ولكنها تحتاج إلى الصانع وهو ذات الباري، وكذا ادعوا قدم الزمان، لأن تبدل الصور على المادة يحتاج إلى استعداد فيها، والاستعداد المختلف يحتاج إلى الزمان، فيكون الزمان والاستعداد قديمين بالزمان، وإن احتاجا إلى الفاعل وهو الباري، فذلك باطل، لأن فلسفتهم مبنية على اعتبار الايجاب للباري تعالى، وبنوا عليه ما قرروه من هذه الأمور. وأما علماء الإسلام فقد أثبتوا بالأدلة القاطعة وجود ذات الواجب، واختياره في صنع كل ما أراد وجوده، ولا حاجة منه إلى المادة القديمة واستعدادها، لأنهما مخلوقتان له بالاختيار. وأما الزمان فهو امتداد موهوم ينشأ من استمرار حركة الشمس وشروقها وغروبها، وكل ذلك من صنع الباري، ومما خلقه الله بلا واسطة وبالاختيار.

ومادة ومدة أي زمن   قدمها يبغيه عقل زمن

كذاك الاستعداد بالإطلاق   مخلوق مختارٍ على الآفاقِ

والله خالق بدون مين   لكل شيء عرض أو عين

والله خالق لهذا العالم[70]   أخرجه من ستر كتم العدم

<89>

---

[70] قول الناظم: والله خالق، مع قوله: وكشف أسرار القضا ايضاحهما: أن الأئمة الأعلام اهتدوا بتوفيقه تعالى إلى إثبات أن العالم بأسره لم يكن موجوداً، لا السماء ولا النجوم ولا الأرض ولا غيرها، بل كانت معدومة والباري تعالى أوجده على الإطلاق لحكمة اتصف بها، حيث يقول: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الدخان/ 38) ويقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.(الأنبياء/31) ويقول: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ (الواقعة/57)، وخلقه تعالى لهذا العالم وما احتوى عليه بالاختيار الصرف، بدون إيجاب واضطرار، وبالاستقلال بدون الافتقار إلى واسطة خارجة عن اختياره وإرادته، وكل ما جعله سبباً لوجود شيء من الأشياء فهو سبب عادي، جرت عادته بخلق المسبب معه، أو ترتبه عليه، فليس للأسباب تأثير مطلقاً.

وأما سر صنعه وخلقه لهذا العالم وما فيه من العلويات والسفليات، والسماء والنجوم والهواء والبحار والبراري والأنهار فهو عائد إليه تعالى لا يعلمه غيره إلا ما أهتدى إلى معرفته بعض العلماء بتوفيق منه تعالى، ولما كان الواجب تعالى منتصفا بالكمال المطلق ومن الكمال رعاية الحكمة علمنا أن كل ما أبدعه مقرون بها، لأن علمه محيط وإدراكنا قاصر، ولذلك لا يسأل عما يفعل.

وإلى هذا المفهوم أشار الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في قوله: (ليس في الإمكان أبدع مما كان) يعني ما دام الصانع واجب الوجود المتصف بالكمال المطلق، وله الحكمة في شؤونه لا يتصور أن يأتي بشيء بلا حكمة. فليس في الإمكان العلمي عالم أبدع مما كان، لان جميع ما كان أو هو كائن أو سيكون من صنع ذات كامل كمالاً مطلقاً، فالمراد من الإمكان الإمكان الوقوعي المقرون بعلم الباري تعالى وحكمته، وليس مراده بالإمكان الإمكان العقلي، أي لا يتصور غيره أو الامكان الذاتي أي أن غير ما صنفه ممتنع حاشا، ومن اعترض على الامام في ذلك الكلام اعتقد انه لم يعلم حقيقة المراد. فاحفظه وفقك الله تعالى.

كان ولم يكن بدا شيء معه و … كل ما سواه ربي صنعه

وكشف أسرار القضاء والقدر … ليس لغير الله حتى ينتظر

مادام ربي واجب الوجود … منبع كل كرم وجود

لا يسئل الإله عما يفعل … وغيره لاهٍ وعنه يُسئَل

وهذه عقيدة الاسلام … جاءت لنا من ملك علام

رد ما يتوهم من تأثير أفراد الممكنات بعضها في بعض

ونسبة التأثير[71] للأفراد ممتدة لأطول الأبعاد

أي كل فرد صاحب الثبات مؤثر في ما يلي بالذات

من حُكْمِ وهم وارد على عجل ومالَهُ عاقبةٌ إلا الخجل

سلسلة من عصرنا[72] إلى الأزل لا ريب في وجودها بلا خلل

<91>

---

[71] قول الناظم: ونسبة التأثير إلخ. معناه لا تتوهم ولا تنسب التأثير بالخلق والإيجاد إلى أفراد الممكنات، فإنها توهم ليس مآله إلا الخجل والانفعال.

[72] قول الناظم: سلسلة من عصرنا. إثبات لكون ما توهم من نسبة التأثير إلى الممكنات سابقها في لاحقها فاسد، لأن وجود سلسلة غير متناهية كما ذكره المتوهم باطل، وانتهاؤها واحتياجها الى الواجب حق ثابت.
لأن أفراد تلك السلسلة بقطع النظر عن التناهي وعدمه كلها من الممكنات، وكل ممكن يحتاج الى الفاعل الصانع، والفاعل الصانع للممكنات كلها لابد أن يكون خارجاً عنها، فاذا ارتبط بالعلة التي هي واجب الوجود انتهت السلسلة.
وما دام قررنا أن ذلك الفرد الخارج من الممكنات كلها واجب الوجود وجب اتصافه بالكمال المطلق، وإذا اتصف بالكمال ثبت له الاختيار، بمعنى إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل بدون اي مانع، فلا يحتاج الى المادة القديمة والاستعداد والزمان، لتبدل تلك الاستعدادات وثبت التأثير المطلق بالذات للباري تعالى ٠ كما قاله عبدالحكيم في حاشية المواقف.

وكل شخص إذ له احتياج   يفيدنا (مجموعه محتاج)

فوجبت حاجته للخارج   أي واجب الوجود ذو المعارج

فالواجبُ الخالقُ، دون مين   لما عداه عوض أو عين

مادام واجب الوجود كامل   فالاختيار دون ريب حاصل

ما دام ربنا هو المختار   ليس له في الخلق اضطرار

لا يعتري الوجوبُ أو إيجابُ   في خلقه كما هو الصواب

وفي غنى عن مادة واستعداد   ومدة للفوز بالمراد

علاوة لو حاجَ لاستعداد   فأين الاستعداد لاستعداد

فحكمه في كل خلق جاري   دون توسط من الاغيار

فما سوى الواجب حتما محدث   بالذات والزمان وهو المحدِث

وكل أسباب أتت عادية[73]   ليست بها بل عندها البرية

فليس للأسباب من تأثير   كذرة في سطوة القدير

<92>

---

[73] قول الناظم: وكل أسباب أتت عادية ومعناه أن الأمور التي عرفت بأنها أسباب لما يترتب عليها أمور جرت عادة الله تعالى بمباشرتها لترتب المسببات وليس لها تأثير بالخلق والإيجاد. فالخالق عند جمهور المسلمين هو الله سبحانه قال تعالى: ﴿بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (الاعراف/54)، وإذا كان هناك بين الأسباب والمسببات لزوم وعدم انفكاك فهو أيضاً من المقررات عنده تعالى، ومخلوق له تعالى والمحققون على أنه إذا أراد الله خلق النتيجة خلق للمستدل النظر في المقدمات والعلم بها والعلم بالنتيجة، وأراد وجود الأجزاء للكل إذا أراد وجود الكل، وبقي الأمر على ما قرره الأشعري من إسناد الخلق الى الله ابتداء بدون واسطة، وصدوره عنه بالاختيار الكامل. فإن الإمام الأشعري رضي الله عنه لا يسعه إنكار لزوم اللوازم لملزوماتها، وما نقل عنه من خلاف ذلك، فإما يوجد الخلل في النقل، أو أنه مؤول بما ثبت وصح عنه.

بل ربنا الخالق للأسباب   وربما تفنى بلا حساب

ولو لزوم بين الافعال جرى   فربنا ذاك اللزوم قررا

اراد الأجزاء مع الكل كما   أراد لازماً لملزوم نما

فقد بدا اصلا الامامِ الداري   الخلق بالذات وباختيار

وخلقه للعين والاعراض[74]   منزه عن وصمة الأغراض

فان الاغراض هي التي أتت   العلة لولا بها ما ثبتت

لكنها مقرونة بالحِكَمِ   بيانها عند الإلهِ الأعلم

وقد يكون بعضها مكشوفا   لمن يكون بالتقى موصوفاً

---

[74] قول الناظم، وخلقه للعين والأعراض. بيانه أنه إذا فسر الأغراض بأمور لا يمكن الوصول إليها إلا بواسطة أمر يوصَل به اليه فأفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض، لأنه تعالى يقدر على خلق كل ممكن ابتداء بدون أي سبب ومبدءٍ له، وإن فسرنا بالعلل والفوائد الظاهرة، فلا يخلو فعل من أفعاله عن الأعراض بهذا المعنى لأن وجود لام التعليل على كثير من العلل معروف، والناظم اراد بالأغراض المعنى الأول، فلذلك نفي تعليل أفعاله تعالى بها.

الله خالق والعبد كاسب

وبعد أن خلقنا رزقنا　　　لما أحب من هدى وفقنا

كما هو الخالق للعباد[75]　　　خالق الأعمال بالاطّراد

<94>

---

[75] قول الناظم: كما هو الخالق للعباد الخ: تفصيله أنه اتفق المسلمون على أنه تعالى خالق لجميع الأعيان والأعراض الطارئة عليها من الصفات الاضطرارية. وأما الأعمال الاختيارية كالقيام والبطش وما عداهما ففي خالقها آراء مختلفة، أفسدها أنها مخلوقة للعباد بلا علاقة البارئ تعالى بها، فإنه تعالى خلق الإنسان وسرحه لأن يعمل ما يشاء، ودون هذا الرأي قول من إنها بمجموع قدرتين، قدرة الخالق وقدرة العبد على طريق الاشتراك في ذاتها، ودون هذا في الفساد قول من قال: إنها بمجموع القدرتين، لكن قدرة الباري تؤثر في ذات الأعمال، وقدرة العباد في صفتها من كونها طاعة أو معصية. وفوق الكل قول جمهور أهل السنة أنها بخلق الله تعالى وحده بدون علاقة فاعل آخر في ذاتها او صفاتها. واستندوا في ذلك بأدلة نقلية ظاهرة في المقصود، نحو قوله ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر/62)، وقوله تعالى: ﴿َاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات/96) وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ على أن يكون نصب ﴿كلَّ﴾ بمقدرٍ يفسره: ﴿خَلَقْناهُ﴾ على قاعدة الاشتغال. وبأدلة عقلية، منها:
أنه لو كان العبد خالقاً لأعماله لعلم قبل خلقه بتفصيل الحركات والمعالجات اللازمة لمباشرتها، وعلم ما ينتج عنها، مع أنه لو سئل عنها لم يعلم شيئاً منها، ومنها: أنه لو كان العبد خالقاً لها لقدر على أن يعمل عملا ممتازا حسنا جداً، لأن معنى الخالق هو الموجد، والموجد قادر على خلق الأشياء الحسنة مع أن بعض أعماله مما يستنكره هو ولا يرضى به. والسعد يقول: لاشك في دخل العبد في العمل فليس المرتعش كالباطش، ولا شك أنه ليس خالقا، لأن ميزات الخلق لا توجد في العباد، فنؤمن بأن الله تعالى خالق للأعمال، والعباد كاسبون لها، وسيأتي تحقيق معنى الكسب إن شاء الله تعالى.

أي كلها سواء اضطراري   أو ما جرى منهم بالاختيار

إذ صفة الخالق أن يعلم ما   يخلقه حسب نهج رسما

يعلم تفصيلات فعله وما   ينتج منه فرحاً أو ألماً

وذلك العلم على التفصيل   ممتنع عمن سوى الجليل

فالعبد ليس خالقاً لفعله   دعواه للخلق وليد جهله

إن كنت خالقاً فبيّن حالا   ما يعتريه حالاً أو مآلا

أو كنت خالقاً فحسنه كما   يعجب كل عالم من علما

ومع ذا منها لكم نصيب   أي كسبكم وذا لكم نصيب

فالله خالق وأنت كاسب   لله خلق، ولنا مكاسب

إذ لست عالماً بما تعمله   مفصلاً بل مجملاً تعلمه

ولست عالما بحاصل العمل   وربما ندمت مع كل خجل

كذاك لست حجراً يرميه   رام الى جهة معتديه

بل بين ذا وذا فربي خالق   وأنا كاسب وذاك لائق

فقل، إذا سئلت في التيسير   لبشر أو صفة التخيير:

مخير في عالم التكليف   مسير في عالم التشريف

أي هو في خلق القوي مسير   وفي اكتساب ما نوى مخير

الكسب ومعناه

وكل عامل له ما قد كسب ... كما عليه كل ما قد اكتسب

مميز للفعل الاضطراري ... عن فعله الصادر باختيار

إذ بين كل راعش ومرتعش ... فرق جلي في القلوب منتقش

وذلك الكسب برأي الأشعري[76] ... محله العبد، ومن خلق بري <96>

يقول إن العبد كلما حصل ... علمه بالاشيا كيفما وصل

---

[76] قول الناظم: وذلك الكسب برأي الأشعري. أقول: في شرح العقايد النسفية ما نصه: (وتحقيقه أن صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل كسب) انتهى. وفي حاشية الخيالي ما نصه: (صرف القدرة جعلها متعلقة بالفعل، وهو متعلق الإرادة، بمعنى أنه يصير سبباً لأن يخلق الله صفة متعلقة بالفعل، وأما صرف الارادة أي جعلها متعلقة فيجوز أن يكون لذاتها على ما عرفت في إرادة الله) انتهى.
وفي حاشية المحقق السيالكوتي قوله: صرف القدرة جعلها الخ يعني معنى صرف القدرة جعلها متعلقة بالفعل، وذلك الصرف يحصل بسبب تعلق الإرادة بالفعل لا بمعنى أنه سبب مؤثر في حصول ذلك الصرف، إذ لا مؤثر إلا الله، بل بمعنى ان تعلق الإرادة يصير سبباً عادياً لأن يخلق الله تعالى في العبد قدرة متعلقة بالفعل، بحيث لو كانت مستقلة في التأثير لأوجد الفعل. وأما صرف الإرادة وجعلها متعلقة بالفعل فليست مخلوقة لله تعالى حتى يلزم الجبر، بل هو لذاتها فإنها صفة من شأنها ترجيح أحد المتساويين بل المرجوح من غير داع لها ومرجح كما عرفت في ارادة الله من أنه صفة توجب تخصيص أحد المتساويين بالوقوع في بعض الأوقات من غير احتياج إلى مرجح، وكما أن صدور الإرادة من ذاته تعالى بطريق الإيجاب لا يوجب الجبر في أفعاله، كذلك صدور إرادة العبد من ذاته تعالى لا يوجب كونه مجبورا في أفعاله.
واعلم أن هذا المقام يستدعي بسطاً في الكلام فنقول وبالله التوفيق: إن أفعال العباد منها ما يتعلق بها إرادة الله بلا توسط اختيار العبد، بمعنى أن الله يوجدها سواء تعلق بها إرادة العبد أو لا، ومنها ما يتعلق بها إرادته تعالى بتوسط اختياره وإرادته، بمعنى أن الله تعالى أوجد في العبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك، وإرادة ترجح أحدهما، فإذا رجحت إرادة العبد أحد الطرفين تفرع عليه تعلق قدراته، وصرف الآلات والدواعي اليه، بمعنى أن تعلق الإرادة يصير سبباً عاديا لأن يخلق الله تعالى في العبد صفة متعلقة بالفعل بحيث لو كانت لها تأثير بالاستقلال لأوجد الفعل، ثم تعلقت إرادة الله تعالى وقدرته بخلق ذلك الفعل عقيب ذلك، أعني تعلق إرادته وقدرته وصرف الآلة إليه تعقيباً ذاتياً. فإن قيل ذلك الترجيح المتفرع عليه تعلق القدرة، وصرف الدواعي إما أن يكون مخلوقاً لله تعالى، فالجبر باق، أو فعل العبد فيكون العبد خالقاً لبعض أفعاله قلت: ذلك الترجيح من مقتضيات الإرادة على ما بين في موضعه من أن الارادة صفة من شأنها ترجيح أحد المتساويين. فإن قيل إذا كان الترجيح من مقتضيات ذات الإرادة فما فائدة التكليف إذ الإرادة تتعلق بأحدهما بالضرورة ؟ قلت: قد يصير التكليف داعية لتعلق الارادة بناء على أن الإرادة تابعة للعلم، فإذا علم المكلف أن التكليف واقع هكذا فهو حسن، يصير ذلك داعية لتعلق إرادته وترجيحه، فيصرف القدرة والدواعي إليه فيخلق الله تعالى الفعل عقيبه عادة، وباعتبار ذلك التعلق أعني تعلق الإرادة المترتب على الدواعي يصير الفعل طاعة وعلامة للثواب.
والحاصل ان الله تعالى خلق في العبد علماً إجمالياً بالأفعال الإختيارية قبل صدورها وعلما حسنها وقبحها، وترتب الثواب والعقاب عليها مأخوذ من لسان الشرع وخلق فيه إرادة تابعة لذلك العلم مرجحة لبعضها، وقدرة

من علمه ينبعث الشوق الى ما اختاره موافقاً ما أملا

<97>

متعلقة بالفعل تابعة لتلك الإرادة بحيث لو كانت مستقلة في الإيجاد لأوجدها. فمع العلم بالحسن والقبح الداعي الى تعلق الإرادة ان تعلقت ارادته بالقبيح يستحق الذم باعتبار المحلية والعقاب بطريق جري العادة وإن تعلقت بالحسن يستحق المدح والثواب كذلك، ولذا لو فعل قبحاً لم يعلم قبحه لا يستحق الذم والعقاب، ولو تعلق إرادته بقبيح وعزم عليه مع العلم بقبحه يستحق المؤاخذة وإن لم يخلق بعده، فإن قيل: تلك الإرادة التي من شأنها تخصيص أحد المقدورين بالوقوع حادثة فهي إما إرادة العبد فيلزم التسلسل وإما بإرادته تعالى فيكون مجبوراً !

قلت: تلك الإرادة مخلوقة لله تعالى والعبد مجبور في تعلق تلك الصفة وهو لا يستلزم الجبر في الأفعال الصادرة بتوسطها كما في أفعال الباري تعالى فإنها صادرة بتوسط الإرادة المستندة إلى ذاته بطريق الإيجاب وإلا لزم حدوثها مع أنه مختار فيها إذ لا فرق بين أن تكون مستندة إلى ذاته تعالى بطريق الإيجاب، وبين أن تكون مستندة إلى غيره في عدم كونها بالاختيار، والسر فيه: أن الإرادة المخلوقة فيه مطلقة، ومن غير أن تكون متعلقة بالحسن او القبح.

بوقفه إرادة المرء أتت بعزمه الجازم ذاك حققت

فيخلق الله له مقصوده مقبول حق كان أو مردوده

فتلك من أسباب خلق الباري حسب عادة من المختار

تنشأ منها قدرة تدعو إلى خلقه، لولا خلقه عزّ علا

فكسبنا قدرتُنا المقارنة لقدرة الباري ولكن ساكنة

أو قل محليتنا لما مضى كسب وفوض إِليه بالرضا

<98>

منصور[77] عليهما الرضا لنفخ الصور

أن بعد علم وانبعاث الشوق إلى الذي يكون وفق الذوق

<99>

---

[77] قول الناظم: والكسب في فكر أبي منصور الخ، يقول: قد علمت في الأبيات السابقة أن الكسب عند الشيخ أبي الحسن الأشعري عبارة عن حالة حاصلة له من كونه موصوفاً بالعلم بالمكروهات والمرغوبات المنبعث منها داع إلى توجه إرادة صاحبه الى ما اختاره فيتهيأ قدرته إلى ذلك الشيء، بحيث لولا قدرة الباري هنالك مختصا بتأثيرها فيه لأثرت فيه قدرة العبد، وهذا المقدار من المحلية كاف لترتب الثواب والعقاب على أفعاله الإيجابية والسلبية، كما فصله المحقق السيالكوتى في تعليقاته على حاشية الخيالي، وقد نقلناها لكم آنفا.
وأما الكسب عند الشيخ أبي منصور الماتريدي هو توجيه قدرته إلى مراده، فعلاً أو تركا، بعد علمه وانبعاث شوق منه إلى توجه إرادته وتخصيصها لذلك المراد. فذلك التوجيه هو من نفس العبد، وفوض الباري تعالى عباده الى ذلك التوجيه. فالتوجيه من العباد ومن تصرفاتهم، وليس ذلك عيناً ولا عرضاً من الأعراض، وإنما هو أمر اعتباري ناشئ مما سبقه من العلم والشوق والاختيار. وقد دلت على نسبته إليهم آيات كثيرة، نحو قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة / 286) ونسبة العمل والصنع إليهم بما لا يقبل الشك في أن ذلك التوجيه محول إلى العباد ليكونوا مثابين أو معاقبين، وهذا الفكر ظاهر لا ينكره العاقل. فإن كنت أيها المسلم من أهل التفويض والتسليم اعتقد فكرة الشيخ أبي حسن الأشعري. وإن كنت من أهل الاعتماد على ما ظهر عندك من الأسباب فاعتقد فكرة الشيخ ابي منصور، نصرك الله تعالى على جيوش أوهام القدرية، القائلين بخلق العباد لأفعالهم. والجبرية القائلين بعدم اعتبار العبد في الميدان.

تُوَجَهُ الإرادة الجزئية   لما ارتضي من خير أو بليه

فذلك التوجيه كسب العبد   أعطاه ربه بوجه الحد

وذلك أمر اعتباري له   فوضه إليه حقاً ربه

فإن تفوض كن بمثل الأشعري   حتى ترى من كل تأثير بري

وإن ترد سهلاً من الأمور   فكن على رأي أبي منصور

إن قلت اكساب العبيد كلها[78]   معلومة لله بدءً وانتهاء

وعلمه لا يتخلف عنه   يوجد حتماً مثل ما علمه

فصار مضطراً به العبيد   فيما من المكسوب عنه يبدو

قلنا: لقد جرى له من الأزل   علمٌ بما باختياره حصل

فصار علم الله حاكياً لما   يحصل من فعل العبيد سالما

فثبت اختيار عبد فيه   ومن درى جوابنا يكفيه

علاوة عن ذاك فانظر فوق   إن كنت ممن يعتريه الذوق

الله عالم بفعل نفسه   واختياره لفعل شخصه

لو كان علمٌ موجبَ اضطرار   لانتقض الأصل بفعل الباري

إذ ليس للمعلوم من تخلف   عن علمه يدريه كل منصف

<100>

---

[78] قول الناظم: إن قلت اكساب العبيد الى آخر الجواب. عبارة عن اعتراض وجوابه. والاعتراض هو أنه يقول الخصم: أنتم يا أهل السنة معترفون بأن الخلق من الباري، وهو أزلا وأبداً عالم بجميع ما يحدث في الكائنات، وكل ما تعلق عليه بحدوثه في المستقبل يجب وجوده فيه، وما تعلق علمه بعدمه يمتنع حدوثه، فما معنى كسب العبد وجوده بينهما ؟ فالجواب: هو أن الله عالم بأن العبد الفلاني بعد تزويده بالعقل والعلم والارادة يختار ذلك الشيء، فالعلم حالك لما يفعله أو يتركه باختياره، وإلا لزم إيجاب الباري تعالى أيضاً، لعلمه أزلا بما يخلقه في المستقبل مع أنه مختار في أفعاله مطلقاً.

وليس يرضى لعبيد كفرا ... ولا فسوقاً خفية أو جهرا

لكنه أراد ما قد حصلا ... لأنها تتبع علما شملا

فالعلم كاشف لما سيوجد ... والعبد كاسبِ وربي موجِدُ

الثواب والعقاب

يثيب اهل الخير[79] من إحسانه ... يعاقب المجرم عن ميزانه

يمكن أن يعذب المطيعا ... ويكرم العاصي لو شنيعا

لكن سنة الإلهِ قد جرت ... بما من النصوص قد تواترت

<101>

---

[79] قول الناظم: يثيب أهل الخير. بيان للشؤون الفعلية الصادرة منه تعالى، الناشئة من خلقه، وحاصله أنه لما ثبت أن الله واجب الوجود، المتصف بكل كمال، علم أن جميع ما خلقه تحت ملكه وقدرته، فإثابته للعاملين به الخيرات فضل منه، وعقابه للعاملين بالمعاصي عدل منه، وله أن يعكس الأمر، لأن كل ذلك تصرف في ملكه، ووفاؤه بما أخبر به من الثواب والعقاب وإن كان محتما لا ريب فيه لكن ناتج من إخباره به ووعده الذي لا يخلفه، لا من حيث الذات، لما قلنا آنفا أنه مالك، وملك مطلق التصرف يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، علاوة جميع ما يفعله العبد من الصالحات لا يفي بأداء واجب نعمه تعالى عليه فكيف تجب الإثابة عليه ؟
ولا يخلف الباري وعده ووعيده، بمقتضى فضله وعدله لا للوجوب عليه.
علاوة كل من الوعد والوعيد مقيد بالمشيئة كقوله: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (آل عمران/129) والأمر المربوط بها لا مجال للقول بوجوبه.
فإنه تعالى متصرف بلا مانع وله اللطف والرحمة والتوفيق وتيسير اسباب الخير لمن أراد، وذلك فضل منه. وله الخذل وعدم المساعدة إن شاء ولا عتب يتوجه عليه، لأنه تعالى أعطى العباد القوى والاسباب من العقل والعلم والإرشاد، ومن الأنبياء والمرسلين، فإضاعتهم لها سوء تصرف من أنفسهم على أنفسهم، فلا لوم إلا عليهم في ما إذا صرفوا طاقاتهم في السيئات وترك الحسنات.

للخيرِّ الثواب والترفيع وللشرِّير النار والتشنيع

لا يُخلَفُ الوعد ولا الوعيدُ للكل بالمشيئة التقييدُ

اللطف والخذل

هناك نكتة مهمة جلل وسرها من ربنا عز وجل

اللطف بالتوفيق للطاعات والخذل بالحرمان في الساعات

وأمر هذين من أسرار القدر يعجز عن كشفه إدراك البشر

التكليف

مفهومنا[80] الواجب والممتنع وممكن خاص له مُتَّسعُ

---

[80] (التكليف) قول الناظم: مفهومنا: قد سبق منه تقسيم المفهوم الى الأقسام الثلاثة، وإعادته تمهيد لأبحاث حولها. وقد علمت أن من الممكن الذاتي مالا مانع من وجوده ولا عدمه، ومنه ما يمتنع لتعلق العلم بعدم وقوعه أو يمتنع عادة، وقلنا إن جميع المعجزات والكرامات من هذا القسم. وقد اتفقوا على أنه لم يقع تكليف بالممتنع الذاتي ولا بالممكن الذاتي الذي هو ممتنع عادة، فقال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة/286) ولكن اختلفوا في جواز التكليف بهما.
وجمهورنا على جوازه، إذ ليس الغاية من التكليف الإتيان بالمكلف به حتى أن ذلك التكليف عبث وحشو. فقد يكون التكليف للابتلاء أو الامتحان لظهور أحوال الناس بين العباد مثلاً، وقد اعترض بعض على ما قلنا بانه ورد التكليف من الله تعالى وتوجه إلى المشركين أمثال أبي جهل وابي لهب بالإيمان بجميع ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة/6) وذلك التكليف تكليف بالممتنع الذاتي، لأنهم كلفوا بالإيمان بالقرآن، وفيه أنه لا يؤمن به، وذلك تكليف يجمع الإيمان مع عدم الإيمان، وذلك جمع النقيضين، وفيه أيضا تكليف بشيء يجدون في أنفسهم خلافه، لأن قلوبهم مطبوعة على إنكار الرسول وعدائه ومعاندته، وقد كلفوا بالإيمان والتسليم له ومحبته، وذلك كتكليف شخص يعلم قضية بأنه لا يعلمها. وإن كان هو الوجه الثاني ضعيف، لأنه يجوز أن يقال: إن التكليف بذلك تكليف بمباشرة أدلة ومقدمات تهديهم إلى إزالة ذلك العناد. ولو تدريجا.
والجواب عنه: إن تكليفهم بالإيمان كان قبل نزول تلك الآية الكريمة، يعني أنهم كلفوا بشيء علم الله أنه لا يتحقق، وذلك تكليف بالممكن الذاتي الممتنع، لتعلق علمه تعالى بعدم حدوثه، وليس تكليفاً بالممتنع الذاتي. والآية الكريمة نزلت بعد إصرارهم على الكفر، لييأس الرسول من إيمانهم، وعدم إتعاب نفسه في ذلك الشيء.
وما يقال: إن ذلك التكليف تكليف صوري ليس تكليفاً واقعياً، لأن الله علم أنهم لا يؤمنون. فالتكليف بشيء إنما هو في الصورة لا في الحقيقة، يجاب عنه: بأن كلامنا في ما يسمى تكليفاً، لا فيما يعلم الله تعالى عدم وجود المكلف به. وإلا لزم أن يكون جميع التكاليف التي لم يأت المكلفون بما كلفوا به تكليفاً عبثاً، وحاشا الباري عن مباشرة العبث، فإن في كلها فوائد وحكما ومصالح يعلمها المختصون بها.
ومن العقائد الملتزمة لأهل السنة: أن الله تعالى خالق كل شيء، أراد وجوده وشمله علمه، مع أنه لا يرضى لعباده الكفر والفسوق ولا يحبها، بل يبغضها، ويبغض أصحابها، ولعن الظالمين. فليس كل مراد مرضياً ولا محبوباً، وكل مأمور به مرضي ومحبوب، ولا يلزم منه أن يكون مراده فقد أمر بإيمان المشركين ولم يكن مراداً، لأنه علم أن بعضا منهم لا يؤمن. فبين الأمر والرضا والمحبة مساواة في التحقق، فكل مأمور به مرضي

ينقسم الممكن قسمين هنا   معتادُنا وغير معتادٍ لنا

<102>

ولم يقع تكليف ذات الباري   بغير معتادٍ من المختار

لكنه يجوز أن يكلفا   به، ولم يقع على ما عرفا

<103>

ومحبوب وبالعكس وبين الأمر والرضا والمحبة وبين الإرادة عموم وخصوص من وجه لاجتماع كل من الثلاثة مع الإرادة وافتراقها عنها.

وجاز تكليفه بالممتنع
ذاتا ولكن لم يقع في الواقع

إذ ليس فعله على التعليل
بغرض كفعلنا العليل

ولو فرضنا أنه معلَّل
جاز للاختبار حين نُسأَلُ

<104>

وممكن ليس بمعتاد لنا[81]   يخلقه الله لأصفيائنا

وذاك من خوارق العادات   كمعجزات الرسل للإثبات

<105>

---

[81] قول الناظم: وممكن ليس بمعتاد لنا. بيان لبعض الممكنات الخارقة للعادة، يخلقه الله للرسل الكرام ولأوليائه وأحبائه، ومقصوده أنه ليس من الممتنع الذاتي، بل من الممكن الذاتي الممتنع عادة يخلقه الله للرسل لإثبات دعواهم الرسالة، ولا دخل للتعلم والاكتساب والأسباب العادية فيها، لأنه كما أن الوحي ليس مكتسباً كان سبب اثباته غير مكتسب، وبذلك تفارق المعجزة السحر المرتب على الأسباب الدقيقة وتحصل بالدراسة ومنها كرامات الأولياء، والولي: هو العارف بالله العالم بأمور دينه، المتبع للكتاب والسنة بحيث يعتبر من أهل العدالة الشرعية لا من الفاسقين المباشرين للأمور الدنيّة، فحاشا من فسق عن إعانة الباري بالكرامة ووإذا ظهر منها له شيء دخَلَ في الاستدراج. وللولي بهذا المعنى درجات:
الأولى: درجة المتقين، لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾(الأنفال/34) والتقوى ابتعاد عن الكفر والكبائر والدنايا.
الثانية: دوام أهل الاستقامة والطاعة في السراء والضراء، وفي القتلّة والعلّة والذلة. لا يزعزعهم حب الدنيا والخوف، والجاه عن إطاعة الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾(فصلت/30) ونزول الملائكة عليهم عند الشدائد وعند السكرات وعند البعث والنشور.
الثالثة: درجة من لا يغفل عن ربه وقتاً من الأوقات، كما نهى الله تعالى حبيبه صلى الله عليه وسلم وقال له: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾(الأعراف/205): ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾(الكهف/28) فأولئك تظهر لهم كرامات بدون مكاسبهم لها. كما ثبت في قصة مريم عليها السلام، وقصة أصحاب الكهف، وقصة الخضر على ما في تفسير القرطبي وروح المعاني من ورود الحديث الشريف بأن ذلك العبد هو الخضر،، وكما في قصة صاحب سليمان عليه السلام. وفي الحديث الشريف إكرامهم رواية من الله عز وجل في درجاتهم، وأن معاداتهم معاداة لله تعالى، وفي كتاب الموافقات للشاطبي في أصول الفقه في الجزء الثاني منه: إنه كل رسول كانت له معجزة فمن أمته أولياء مكرمون بما يشبه تلك المعجزة، لأن كرامتهم تأييد لمعجزات رسلهم.
والأولياء المعروفون بأهل الطريق هم المتصفون بالصفات المذكورة، ومعنى الطريقة لهم: إن لكل منهم طريقة ومنهجا خاصا في أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام، من تلاوة القرآن، والذكر، والتهليل والتسبيح، والإحسان، والصدقات الواجبة والمسنونة، فهم خيار الأمة رحمهم الله تعالى ونفعنا ببركاتهم آمين.

عند ادعاء الرسل الرسالة ... من خالق العالم ذي الجلالة

كذا كرامة للأولياء ... من آلٍ أو من صحب أصفياء

وأولياء أمة الرسول ... أهل التقى ورتبة الوصول

من استجابة الدعاء العام ... أو الشفا لصاحب الأسقام

وذاك خارق لعادات الوري ... تأييدهم به لدينا ظهرا

وليس من فن ولا من مكسبة ... بل جاءهم من الإله موهبة

وما جرى معجزة للأنبياء ... يمكن في اعزازِ شأن الأولياء

لأنه يكون إعزاز الرسل ... امته خادمه جزءُ لِكّل

<106>

إذ الولي عارف بالله ... تابع منهاج رسول الله

حاشا الذي يفسق باللئامة ... أن يخلق الله له الكرامة

مثاله يكثر في الحساب ... ورد في السنة والكتاب

فلنرجعن لمبحث التكليف ... والله دائما على التخفيف

فلا يكلف المجانين[82] ولا ... من كان عن تكليف ربي غافلاً

وأهل فترة عن الرسالة ... كانوا على الغفلة والجهالة و

كل من لم يصل التكليف ... إليه أيضاً حكمه التخفيف

لكن من بلغه التكليف ... وبالهوى يغلبه التسويف

فإنه معذب في الآخرة ... ووجهه مثل الوجوه الباسرة

<107>

[82] قول الناظم: فلا يكلف المجانين. دلت النصوص على أن من لم يحصل حد الرشد لا يكلف ولا يتوجه إليه خطاب التكليف، فلا إثم عليه في ما اقترفه، لكنه يتوجه إليه خطاب الوضع فيضمن الحقوق المالية وسائر ما نتج منه حفظاً للنظام، وكذا لا يكلف الغافل وهو من لا يدري الأحكام التكليفية، كمن كان في قطر بعيد من العالم، أو أعماق الوديان المهجورة، أو الجزر في المحيطات إذا لم يصل إليه النداء والدعوة الإسلامية، ومن الغافلين أهل الفترة، وانقطاع الوحي كالثلث الأخير في الزمن الواقع بين سيدنا إسماعيل وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن النصوص الدالة على ذلك آيات عديدة كقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (المائدة/19). وقوله تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾(السجدة/3). وقوله تعالى:﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾(يس/6).
كما دل على عدم المحاسبة وتعذيب الآخرة لهم آيات كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(الاسراء/15).
ويظهر منها ظهوراً كاملا أن الآباء الأقربين للرسول صلى الله عليه وسلم، وبالأخص أبواه عبد الله وآمنة رضي الله عنهما، لما كانوا من أهل الفترة بل من أبعدهم فيها لم يستحقوا العذاب والعتاب في الآخرة، وأنهم من أهل الجنة، لأنهم لما لم يكونوا من أهل العذاب ليدخلوا الجحيم كانوا من اهل الراحة، ويدخلون الجنة، إذ مقام سوى الجنة والنار، كما لا منزل بين الايمان والكفر.
وما روي أن الله تعالى أحياهما في قبورهما وآمنا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان لأجل نيل شرف الإيمان به، لا للخلاص من عذاب النار، وعليه فلا اعتبار لما روي من كونهما معذبين لمخالفته لتلك النصوص المذكورة، ولو فرضنا ثبوت ذلك المروي، فيحمل على أنه كان قبل نزولها واطلاع الرسول صلى الله عليه وسلم على أحوالهما.

ومن طغى عليهم الأشراف عذاب من غلبهم أضعاف
هذا الذي جاء به القرآن وقد أتي في السنة البيان

الاستطاعة

تكليفنا مداره استطاعة[83] تفسيرها طاقتنا للطاعة
والطاقة القوة حسب الباب بيانها سلامة الأسباب
<108>

[83] قول الناظم: تكليفنا مداره استطاعة. الاستطاعة في اللغة: الأقتدار والقوة على القيام بالمقصود أيا كان. وهي عرفاً: القدرة التي تكون بها الفعل، ولاشك أنها بهذا المعنى مع الفعل. وهل تكون هذه القوة قبل الفعل وبعده كما يكون مع الفعل ؟ الجمهور على أنها يكون قبله وبعده، كما كانت معه، لأنها صفة العامل، وهي كذلك.
ونقل عن الإمام الأشعري أنها لا تكون إلا مع الفعل، فإذا أراد أن القوة التي تكون مع المباشرة به فذلك ظاهر لا يمكن أن ينكره عاقل، وإن أراد أنها عرض والعرض لا يبقى زمانين فالأشاعرة خالفوه في هذا الرأي، وحكموا بجواز دوام العرض إلى ما شاء الله.
ولما اعترضوا عليه بأن رأيه يستلزم أن تكون التكاليف متوجهة إلى العاجزين عن العمل، لأنه لا قوة لهم عليه إلا عنده.. أجاب عن اعتراضهم بأن مدار التكليف الاستطاعة بمعنى سلامة الأسباب لا القوة التي بها الفعل المكلف به.

تكون قبل فعلنا وبعده　　　كما ترى ذات قران معه

والأشعري حيث قال إنهما　　　تقارن العمل قصده بها

القوة التي بها المباشرة　　　وهي القرينة بلا مناظرة

أما بقاء العرض من بعدما　　　كان، ففيه اختلاف العلماء

الرزق منه حرام ومنه حلال

ورزقنا من ربنا تعالى[84]　　　يصلنا حراماً أو حلالا

كسب الحرام عمل شنيع　　　لذاك يأتي اللوم والتشنيع

<109>

---

[84] (الرزق منه حرام ومنه هلال) قول الناظم: ورزقنا من ربنا تعالى. تفصيل المقام: أن الرزق في العرف: ما ساقه الله تعالى إلى المرزوقين والمرزوقات ما يحتاجون إليه من المآكل والمشارب والمساكن والملابس ونحوها. وهذا الرزق كسائر المكتسبات قد يهبه الله بدون اكتساب لمن شاء كما شاء، وقد يكون باكتساب المرزوق، فإن كان اكتسابه بطريقة مشروعة فهو حلال، وإلا فهو حرام، كما يحصل بالعدوان كيف كان، ولكن الكل رزق. والإنسان معذب على كسبه بسوء الأدب، والدليل عليه آيات، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود/6) وخالف المعتزلة في ذلك بشبهة أنه لا يجوز الله إعطاء شيء حرام لعبد من عباده من غير جهة مشروعة، وشبهتهم باطلة، لأن كسب الرزق كسائر المكاسب فكاسبها هو العباد، وخالقها هو الله تعالى، والفساد في سوء مباشرة العبد، وليس يعود إلى خلق الباري تعالى.

نص ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ صريح   ومثلها أمثالها ترشيح

وسنة الرسول في أخبار   ثابتة كالشمس في النهار

الأجل واحد

قرر عمرنا الإله الباقي[85]   معلومه المحتوم باتفاق

من بعده جاء بالاصطناع   خلافه من أهل الابتداع

<110>

---

[85] (الأجل واحد) قول الناظم: قرر عمرنا الإله الباقي، المقرر عند علماء الأصول: أن الأجل بمعنى كل مدة بقاء الحي، أو بمعنى اللحظة الأخيرة، وقت محدد ومعلوم عند الباري، وعلمه قطعي ثابت، فالمقتول ميت بأجله، وعقابه على القاتل، على أنه جاء بسبب غير مشروع لزهوق روح المقتول. ومن خالف هذا بتقسيمه الأجل الى الطبيعي على ما أبداه من بقاء ذلك الإنسان إلى مائة سنة، أو اجل انخرامي بالقتل أو الحرق او الغرق بنى كلامه على خيالاته، لا على ما نزل من آيات الله وعلمه تعالى.

والأجل الخرمي بالآفات أو الطبيعي على الأوقات
فكرة من يمشي على الأوهام تخالف المعلوم في الاسلام
لأننا نربِطه بالعلم فليس فيه خلف أهل الحلم
والأجل المعلوم الله العلي منفرد وفيه نصه الجلي

يجوز غفران ذنوب التائب وغيره

ويغفر الله لمن تاب ومن[86] لم يتب إن شاء الإله ذو المنن
لكن أتى نص الإله فانتبه الله لا يُغفر أن يشرك به

[86] (يجوز غفران ذنوب النائب وغيره) قول الناظم: ويغفر الله لمن تاب.
أجمع أئمة الدين على أن مغفرة الذنوب حق من حقوقه تعالى، فله أن يغفر للمذنب ولو بلغت ذنوبه عنان السماء، سواء تاب عنها المذنب أولا.
ويدل عليه النصوص من الكتاب والسنة، وخالفت المعتزلة فيه وقالوا: مشروطة بالتوبة، فإن تاب المذنب وجب العفو على الباري، وإلا وجب العقاب، وكل ذلك على أصولهم الفاسدة الباطلة، لأن العبادة طاعة، والطاعة حقه، والمعصية على أنواعه من مخالفة النهي، وكل ذلك يعود إليه، فجاز العفو، تاب المذنب أولا.
نعم ورد النص بأنه لا يغفر أن يشرك به، وأجمعت الأمة على أن سائر أنواع الكفر كإنكار الرسالة أو البعث أو غيرهما كذلك فلا مفهوم الذكر الشرك، وإنما خصَّه بالذكر لأن الكفر كان بصورة الإشراك، وأجمعت على أن جزاءه العذاب المؤبد، لأن صاحبه له اعتقاد الكفر وان يثبت عليه خالداً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (الأنعام/28) فجزاؤه الموافق لاعتقاده جزاء خالد. لكنهم اختلفوا بعد الاتفاق على أنه لا يغفر أن يكفر به هل يجوز عقلا أم لا بين نعم ولا ؟ والراجح جوازه عقلاً، وإن امتنع وقوع العفو عنه نقلاً، كما قاله السعد في شرح النسفية.

ومثل شرك كل كفر جار   من مجمعات ديننا المختار

وذاكِ سهل ممكن بالعقل   وامتناعه لنص النقل

إذ كفره معتَقَد مؤبد   وفاقه عذابه المخلد

وغيره مما به عصيانه   يدفعه إكرامه احسانه

ولو كبيرةً فما من شأنها   اخراجها للنفس عن إيمانها

الكبائر

كبائر الذنوب ما قد جاء حد[87]   عليه أو عليه قد توعد

قالوا هي السبعون بل قد قالوا   سبعمائة أقرب مما قالوا

<112>

---

[87] (الكبائر) قول الناظم: كبائر الذنوب، دلت النصوص على انقسام الذنوب إلى الكبار والصغائر قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (النساء/31) واختلفت الآراء في ضبط الكبائر، والراجح أنها: كل جريمة تشعر بعدم اهتمام صاحبها بالدين، سواء ورد الحد عليه كما في الكفر والقتل والزنا وقطع الطريق والسرقة وشرب المسكرات، او ورد عليه الوعيد الشديد بالعقاب عليه، أولا، لكن على وزان ما سبق كالإفساد بين المسلمين والوشاية والسعاية ونحوها، وعددها غير مضبوط، لأنها قد يحدث مالا نظير له في الذنوب، وإن ناسب بعضا منها، وفي النظم عدد كثير، وقالوا إنها أقرب إلى سبعماءة من سبعين.

والحق ما قلنا إنها لا تعد ولا تحصى والله اعلم، ولا تخرج المؤمن عن إيمانه بشهادة النصوص المفيدة لإيمان أهلها وإجراء الحد عليهم، ودفنهم في مقابر المسلمين.

أكبرها الكفر فقتل، فزنا إفساد ما بين العباد الأمنا

شهادة الزور كذا بهتان وشاية لمن له سلطان

قطع الطريق، الغصب، نهب المال لاسيما من صاحب العيال

وأكل مال الوقف واليتامى اكل الربا يلقى به أثاما

منع الزكاة فيه قحط قاما منع شعار الدين عمن راما

شرب الخمور، وقمار الناس والمكر في أخذ حقوق الناس

تولية الأمور في الاسلام من ليس أهلا أخطر الآثام

كذا قبولها كبير ذنب إهمال اهلها خطير خطب

إفساد أمة على الإمام ايقاظ فتنة على الانام

ومنع تعليم علوم الدين شعار أهل الكفر باليقين

خيانة الأمانة المستودعة لاسيما من الخفيات معه

عقوقنا للوالدين ذنب وقطع الأرحام مهم خطب

نميمة بين الورى كبيرة وإنها لفتنة خطيرة

نقض العهود من شعار الكفرة، والكذب والنفاق، خلق الفجرة

كبائر الذنوب لا تعد تهاون في الدين رسم حد

تهاون الآباء حول التربية كبيرة تعمية وتغبية

ومن هنا قد جاءت الويلات عم البلاد الشرُّ والظلمات

يا رب نورنا بأنوار الهدى ونجنا لطفاً مصائب العداء

غفران الكبائر

ووعد الله لتاركيها　　　غفران غيرها وذا يكفيها

والحد حقا سبب الغفران　　　لما جرى عليه من عصيان

لقاتل وقاذف وسارق　　　وقاطع الطريق عن خلائق

وشارب الخمر العنود العامل　　　مضيع ماله وعقل العاقل

التوبة واجبة

وتجب التوبة عن ذنوب[88]　　　وشرطها في الدفع للكروب

رد الظلامية إلى أصحابها　　　وندمه عن كل ما أتى بها

وعزمه أن لا يعود أبداً　　　لمثلها أو غيرها مما بدا

<114>

---

[88] قول الناظم: وتجب التوبة. وجوب التوبة على العاص منصوص في الكتاب والسنة، وأجمعت الأئمة عليه، ومعناها الرجوع الى طاعة الله تعالى. وشرط تحققها: رد الظلامة أي ما ظلم بأخذه إلى أصحابها بحسب الإمكان بلا تماهل وتكاسل أو استبراء الذمة منهم ما داموا موجودين وسهل عادة وصول التائب إليهم بالذات أو بالكتابة او السفارة، وإذا استحال ذلك صرف بدلها في فقراء المسلمين، لأن الظلامة عادت الى بيت المال، والندم النفسي على ما صدر منه، وعزمه على أن لا يعود إليها لكونها ذنبا ومعصية فيكون غير ما صدر منه، مثلها في وجوب العزم على أن لا يعود إليه، وبعد التوبة وتحقق الشرط دلت النصوص على أن الله تعالى يعفو عنه بل ويبدل سيئات التائبين بالحسنات.

الكبائر لا تخرج المرتكب عن الايمان

لا شيء منها يخرج المؤمن عن ... إيمانه، خلافه قول وهن

إنا نرى النصوص في القرآن ... تصف اهل الفسق بالإيمان

لو أخرجتهم عنه لانصب الملل ... إذ ليس ينجو الناس عن سوء العمل

وليس عند صاحب العرفان ... الحكم بالكفر مع الإيمان

تنفع الدعاء والصدقة لدفع البلاء

يرد ربنا بلطفه البلاء[89] ... بالصدقات والدعا إن قبلا

فهي من الاسباب بانجلاء ... لرد ما نزل من بلاء

<115>

[89] قول الناظم: يرد ربنا بلطفه البلاء. تضافرت وتظاهرت النصوص من الكتاب والسنة على أن الدعوات والصدقات والحسنات لها دور مهم في رد البلايا ودفعها قبل النزول ورفعها بعده.
وخالف في ذلك بعض بشبهة أن الله تعالى اذا قضى ببلية كيف كانت لابد من تحققه، لأن تخلف المقضي عن القضاء، وتخلف المعلول عن علته ممتنع، ولكن الحق الحقيق بالقبول أن المخالف لم ينظر إلى حقيقة الأمر، بل الحقيقة هي أن الله تعالى كما قدر وقرر التداوي للمرضى، لأن الله تعالى جعله سبباً لرفع ذلك المرض كذلك قرر أزلاً أن الدعاء أو الصدقات أو الحسنات كصلة الأرحام، وإسعاف المحتاجين من أسباب دفع أو رفع تلك البلية أو ذلك المرض فقدر وعلم أن زيداً سيتمرض وأن وسيلة شفائه شرب دواء فلاني أو دعاء من شخص أو صدقة منه على الفقراء، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة)) (رواه أبو داود في المراسيل، ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرفوعا متصلا والمرسل أشبه). والاحسان على أساس اصحاب تلك الأمور قد جرى قضاؤه تعالى بأن عمله الفلاني سبب لرفع تلك البلايا فيأتي بها الإنسان فإن كان جرى علمه تعالى بأن ذلك سبب له سيترتب عليه شفاء والله اعلم.

وليس معنى ذاك أن الله قد   قضى بكرب مثل محنة الرمد

والصدقات والدعا تدفعها   أو بعد أن قد نزلت يرفعها

فان رد ما قضي محال   وليس في اثباته، مجال

بل قصدنا الله كما قضى بها   ايضاً قضى بسبب لدفعها

كصدقات أو دعاء داعي   أو بدواء حاذق نفاع

مثل قضاء الله بالدواء   شفاء من يبلوه بالبلاء

اذ قد جرى في علمه العُباب   ربط المسببات بالأسباب

والنص في السنة والكتاب   من باب توجيهٍ الى الأسباب

كما الدواء من طبيب نافع   لوجع اعضاء المصاب رافع

وقد يُرى الدواء غير نافع   ولأذى المريض غير رافع

وحاصل القول لنا أنهما   مع المسَبَّبات قد شاءهما

وليس معنى ذلكم أن الدعا   يرد قهراً ما به الله قضي

وكلما قد خلتا عن نفع   فليستا سبب ذاك الدفع

إن البلاء من جنود الله   لا يعلم الجنود غير الله

والصدقات والدواء والدعا   من جنده أيضا إذا قد نفعا

وهذه عقيدة الاسلام   فاعتقدنها في قضا العلاّم

العدل والفضل

لربنا بابان مفتوحان[90] لكافة الأنام مسموحان

باب العدل ربنا في حكمه باب لفضل ربنا في حِلمه

<117>

---

[90] قول الناظم: لربنا بابان الخ. بيان الأمر مهم يدور عليه بحث الناس سلباً وإيجاباً، وهو أن ظاهر النصوص من الكتاب والسنة وعمل الصالحين على أنه كما أن الإنسان ينتفع بما عمله من حسناته وقدمه في حياته كذلك ينتفع بدعاء الناس له، والصدقة عنه، وكذلك بمجاورة الأبرار في المقابر وبشفاعة الرسول وكبار أمته له. وعليه فقد قرر المحققون أن لله سبحانه وتعالى بابين: أولهما: باب العدل: وهو عبارة عن جزاء كل عامل بعمل نفسه ذاتاً أو ما يعد من أعماله ذاتاً كما قدمه من الصدقات الجارية، أو علم علّمه الناس، فانتشر بعد مماته، او ولد يدعو له. فان كل ذلك مثل ما عمله في حياته.
وعلى ذلك ورد قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة/286) وقوله صلى الله عليه وسلم: ((وَالْمرْءُ مجزيٌّ بِعَمَلِهِ)).
وثانيهما: باب الفضل والرحمة: وهذا عبارة عن إيصال صدقات الناس ودعواتهم ومَبَرّاتهم بنية وصول ثوابها اليه.
أما الدعاء في الكتاب والسنة النبوية ما يغني المنصف عن كل تعب حيث إن دعاء الرسل لأمتهم وارد بكثرة، وكذا دعاء الخلف للسلف. أما الصدقة فيكفي الناظر أضحيته صلى الله عليه وسلم، لأمته، وأمره سعد ابن الربيع بالتصدق عن أمه التي توفيت في غياب السعد عنها، حيث كان في غزوة معه، ولما رجع وعلم بموتها وتأسف وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتيه هل ينفع امه صدقة عنها ؟ فأمره صلى الله عليه وسلم بالتصدق عنها، وقرر وقف بستانٍ له من خير بساتين المدينة المنورة وقفاً عاماً، على اعتبار وصول ثوابه الى روح امه المرحومة. وذلك أول وقف في الاسلام (اخرجه البخاري عن ابن عباس). وأما القراءات يكفي المؤمنين قوله صلى الله عليه وسلم: ((إقرَؤُا يس عَلَى مَوْتاكُمْ)) (رواه أبو داود وابن حبان وصححه)، فإنه إذا أخذنا بظاهره وهو نصٌ في تقع قراءة (يس) على الموتى مقبورين اولا، وإذا أوّلناها بالمشرفين على الموت، فيستنبط منه أنه مادام قراءة (يس) ينفع الحي المشرف على الموت، فمعناه أنه ينفع الموتى أيضا، لأن الوصولين كليهما من باب المعنويات الجارية، فضلا منه وكذا ما في شرح مسند احمد بن حنبل من رواية الحاكم عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ زارَ قَبْرَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدِهُما وَقَرأَ سُورَة (يس) كانَ لَهُ مَنِ الْأَجْرِ مِثْلَ ما قَرَأ كَلِمةِ أو حَرْفاً)) (رواه الحاكم). كما يدل واضحة ما في سورة الطور: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الطور/21).

حسَب ميزانٍ سليم للعمل　　حسب كتاب ليس فيه من خلل

إيماناً أو كفراً ولو نفاقا　　جزاؤهم مقرر وفاقا

حتى إذا جاء عبادَه الأجل　　يختم للعباد دفتر العمل

ينقطع عمله لنفسه　　في كل ما قدمه لقدسه

إلا الذي يعد من أعماله　　كصدقات بقيت من ماله

بناء مسجد ومستشفى وما　　وقفه من مستغلّ داوما

أو ولد يدعو له أو علم　　علمه الناس بوافي الحلم

فهذه يحسب من أعماله　　كأنه عمله في حاله

<118>

قولُ ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله)) أي عمل منه وقع
﴿أن ليس للإنسان إلا ما سعي﴾ من باب عدل ربنا قد وقعا

وعدله حكم على العباد بفعلهم من سوء أو رشاد
وما عدا ما عَمَلُهُ بنفسه ولو وراء ما اختفى في رمسه
صدقةً قراءة دعاءا ديناً فيقضِي غيرُه قضاءا
وغيرها والكل باب الفضل واللطف من ربي إزاء الأهل[91]
إن شئت أن تفهم ذاك سالما أولئك مع الذين أنعما
واقرأ بإخلاص مع الشعور آية ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾ في الطور
ووقف سعد ابن ربيع كفى كحجةٍ لأهل علم وصفا
أول وقفٍ كان في الاسلام وقَفَه للأم باهتمام
حديث حاكم بشرح مسند احمد حجة لدى المستند
كذاك ما روي بِصِدْق وصفا من بر والدَينِ من بعد الوفا
وقول أحمد إذا مرّ البشر على القبور وقرا من السور
الحمد والإخلاص إحدى عشْره جاء لأهلها الصفا بالبشُره
((إقرؤا يس على موتاكم)) من حضرة الرسول قد كفاكم
وقد جرى عمل أهل الدين من سلف وخلف أمين
بختمات وكذا الفواتح تفوح في الصدور خير فائح
وصدقات من أولي الخيرات تهدى من الأحياء للأموات
والعلماء أهل عقل وتقي لم يمنعوا أصحاب ذاك مطلقا
نعم أقرّوُها لباب الفضل ولم يُقِرُّوها لباب العدل
إلا فمن يمنع فضل الرب عن العباد غير لص الدرب؟

[91] أي المسلم ؛ لأن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به، فالكافر ليس أهلاً لذلك الفضل.

وباب فضل لا يُسد إلا ... على شقي كافر تولي

هذا هو الصحيح من كلام ... وهو الصريح من هدى الاسلام

الجزاء بالجنة والنار عادلا وفضلا

على نظام عدله وفضله[92] ... قد قرر الله جزاء أهله

فقرر العقاب بالنيران ... لصاحب الفسوق والكفران

وقررِ الثواب بالجنان ... لصاحب الإيمان والإحسان

<120>

---

[92] قول الناظم: على نظام عدله وفضله، يقول: لما خلق الله العالم وخلق فيه الإنس والجن للعبادة وأودع فيهم العقل والحواس وأيدهما بأرشد الخواص وهم الرسل الكرام، وأنزل عليهم الكتاب والحكمة فمن أطاع ربه، واشتغل بترك المنهيات وفعل المأمورات، أو عصي عن ذلك، فعلى تقرير بابي العدل والفضل يدخلهم في الآخرة داري الجزاء والأجر، فمن كفر يدخل النار خالداً فيها، وفاقاً لاعتقاده المؤبد، ومن آمن وأطاع وأخلص ولم يفسق أدخل الجنة خالداً جزاء وفاقا. ومن كان فيه الفسوق من المؤمنين فإن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبة بقدر استحقاقه، ثم أخرجه من دار العقاب وأرسله إلى الجنة والرضوان مؤبدا، ولهم فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين.
وهاتان الداران: الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن في العالم. وظاهر بعض النصوص أن الجنة في الجانب الأعلى تحت عرش الرحمن، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((سقف الجنة عرش الرحمن)) ولبعض روايات أخر، ولظاهر قصة خلق آدم وحواء، وإسكانهما في الجنة، وتوصيتهما أن لا يقربا الشجرة المعهودة. وإن الجنة فيها ما يريدونه من النعيم، وقال لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ (طه/118) ومحل هكذا لم يكن فيها المخالفات من البرد والحر والمجاعة والمضاعة ليس في عالم الأرض. فثبت أن الجنة في السماء، ولظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ (النجم/12-13) وإذا كانت الجنة هناك فلا يبعد ان يكون الجحيم أيضا في جزء من العالم العلوي الواسع.
وقد أجمعت الأمة الإسلاميون على أن جنة أسكن فيها آدم في الجانب الأعلى، ولم يخالف ذلك قبل ظهور البدع والأهواء رأي المخالف لما ذكرناه آنفاً. علاوة على أن قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران133) أنها موجودة ومعدة لأهلها المتقين، وإن عرضها السموات والأرض، ومكان يكون سعته كذلك لا يسعها إلا العالم العلوي الذي لا يحيط ببعده وأبعاده إلا خالقه وما ينسب الى الشيخ أبي منصورِ أنها جنة في الارض فقل: مدسوس، لا يليق بالنظر والاعتماد، مع أن قولَ واحدٍ مخالف لظواهر النصوص والامة الاسلامية السابقة لا قيمة له أبداً، هذا والانحراف عن ظهور النص ليس بلائق لأهل القدس.

مؤبداً دار الجزاء الأبدي ... جزاء ما أبد من معتقد

ومؤمن وُسِّخَ بالعصيان ... عذابه حدد في أزمان

وتانك الداران في الأعيان ... مخلوقتان الآن بالبيان

من ذلك البيان ما قد حُدَّت ... بصيغة لما مضى ﴿أعدت﴾

وهكذا آية (أسكن) وانتشر ... الأمرُ في إسكانه أبا البشر

والانحراف عن ظهور النص ... ليس بلائق لأهل القدس

<121>

رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة

ورؤية الله تعالى جائزة[93]   بحجةٍ شرطَ القبول حائزة

ولست أحتج بما قد اشتهر   من اشتراك في الوجود المعتبر

<122>

---

[93] قول الناظم: ورؤية الله تعالى إلخ. يريد به أن رؤية الله تعالى مثل الخلق والإثابة والمعاقبة واللطف والخذلان ونحوها من الصفات الفعلية له تعالى، لأنها أعم من نسبة الفعل إليه تعالي مباشرة، مثلُ ما عدا الرؤية، أو من نسبته أولا وبالذات إليه مثلها، فإن المقصود أنا نرى الله تعالى فيكون مرئياً لنا.

ثم إن الأصوليين استدلوا على جوازها عقلا، ووقوعها ووجوبها نقلا، فاستدلوا على الجواز بأن هناك علة مشتركة بين الواجب والممكن، فكما أن الممكنات يجوز رؤيتها لتحقق العلة القابلة وهي الوجود، فكذلك الباري تعالى يرى لتحققها فيه أيضاً. والأصوليون ضعّفوا هذا الدليل، وقد تبعتهم في ذلك، وتركت ذلك التعليل، واستدللت بما بينته بقولي: إن الرؤية واجبة في الآخرة بدليل الآية والسنة النبوية، فهي من المحققات فيها، وكل ما أمكن وجوده في ظرف من الظروف الواقعية ثبت إمكانه في سائر الظروف، ألا ترى أن جمع النقيضين ورفعهما لما كان من الممتنعات كان ممتنعاً في الدنيا والآخرة ؟

فالرؤية ما دامت ثابتة في الآخرة بقول المخبر الصادق من الله والرسول ثبت إمكانها فيها، وكل ما أمكن هناك فهو ممكن في كل ظرف، فرؤية الله تعالى جائزة عقلاً كما أنها واجبة بالنقل السالم الثابت من الله تعالى ومن أصدق من الله قليلاً. ومن الرسول الثابت صدقه بالمعجزة التي تواتر وجودها عند المسلمين من السلف ومن يليهم الى زماننا هذا.

وما اشتبه به المخالفون من كونها ممتنعة لوجوب تحقق شرائط للرؤية من المقابلة بين الرائي والمرئي وتحديد المسافة بينهما على الاعتدال، الا على القرب ولا على البعد المفرطين وكلها ممتنع في رؤية الله، فالرؤية له مستحيلة، وغير ذلك من الموانع كلها باطل عندنا، ومبني على قياس الغائب على الشاهد، وهو فاسد. فلتكن الرؤية كباقي صفاته تعالى منزهة عن القياس.

لأنه غير مسلم لنا   مباين وجوده وجودنا
بل نحن نحتج بأن الرؤية   تقع في المعاد عليا مُنْيه
وما يكون في المعاد واقعا   جوازهُ حق ولن يمتنعا
وحجة الوقوع فيه ظاهرة   وجوه أهل الحق فيه ناضرة
لأنها لذات رب ناظرة   لا كوجوه الكافرين الباسرة
قال الرسول: إنكم ترونه   كالقمر في ليلة البدر له
وبالدليل الحق أعني المعجزة   ثبت صدقه بلا مؤاخذة
وكل ما وقع في الوجود   فلا امتناع له في الشهود
وذا دليل للجواز عقلا   أما الدليل للوجوب نقلا
نصوصنا الظاهرة اللوائح   بدون أي مانع يكافِحُ
وليس من شرط صفات الباري   ما هو معتاد لنا وجاري
رؤيته كسائر الصفات   صافية عن كدر الزلات
فنحو قرب البين والمقابلة   ليس لنا فيه أذى المجادلة
هذا الذي في ديننا نعتقدهْ   وكل ما خالفه ننتقدُهْ

الإيمان بالملائكة

ثم لنا الإيمان بالملائكة[94] وهي لجسم ذي صفاءٍ مالكه
اجنحة مثنى وثلاث ورباع لهن في نص الكلام لاتساع

<124>

---

[94] قول الناظم: ثم لنا الإيمان بالملائكة. أي الركن الثاني من أركان الايمان الإيمان بالملائكة، وتقديم هذا الركن على الباقي، لأن وجود ملائكة الوحي إلى الرسل وسيلة لظهور الرسالة والايمان بها وبغيرها. والملائكة: أجسام لطيفة نورانية خلقها الله تعالى بأمر: كن فيكون وتقدر على التشكل بأشكال مختلفة طيبة، ليس فيها ذكورة وأنوثة وتناسل، وخلق الله لها قوي على ما أمرت به. يقول الباري: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (فاطر/1).
ودوامها في طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم/6)، ولهم مراتب متفاوتة، ففي سورة الصافات: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ (الصافات / 164 - 166).
ولها أصناف كثيرة: منها: المقربون، ومنهم جبرائيل أمين الوحي والتنزيل، وميكائيل مأمور الأرزاق، وعزرائيل مأمور قبض الأرواح، وإسرافيل مأمور النفخ في الصور مرتين، مرة لتدمير الجبال، وتغير الأحوال، وإماتة الأحياء، والمرة الثانية لإحياء الموتى، والبعث، والنشور.
ومنهم حملة العرش، وعددهم في عالم الدنيا أربعة، وفي عالم الآخرة ثمانية. ومنهم المأمورون في السماوات أو في الهواء، أو في البحار، أو في البراري. ومنهم المأمور على الرياح والنبات والإنسان، قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (الطارق/4) قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد/11). ومنهم الكاتبون لأعمال العباد، وعلى كل إنسان اثنان لكتابة الأعمال. ومنهم المأمورون لإغاثة المضطرين.
وكذلك منهم مأمورون في عالم البرزخ للسؤال عن كل إنسان ميت من المكلفين. ومأمورون لتنعيمه او تعذيبه على حسب قوله صلى الله عليه وسلم: ((إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران)) (اخرجه ابن منده عن أبي سعيد الخدري، ورواه الترمذي في باب القيامة). وعذاب البرزخ في القبر او غيره ثابت بنص الكتاب والسنة، وكذلك سؤال الميت بعد الدفن او غيره، وكذلك منهم مأمورون في البعث والنشور قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق/21).
ومأمورون في الجحيم به أصنافهم تسعة عشر، ورئيسهم مالك، أي اسمه مالك، وفي الجنة مأمورون منهم، وظاهر الروايات أن أهل الدارين يرون الملائكة عياناً، بخلاف ما في عالمنا، ومبلغ عددهم لا يعلمه إلا الله، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدثر/31). والتفصيل في الكتب المعتمدة من صحاح الأحاديث الشريفة.

مأمورة بأمر ذات لم يزل   مطيعة لأمره عز وجل

وتقبل الظهور في أشكال   نظيفة ظاهرة الجمال

عن صفة الذكر والأنثى بُراء   إلا بخرق عادةٍ ليست تُرى

أصنافها كثيرة مشهورة   في كتب اعتمدت مسطورة

قال الرسول: أطَّت السماءُ   من ملك، حقَّ له الصفاء

<125>

في طاعة الله بالسجود ... والذكر والتسبيح للمعبود

من المقربين: جبرائيلُ ... روحٌ أمينٌ ملك جليل

إليه أمر الوحي والتنزيل ... لرسل الله على التفصيل

إلى الرسول أحمد المختار ... نزل به الروح الأمين الداري

مأمور رزق الله ميكائيل ... بأمره في يده التحويل

﴿نحن قسمنا بينهم﴾ يكفينا ... لا نقص لا مزيد في أيدينا

لقبض روح الحي عزرائيل ... وله مأمورون، والدليل:

نص ﴿توفته﴾ من الأنعام ... ﴿رسُلُنا﴾ متمم الكلام ﴿رسُلَنا﴾ متمم الكلام

ومنهم المأمور إسرافيلُ ... ينفخ في صور به التهويل

ينفخ فيه مرتين للندا ... زلزلة الساعةِ من الأُولى بَدا

صعق من في الأرض والسماءِ ... بها فسبحان القدير الشائي

من شاءه الله من الملائك ... أو غيرهم بذيك غير هالك

تبعثر الأرض مع الجبال ... لا فرق بين نازل وعال

ومرة ينفخ للإحياء ... والحشر والوقفة بالعناء

والأمر أمر الله ذي الجلال ... والحكم للحكيم في الأعمال

حملةُ منهم لعرش الله ... أصحاب قوة وأهل جاه

عددهم أربعة في يومنا ... وضعفها عند انتباه قومنا

وسرها عند الخبير لائحُ ... وبطش ذي العرش جلي واضحُ

منهم كرام الكاتبين طُرّا ... ويكتبون الخير، ثم الشرا

ومنهم المعقِّبات اللاتي ... لحفظ الإنسان من الآفات

ومنهم الحفظه لن يفوتوا ... على ذوي الحيا حتى يموتوا

﴿إن كل نفس﴾ إن قراها لافظ ... وراءها: ﴿لما عليها حافظ﴾

والمرسلات العاصفات الناشرات ... والفارقات بعدها والملقيات

والنازعات الناشطات السائحات ... والسابقات بعدها المدبرات

وكلها أوصاف ذي الملائكة ... في أمر رب العالمين سالكه

ومنهم المأمور للسؤال ... عن ميت للكشف عن أحوال

وهذه فتنتنا إذ ربنا ... يعلم ما كان عليه دأبنا

ومنهم المأمور في السماء ... للرعد والبرق وفي الهواء

حتي رووا أن أمور الدنيا ... على نظامٍ جاذبات عليا

للشمس والقمر والنجوم ... والشُّهُب الثاقبة للرجوم

كل عليه ملك مأمور ... وعنده الأصول والدستور

وجهلنا ليس دليل العدم ... فالعلم كشاف لما لم يعلم

ومنهم المأمور للتنعيم ... في القبر أو تعذيبه الأليم

﴿وأغرقوا فأدخلوا﴾ دليل ... تعقيب ﴿فاءٍ﴾ ظاهر جميل

﴿يوم القيامة﴾ يليه ﴿أدخلوا﴾ ... و ﴿آل فرعـــون﴾ لـــه مفصل

﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ ... الآية السؤال فيها كائن

أمر الرسول صحبةُ أن يسألوا ... تثبيت من قد دفنوا مفصل

﴿القبر إما روضة﴾ دليل ... محكَّمٌ مسلَّمٌ جليل

انفاد غصنين على قبرين ... فيه الهدى لكل قلب زين

بعد الممات عالم البرزخ ... ما بين نشأتين لا تُؤرِخِ

وعالم البرزخ بين بينا ... للروح والجسم كرؤيا عينا

وليس في دين الهدى أوهام ... يفهم هذا من له افتهام

ومنهم السائق والشهيد ... ويل لمن عذابه شديد

ومنهم المأمور للحساب ... ووزن أعمال على الكتاب

ومنهم المأمور للصراط ... عند مرور الناس بانضباط

ومنهم المأمور في الأشرار ... وسحقهم في دركات النار

من استحق للعذاب هالك ... رئيسهم بالنص حقا ﴿مالك﴾

ومنهم المأمور للجِنان ... رئيسهم شهر بالرضوان

ومنهم النازل عند الذكر   لأهل ذكرٍ صادق في الفكر
أحسن بحلقة لذكر الله   اقرأ حديثاً في تباهي الله
الذكر ما بين الطلوعين وفي   بين الغروبين لإنسان صفي
يكون معه ملك كرام   لاسيما إذا اختلى الأنام
والعقلاء في ملك قد تاهوا   لا يعلم العدد إلا الله
يسبح الرعد بحمد ربه   كذلك العبد الوفي في دربه
والصوت صوت احتكاك في السما   يفهم سر ذاك بعضُ العلما
والبرق من أجزائها النارية   والنور في أذكارهم جلية
كل عليه ملك مأمور   واسم رعد عندنا مشهور
كذلك الجبال والطيور   وكل ما في ملكه يدور
أي كل شيء فله التسبيح   من الكتاب جاءنا التصريح
لكل ذا نوع من البيان   يخرج عن معرفة الإنسان
وليس قصده لسانَ الحال   أو حالَها بنوع استدلال
قال لجمـع ناسـنا: ﴿لا تفقهـون﴾   لعـلَّ بعض ذي اقتبـاس يفقهـون

<128>

الايمان بالأنبياء والرسل الكرام

نؤمن بالرسل[95] الكرام كلهم　　　والأنبيا آخرِهم أولهم

من غير فرقٍ في رسالة ولا　　　نبوة في رتبة من العلا

<129>

[95] قول الناظم: نؤمن بالرسل. بيان لركن ثالث من أركان الدين، وهو الإيمان بالرسل والأنبياء الأعلام. ومعنى الإيمان بهم: أن تصدق وتسلّم أنهم رجال أمناء اختصهم الله برحمته، وزودهم برسالته، والسفارة بين الله وبين عباده، وأنهم أمناء على الدين، وبلغوا الكتاب والصحف حق التبليغ، وهم فطناء اذكياء، وأن لا يفرق بين أحد من رسله لأن الفرق بينهم يوجب تكذيب بعض منهم في بيان رسالته.

وعلى ذلك نحكم بكفر اليهود، لإنكارهم رسالة سيدنا عيسى المسيح وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام، وبكفر النصارى لإنكارهم نبوة ورسالة سيدنا محمد إلى جميع الناس، بخلاف قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ/107). قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف/158) وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الاعراف / 157) وغيرها من الآيات البينات.

وقد ثبت بالصورة القطعية التي لا تقبل الشك دعواه للرسالة إلى جميع الأمم في العالم، وكتابه إلى ملوك الدنيا: ملك الروم، والأقباط، وملك الفرس، وأمراء الخليج، يدعوهم إلى الايمان به، واتباع رسالته صلى الله عليه وسلم، فمن لم يؤمن برسالته إلى جميع الامم نحكم بكفره، وأنه معذب عذاب الخلود في الآخرة.

كما أنه ثبت ظهور معجزات منه صلى الله عليه وسلم لإثبات رسالته وشهدت بحقانية دعواه للرسالة: أخلاقُه وأعماله وآدابه الشريفة، من الصدق والصبر والأمانة والوفاء، ورعاية العهود والوفاء بالوعود والترحم والسخاء، وغيرها من التواضع والعفو والسياح. ما هو كحجة قاطعة على رسالته العامة التي ختمت بها الرسالات، صلى الله عليه وسلم.

فكل من أنكر فرداً من رسل ... فكافرٍ كمثل منكر لكل

كفر اليهود ذي الجفا الشحيح ... إنكارهم للسيد المسيح

كذاك إنكار رسالة النبي ... محمد الهادي لخير الأدب

وكفر أمة النصارى يبتدي ... من رفض إرسال النبي العربي

محمدٍ، لغير قوم العرب ... مع أنه عمَّ بنص الكتب

سابقها لاحقُها الجليلُ ... أسفار توراةٍ كذا الإنجيلُ

قد ثبتت فيها بشارات به ... لا تقبل الشكوك للمنتبه

ثم دليل العقل قد دل على ... أن محمداً بحق أُرسلا

للثقلين جِنةٍ وناسا ... داعيَ كلٍّ هاديا نبراسا

تواترت دعواه للرسالة ... ليُخْرِج الخلق عن الضلالة

بمعجزات خارقاتِ العادة ... قد أثبتت لذاته السيادة

وأرسل الكتب للملوك ... بسفراء حسني السلوك

وكل ما للناس من دليل ... لنا مثاله لدى التمثيل

فليشهدوا بأنه رسولهم ... مرتبط بدينه وصولهم

التفاضل بينهم

نؤمن بالفضل لبعضهم[96] على   بعض بنص من كتاب نزلا

يختص بالرحمة من يشاء   ومن خواص بعضهم آلاء

<131>

---

[96] قول الناظم: بالفضل لبعضهم. بيان لبعض أحوال بعض الرسل الكرام.
ومما ينبغي علمه أن النبوة والرسالة من الصفات الموهوبة للرجال، فليس في النساء رسول ولا نبي، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ (القصص/7) أي ألهمناها، أو أمرنا ملكاً هتف بها كمشاور ينصحها.
والفرق بين النبي والرسول، أن النبي لم يشترط فيه وجود الكتاب، أو تبليغ الشريعة، وأما الرسول فاشترط في رسالته الكتاب والتبليغ، فالرسول خاص والنبي عام ؛ فكل رسول نبي ولا عكس.
ثم إنه يجب في تحقق الإيمان بهم أن لا نفرق بين أحد من رسله في أصل الرسالة، لكن لا مانع من اعتبار فضل بعضهم على بعض بعد إعلامنا بذلك.
وقد أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء، وأن الرسل أولي العزم، وهم خمسة: نوح، وابراهيم وموسى، وعيسى، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من بينهم، وأفضل من باقي الرسل والأنبياء، لوجوه:
الأول: عموم دعوته للأمم، وباقي الرسل اختص كل منهم بقوم دون قوم.
الثاني: أنه ختمت رسالته الرسالات، فهو رسول الله، وخاتم النبيئين.
الثالث: دوام معجزته إلى آخر الدنيا، لأن منها القرآن الكريم وهو يبقى إلى آخر الزمان، وسنذكر - إن شاء الله - أدلة كونه معجزة في المستقبل.
الرابع: إن أمته خير أمة خلقت للمرسلين، لدوام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها، وأنها لا تجتمع على الضلالة، ولا تزال طائفة منها على الحق حتى يأتي أمر الله، أي بقيام الساعة.
الخامس: إن وجوه الخير الموجودة في استه من النور الروحي والتقوى والطاعة والإخلاص، والاستمرار على خدمة الدين، ونشر العلوم الدينية لم يكن في غير أمته.
السادس: إتمام مكارم الأخلاق ببعثه صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى بعد ذكر الأعلام من الرسل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ (الأنعام/90) ومعناه إن أخلاق الرسول كانت جامعة لأخلاق أولئك الرسل، فصار مجمع الأبحر في فضائل الرسالة. ونسأل الله تعالى أن يفيض علينا من زلال رحمته وكمال فضيلة رسوله محمد ما تتنور به قلوبنا وقبورنا، وتنشرح به صدورنا، وتسهل به امورنا في الدارين، بفضله ورحمته إنه أرحم الراحمين.

وذلكم مثل عموم الدعوة   لحضرة الرسول ذي الفتوة

بعثه للعالمين رحمة   في الدين والعلم بنشر الحكمة

للجن والإنس فمن أسلم قد   فاز بفضل دينه أعلى الرشد

من لم يفز بفضل الإيمان به   فاز بفضل العلم من حكمته

أرسل للثقلين بالتكليف   أرسل للملك للتشريف

محمد في الأرض أحمد السماء   وفي الملائكة محمود سُما

دوام معجزته القرآن   ويستمر في مدى الزمان

أمته بالرشد والجلالة   لم تجتمع قطعة على ضلالة

كذاك لا تجتمع إلى الأبد   من جاء بالباطل قد وافاه ردّ

ولاتزال فرقة من أمته   ثابتة على هدي من حكمته

وهذا الاجتماع للعبادة   لم يك في باقي الوري بعادة

حفظ كتابه وحفظ سنته　　منيته وذاك أعلي منيته

وغيرها مما يطول ذكره　　لاسيما ذكر الولي وفكره

وعلم أعلام الهدى من أمته　　مع التآليف لنشر شرعته

في الفقر والغني وفي الهناء　　وعند بؤس الحال والغوغاء

والحمد لله على نعمته　　وجعله الأعلام من أمته

وعدد الرسل على ما اشْتَهر　　ثلاث مائة مع ثلاثة عشر

مذكورهم بالنص في القرآن　　عشرون مع خمسة بالبيان

آدم إدريس ونوح وهود　　وصالح أمته ثمود

وأبو الأنبياء إبراهيم　　وابن أخيه لوط السليم

ابنه من هاجر إسماعيل　　من سارة إسحاق الجليل

يعقوب يوسف وأيوب الفتي　　شعيب مدين علي نص أتي

موسى وهارون ويونس على　　تسبيحه نجاه من كرب البلاء

داود ذو الأيد سليمان حَكَم　　في الانس والجن وطيره الأشم

إلياس اليسع ذو الكفل ومن　　عدَّ عزيراً في المقال يُؤتمن

وزكريا ثم يحيي عيسى　　في موطن متصف بالأقصى

محمد خاتم الأنبياء　　والمرسلين ص احب اللواء

أولو العزم منهم

منهم أولو العزم وأصحاب الهمم　　والصبر من إيذاء أنذال الأمم

نوح وإبراهيم موسي عيسي　　محمد من زار ليلاً قدسا

أفضلهم سيدنا محمد　　بالعقل، والنقل له مؤيد

عدد الأنبياء نقلاً يلفي　　في مائة أو مائتين ألفا

يليه أربعة مع عشرينا　　جمعاً كراما ناشرين دينا

لكنه وصى أولو التمكين　　ان لا تميل نحن للتعيين

تعريف الرسول والنبي

ثم الرسول[97] من له كتاب — من بشر مذكر يُهاب

له كمال العقل والحواس — بدون عيب في عيون الناس

بري من دناءة الأصول — من والديَنِ صاحبي قبول

وهو زكي فطن أمين — مبلغ لدينه مبين

<134>

---

[97] قول الناظم: ثم الرسول. بيان لتعريف الرسول، كما ذكره الأصوليون، قال السعد في شرح العقائد النسفية:
والرسول إنسان بعثه الله لتبليغ الأحكام، وقد يشترط فيه الكتاب، والنبي أعم، انتهى. وقوله: أعم أي فإن قلنا: إنسان بعثه لتبليغ الأحكام، فلا نعتبر التبليغ شرطاً في النبي. وإن اشترطنا في الرسول نزول الكتاب فلا نعتبره في النبيّ، فتكون النسبة بينهما: عموماً وخصوصاً مطلقا. هذا واذا اشترطنا فيه الكتاب فلا تشترط نزوله عليه بالذات.
بل يجوز أن يعمل بكتاب نزل على من قبله، كما في رسل بني إسرائيل، فإنهم عملوا بالتوراة، وقد نزلت على سيدنا موسى فعمل بها، وعمل بها من بعده من رسل بني إسرائيل إلى زمان سيدنا المسيح، وقد نزل عليه الإنجيل فعمل به لا بالتوراة. وأما زبور سيدنا داود فكان فيه الأذكار والأوراد. وأما الأحكام فكانت على ما في التوراة.
ويشترط في الرسول: العقل الرصين، وسلامة حواسه، وسلامة بدنه من العيوب المنفرة المقارنة لإرساله، فلا مانع من عروضها بعد تقرير رسالته. كما يشترط فيه: براءة نسبه من الخناءة والدناءة، لأنها تنافي قبول الناس دعوته. وكذا يشترط فيه الفطانة والأمانة على دينه، ليُبلِّغَهُ كما أمره الله تعالى به.

له كتاب جامع اختص به أو نازل السابق من ربه

أما النبي فليس مشروطا به ولا علي تبليغ دين ربه

يقال زيد بن نفيل كانا من النبيين بقي زماننا

والرسل وأنبياء الله أصحاب فضل وعلا وجاه

من التقرب إلى الله العلي بحسن خلقهم وحسن العمل

حيث اهتدي كل بَهدْي الله فأنذروا الناس بقهر الله

وبشروهم بثواب الآخرة في جنة ذات قصور فاخرة

موطنهم في علم ذات الله وجاء نص من كتاب الله

قال: وإن من أمة إلا خلا فيها نذير بعذاب وبلا

عصمة الأنبياء والرسل

قد جاء في الكتاب للإرشاد[98] المرسلون صفوة العباد

وإنهم عباده الأخيار فليس في قلوبهم غبار

<135>

[98] قول الناظم: قد جاء في الكتاب للإرشاد وتوطئة لإثبات عصمة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بأن الله تعالى مدحهم في القرآن الكريم وذكر في شأن عدد منهم في سورة الصافات: أنهم من المصطفين الأخيار، وأعلن السلام عليهم في آخرها. وذكر في شأن عدد منهم: أنهم الذين هداهم لخير الأخلاق والأعمال، وأمر الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم في تلك الأخلاق العالية التي كانت لهم. واتفق الأصوليون على عصمتهم عن الكفر مطلقاً، وعن تعمد الكبائر قبل النبوة والرسالة وبعدها، وعن صغائر تدل على الخسة والدناءة كذلك. وما جاء على سيدنا آدم يقال في جوابه:

أولاً: أنه لم يكن النهي تكليفاً تشريعياً، بل كان إرشاداً.

ثانياً: أنه جاءه ما جاءه نسياناً، كما قال: فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (طه/ 115) والتفصيل في المطولات.

والقلب سلطان الوجود مطلقا صلاحه صلاح ما منه بقي
وذكر اللهُ رجالاً بررة من مرسلين سابقين خِيره
ميزهم عن كل من عداهم عزرهم بأنه هداهم
وامر الرسول من وراهم ليقتدي بالكل في هداهم
لو لم يكن كل بحق في هدى كيف يكون للرسول مقتدى؟
فالحق أن الكل في مقام يليق بالثناء والإكرام
عصمتهم ع ن كفرهم بالله متفق بدون اشتباه
ومن كبائر الذنوب مطلقا ثابتة على نظام حققا
ومن صغائر الذنوب بعدما قد ارسلوا عليه رأي العلما
لكن ما عد من الخسيس لا ينبغي لحضرة الرئيس
وكل ما نقل من خلاف مؤول عند أولي الانصاف
إذ واجب الإمام الطهارة من وسخ البطانة والظهارة

رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس تكليفاً

سيدنا محمدٌ خير الوري[99] وخير مَنْ أنذر أو من بشرا

أرسل للإنس والجن كما في سورة الأحقاف نصاً عُلما

وهكذا في سورة الجن ذكر أن جمعوا حول الرسول المنتظر

فقد قرا عليهم القرآنا فآمنوا به، كما أتانا

<137>

[99] قول الناظم: سيدنا محمد خير الورى إلى آخر الأبيات الخمسة بيان أن الله تعالى أرسل حبيبه محمداً إلى الجن تكليفا، كما أرسله إلى الانسان وكما أن من البشر من آمن ومن كفر، كذلك في الجن مؤمنون وكافرون. والدليل على ذلك نصوص من الكتاب والسنة، وأظهرها سورة الجن فقد دلت دلالة لا تقبل الإنكار أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسالة الرسل وباقي أركان الإيمان، وأنهم آمنوا به صلى الله عليه وسلم، وكذلك في سورة الأحقاف آية: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ (الأحقاف/29). وأجمعت الأئمة الاسلامية على هذا المقصود، فالإيمان بوجود الجن وأنهم مكلفون كالإنس، والإيمان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إليهم أيضا واجب على كل مؤمن مكلف، وإنكاره كفر بالإسلام ودينه.

وقد ذكر صاحب فتح الباري في شرح صحيح البخاري أسماء عدد من كبار اصحابه صلى الله عليه وسلم من الجن، وهذا مقرر في الإسلام. وآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات/56) نص على أنهم مع الإنس في التكليف بعبادة الله، والتكليف موقوف على تبليغ الرسل آداب الإيمان والعبادة إليهم.

ايضا تواترت به الأخبار	تكاثرت في ذلك الآثار
كالشمس في رابعة النهار	فلا يليق ذاك بالإنكار
إنكاره إنكار عين الدين	وذلك الكفر على اليقين
وإن جهلتا لجن[100] ياتلميذي	فخذ كلامي فزت بالتمييز

<138>

---

[100] قول الناظم: وإن جهلت الجن، إلى آخر الأبيات وبيان لنبذة من أوصاف الجن، وحاصله أن الجن خلقهم الله تعالى قبل الإنس من مادة لطيفة نارية، وفيهم الذكور والإناث، وإنهم قادرون بأمر الله تعالى على التشكل بأشكال مختلفة، من الإنسان والحيوان، من الحشرات وغيرها، وإن ابليس وهو الشيطان المعلوم في نصوص الدين كان من هذا النوع، وكان بين أفراد الملائكة من أهل الطاعة، ولما أمر الملائكة بالتعظيم لآدم وسجود التشريف له، وتوجيه الأمر إليه أيضا بالذات عصى وتكبر واعتذر بما اغتر به، إن عنصره نار، وهي خير من التراب، لإشعاعها وخموده، وباستكباره وعناده أمام رب العالمين لعنه وطرده، وأمهله إلى يوم القيامة، لابتلاء العباد، وتمييز المخلصين من المغشوشين المفلسين على رؤوس الأشهاد.
ومن خالف في أن إبليس من الجن، وأدعى أنه من نوع من الملائكة معروفين باسم الجن فقد خالف الحق من جانبين:
الأول: إنه لم يعرف بين أعلام الإسلام نوع أو صنف من الملائكة باسم الجن.
الثاني: إن الملائكة لا تناسل لهم ولا ذرية لهم، وخلقهم وإفناؤهم بالأمر، أي كن فيكون، وإبليس له ذرية معروفة بالشياطين، وقال تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الكهف/50) ويستفاد من قوله تعالى: ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ ومن قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ... الآية﴾ (الأعراف/112) أنه كما كان مأموراً بالسجود لسيدنا آدم في ضمن أمر الملئكة به، حيث كان هو بينهم، كذلك توجه الأمر الخاص بالسجود إليه، فعصيانه أمام أمر الله تعالى معلوم، ومن قال: إنه لم يكن من الملائكة، فلم يشمله الأمر بالسجود، والاستثناء يبقى منقطعة، ولا استثناء منقطعة في القرآن ﴿ فقد اشتبه من أبواب: الأول: إن حكم المرد مغمور بين كثيرين وفي دثارهم وزيهم حكم الجماعة.
الثاني: إن الاستثناء المنقطع في نحو أربعة عشر موضعاً من القرآن، ولا مجال هنا لذكرها.
الثالث: إنه توجه إليه الأمر الخاص به كما هو معلوم من تلك الآيات التي ذكرناها.

الجن قد كان بنص الآية ... في عالم الدنيا مع العناية

وبعدما أراد رب القدس ... تشفيع جنٍ بوجود الإنس

نادي الملائكة باللطيفة ... بجعله في أرضه خليفة

خلق آدم أبا الإنسان ... جعله المنبع للإحسان

فغابت الجن عن العيون ... وظهر الإنس بلا غُيون

وإن تسل عن مادة الوجود ... فاعلم بها من هذه الحدود

عنصرهم نارية اللهيب ... لا نور كالملائك العجيب

شأن الملائك دوام الطاعة ... وشأن جن وفرة الشناعة

ويتشكلون بالأشكال ... من صورة التشويه والجمال

كالأنس فيهم ذكر وانثى ... وقد يُرى في نوع جن خنثى

ومنهم المطيع بالإحسان ... ومنهم الشنيع بالعصيان

من نوعهم إبليس ذو الوسواس ... اكفر كل جنةٍ وناس

وكان مدة مع الملائك ... يمشي على محاسن المسالك

لكنه لعن بالعلانية من بعد الاستكبار والأنانية
لعنه الله إلهُ العالم حين عصاه في سجود آدم
لم يكن السجود للعبادة بل كان للإكرام حسب العادة
وقد عصى بالكبر والأنانية ما فارقته ساعة أو ثانية
أمر بالسجود في الملائك وكان فيهم قائد المسالك
كان من الجن اساسا ففسق وقد عصى بكبره رب الفلق
وهو عند الأمر بالملائكة قد عد منهم لو بوجه حالكه
نصح استثناؤه من جمعها لشكلها ولونها ولمعها[101]
وقال بعض صاحب التدقيق قولا مقارباً من التحقيق
فقال: أمرُ حضرة المنان بسجدة إبليس مرتان
في مرة أمْرٌ مع الجماعة لكنه قابل بالشناعة
ومرة أُمر بالخطاب نص عليه الله في الكتاب
بنص ﴿ألا تسجد إذ أمرتك﴾ في أول الأعـــراف قـــد عرَّفتك
فصحة استثنائه قررنا ورفض أمر ربه حررنا
وبعدما جرى عليه ما جرى صار عدو آدم وقررا
إغواء نسله بكل قوة وسلبه عنه هدى المروة
بجاه أو بجنس أو بمال وكل ما يضر بالكمال
فصار لا يخلص لولا المددُ غير العباد المخلصين أحدُ
قضاء ربي[102] قد قضى في العالم عداء إبليس لنسل آدم<140>

---

[101] يعنى: لأن إبليس كان في شكل الملائكة ولونها وسيماها، واللمع: الظهور.

[102] قول الناظم: قضاء ربي الخ. بيان أن خلق ابليس أو لعنه وطرده عن باب رحمته، وجعله عدواً لدودا للجن والانس من قضائه تعالى، ولا ندري سره، فوجب التسليم له، فإن الرضاء بالقضاء سعادة، وانتظار الفرج من الله عبادة. ولكن في هذا الموقف يجب علينا النظر بالدقة إلى أن قضاء الله تعالى مقرون بالحكمة، وقد يكشف على بعض الأصفياء المخلصين.
الأن الإنسان إذا نظر الى أن مصير أهل الدين المثوبات الخالدة الابدية علم أنه لا يقابل هذه النعمة العظيمة عبادة قليلة، وأن الإنسان لا يستحق تلك الرحمة الجليلة إلا بطاعة الله تعالى، ومخالفة النفس الأمارة بالسوء، ومجانبة هواها ؛ وعداء ابليس وأعوانه، فإذا ابتلاه بهذا العدو وعانده فقد وافق الحق وعبد ربه، ونال رضاه وجنته وأما من خالف الحق، وحالف الباطل فمصيره إلى حليفه.
ثم قال: إياكم النفس محذراً للإنسان عن شرها، فإن أعدى عدوه نفسه، ولا يسلط الشيطان إلا بمعونتها، وظفر الشيطان به، إما من جهله بعواقب العقاب، أو من غضبه الذي يسلب عقله، او من الطمع في المال والجاه، وسائر الشهوات. والطمع يصرع العقلاء.
وغالب أسباب الهلاك، وفساد الإنسان من قلة المال والنفقات، أو من العلة والأمراض، أو من الذلة والانكسار الذي يقتل شخصية الإنسان، أو من

فهو وذريته إلى الأبد	أعداؤنا من كل باب دون حَد
فاتخذوهم لكمو أعداءا	لا تتخذوا منهمو أولياء

<141>

الخوف من بطش الباطشين الطائشين. فقولوا: اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، آمين.
ثم ذكر أن أساس الفساد في العباد، إما: داخلي من سوء التربية في الصبا، أو إهمالها إلى أن يغلب السواد على القلب، وإما خارجي من اختلاط الفاسقين أهل الغفلة والضلال، أعاذنا الله من كل سوء، وجعلنا ممن أطاعوا الله في أمره بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(البقرة / 119).

ذرية إبليس مع من مردوا   اسم الشياطين لهم محدد

كذاك في الإنس لهم معين   وكل من عاونهم لعين

فيا عباد الله راعوا قدركم   خذوا من الأعداء جداً حذركم

وغالباً سيطرة الأعداء   تكون في الورى وفي الخفاء

يكون في الورى من الأوهام   وفي الخفا التطميع في الحُطام

وفرقة فاسدة تسعى لهم   في غافلين كي ينالوا مالهم

ورطله الخامس تفس وهوى   من عانق الهوى فلا ريب غوي

إياكم النفسَ هي الأمارّة   بكل شيء يوجب الخسارة

أعدى عدونا لوقع المصرع   أقوى علينا من دفاع المدفع

ظفرها من جهلنا ومن غضب   وطمع يصرع كل ذي حسب

من قلة وعلة وذلة   والخوفِ من ذي قوةٍ مذلة

معدنا لذاك سوء التربية   ويل لجيش مع سوء التعبيه

لا عاصم اليوم من أمر الله   إلا برحمة من الإلهِ

نحن لا نرى الجن في الدنيا إلا بخرق العادة

يروننا اليوم ولا نراهم[103]   وفي المعاد العكسُ قد وافاهم

إن الشياطين من الجن ومن   إنس لهم مفاتن لمفتتن

<142>

[103] قول الناظم: يرونا الخ. بيان للآية الكريمة التي تنص على أن الجن يروننا في الدنيا ونحن لا نراهم، وأما في الآخرة فالأمر بالعكس.
وإن الشياطين من نوع الجن سواء من ذرية إبليس أو من سائر الجن، وقد يكونون من الإنس الكافرين المارقين عن الدين، ومن الفسقة معدودون منهم، حيث يشتغلون بتأييد مالا يرضي به الله ورسوله. ومنهم المضرة الوافرة على المسلمين، عقيدة وعملاً، ويفسدون المجتمع، فاذا كانت قوة فالعلاج الدفع، وإلا فهو الابتعاد عنهم بكل وجه ممكن. وكان صلى الله عليه وسلم يدعو بأدعية ألهمه الله تعالى، وبآيات من القرآن الكريم لدفع وساوسهم وأذيتهم، وينفخ في جسده الشريف، ولنا به أسوة حسنة، وفقنا الله تعالى عليها.

من كل باب عندهم أعمال ... مكر، خديعة، هوي، إضلال

ومنهم المضرة الكثيره ... في أنفس غافلة فقيرة

دواؤها البعد عنهم دائما ... وعدم الميل لهم لو نائماً

وما لنا الدفاع إلا بالدعا ... وبالمعوّذات نعم الشفعا

كان رسول الله يدعو يرجو ... ينفخ في جسده وينجو

لنا بحضرة الرسول أسوة ... حسنة فنتبرى من قسوة

وقسوة القلوب من غفلتنا ... عن اتباع الحق في ملتنا

فضائل سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم

نعود للرسول اكرمِ الامم[104] ... بذكره نشمّ أعطرِ الشمم

محمد عطية الخلاق ... وجوده معطِّر الآفاق

---

[104] (فضائل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) قول الناظم: نعود للرسول أكرم الأمم، وقد ذكرنا بعضاً من فضائله سابقاً، وإذا كررناه ففيه الخير والبركة، ومدحه، كما يقال، مسك، ما كررته يتضوع.
محمد صلى الله عليه وسلم عطية الإله الخارق لجميع الأنفس في جميع الآفاق، فان لم يستفد شخص منه لابتعاده عن آدابه فاللوم ليس إلا على نفسه ! ويقول صلى الله عليه وسلم: ((أنا الرحمة المهداة))، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء/107)، رحمة بالتشريعات، ورحمة بالاقتداء بأخلاقه، ورحمة بتنويره للقلوب المتبعة لآدابه.
قال بعض الأصفياء: يستفاد من هذه الآية: أنه لا توجد مسافة في العالم إلا وفيه أنوار وأشعة من نور هذا الرسول الرحمة للعالمين، فعليكم باتباع آدابه، وملازمة سنته وسيرته، والاستفادة من أنوار خطابه في (التحيت) في قولكم: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.
وهو صاحب الجاه عند الله، والجاه أصله: الوجه فهو الوجيه الأكرم،وله وجه عند الله وجاه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء/64).
ولذلك يجوز الالتجاء الى الله متوسلاً بجاهه الشريف عنده تعالى.
ونكرر قول البو صيري:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ^^^ إن الكريم تجلى باسم منتقم
وقد خاطبه ربه بقوله: ﴿النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾(الاحزاب/45) اللهم فنور قلوبنا بأنواره آمين.

ورحمةً للعالمين بُعثا هدى جميع المرسلين وَرِثا

بركة و((رحمة مهداة)) شجرة ثمرها النجاة

وصاحب للجاه عند الله جاهٌ رفيعٌ دون ما تنَاهِ

الجاه وجه صار من تَقرُّبِ عبادة لله بالترهب

نور منير خدمة كثيرة لدينه على هدى البصيرة

<144>

فإنه بالذات فضل الله[105]   وحبه له بلا تناهي

لأنه إذا أحب شخصا   أوصله الى المقام الأقصى

<145>

---

[105] قول الناظم: فإنه بالذات فضل الله، معناه إن هذا الجاه العظيم للرسول صلى الله عليه وسلم الناشئ من محاسنه الاعتقادية والعملية والأخلاقية كله من فضل الله تعالى ورحمته، يختص برحمته من يشاء، وحب الله تعالى له، فإنه تعالى إذا أحب عبد من عباده أوصله إلى المقام الأعلى الذي أراده له.
ثم استمر الناظم يذكر جهات فضائله صلى الله عليه وسلم، فقال: وصاحب الجهاد، أي أنه مختص بجهاد وجهد لنشر التوحيد ومحاسن العقائد والأعمال والأخلاق في حياته بما لم يسبقه أحد فيه.
وصاحب الإرشاد للعباد والتبليغ لما انزله الله عليه إليهم وهو صاحب الكلمات الجامعة لفوائد كثيرة وهي لوامع منيرة للقلوب مثل كلماته الجامعة التي جمعها بعض المؤلفين من جهات عديدة.
وهو صاحب الروح الوسيع لتحمل مشاق تبليغ الكتاب المنزل، وتبليغ الأنام من كل صنف، ومشاق أذى الكفار والمنافقين النجار، ومشاق أذى أصحابه الداخلين في ميدان الجهاد والإرشاد.
وصاحب الطاعة من الصلوات المفروضة والمندوبة، كصلاة الليل بالاستمرار، وصاحب الضراعة والتضرع والابتهال إلى الله تعالى بالدعوات المستجابة. وكان صاحب البراعة والتفوق على البلغاء في ميدان البلاغة في الكلام.
وهنا نكتة لطيفة، وهي لو اعتبرت البلاغة في الأفعال كان الرسول صلى الله عليه وسلم أبلغَ الناس في ميدان اتقان الأعمال وحكمتها، ومن اشتبه في هذه النكتة فليتفكر في فقه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحكمة أعماله وأخلاقه صبرا وصدقاً وحرباً وسلماً وغير ذلك. وهو صلى الله عليه وسلم صاحب اللواء، وفي المواهب اللدنية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وما من بني آدم ومن سواه إلا تحت لوائي)) (رواه أحمد بن حنبل والترمذي عن أبي سعيد الخدري، قال الشيخ السيوطي: حديث صحيح).
وهو صاحب المقام المحمود يوم القيامة، والمراد به الشفاعة الكبرى خلاص جميع أهل الموقف عن الوقوف وإرسالهم الى الحساب، وهذه الشفاعة يأتي تفصيلها إن شاء الله تعاني وتشمل جميع الأمم كلها في نجاتهم من الموقف وآية ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى/5) مفسرة بإعطاء درجة الشفاعة الكبرى، وهو صاحب الملة الإبراهيمية الحنيفية، لميله وابتعاده وتخليصه الناس من الإشراك الى التوحيد، والحنيف: المائل عن الباطل إلى الحق.

وصاحب الجهاد والإرشاد … وصاحب التبليغ للعباد

وصاحب الجوامع اللوامع … من كلماتٍ مثل برقٍ لامع

وصاحب الروح الوسيع في المدى … مخزن إحسان من الله بدا

وصاحب الطاعة والضراعة … وفي البلاغة صاحب البراعة

وصاحب اللواء والمقام … مقامه المحمود للإسلام

وصاحب الكبرى من الشفاعة … اكرم بها من رتبة نفاعة

ولسوف يعطيك دليل الخير … رضاه بشرى أهل حسن السير

ذو الملة الحنيفة البيضاء … دليلها النهار في الضياء

ودينه باق على الدوام … إلى لقاء الملك العلام

أمته أفضل كل الأمم … من عرب عرباء أو من عجم

طائفة تبقى على الهداية … علي كمال الحق والرعاية

لا تجتمع على ضلال أبدا   لم يعط ذاك الفضل ربي أحدا

لا تخلو عن أمر بمعروف يُرى   والنهي عن منكر ما فيها جرى

العلم والتعليم والتدريس   والوعظ والإرشاد والتقديس

تزكية النفس عن الفساد   بالنور والعمل والرشاد

شعار ذيك الامة الجليلة   فضيلة زادت على فضيلة

وحاصل الأمر فضائل النبيّ   وصحبه وآله ذي الأدب

والباقي من أمته الكريمة   لا تحتويها هذه الرقيمة

فلنأت بالبعض من الفوائد   ولنقتني ما فيه من فوائد

<147>

الاسراء والمعراج

نؤمن بالإسراء والمعراج[106] بـــالبـــــــدن والــــــــــروح والم... <148>

﴿سبحان﴾ ربنا ﴿الذي أسرى﴾ ﴿بعبده ليلاً﴾ على الوجه الأحق بحق

﴿من﴾ منزل في ﴿المسجد الحرام﴾ الى بسـاط ﴿المسـجد﴾ الإمـام

المسجد ﴿الأقصى﴾ وأولى القبلتين حتى يرى قبلتهم رؤية عين

<149>

---

[106] قول الناظم: نؤمن بالإسراء والمعراج... الخ مما ينبغي أن يعلم أن الله تعالى لما اختص عبداً من عباده بموهبة رحمةً منه وفضلاً جعله محل عنايته وتأييده، وجبر كسره، فإذا كسره وقتاً لحكمة نصره في آخره بالرحمة، وإن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو بإجماع المؤمنين أشرف العباد الموهوبين، حيث جعله رحمة مهداة، وبعثه رحمة للعالمين. وقد تأذى بمتاعب دعوى الرسالة بين أظهر أهل الضلالة، واستمر في التعب مدة، وفي آخره ابتلاه بوفاة عمه أبي طالب الناصر له في مواقفه، وزاد عليه بموت صاحبته ومعينته أم أولاده خديجة بنت خويلد الأسدي، المعروفة بالإيمان والكرامة والعناية، فاشتد عليه صلى الله عليه وسلم الهم والحزن، فجبر الله تعالى ألم قلبه بأن جعله علماً يستنير بذاته، ونور بأوصافه الحميدة العالم، فخصه بمعجزتين مهمتين لم يسبق نظيرهما في عالم الوجود، وهما: الاسراء ببدنه الشريف من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في جزء من ليلة واحدة، وأحضر عنده احضاراً برزخياً لفيفاً شريفاً من الأنبياء والمرسلين في المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى ما فوق السماوات كلها، ثم جذبته العناية القدسية إلى مقام، وخاطبه الله تعالى هناك، وأوحي إليه ما أوحي، وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات، في كل يوم وليلة من أعمار المكلفين، ثم نزله باكرام وإجلال إلى الأرض إلى محله من المسجد الحرام حيث رفعه منه، والمروي في الصحاح أن الداعي له جبريل، وأنه صلى الله عليه وسلم ركب البراق: الحيوان الذي أتى به جبريل إليه ليركبه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعرج به عليه إلى ما فوق السماوات حيث سدرة المنتهى، وتوقف هناك جبريل والبراق، والرافع له صلى الله عليه وسلم منه إلى ما شاء الله تعالى هو الجاذب القدسي المعروف في الألسنة بالرفرف.
وفي هذا المعراج نال رؤية الأعيان الواقعية من السموات والملائكة الكرام، ونال الصورة البرزخية لعدد من المرسلين في السماوات، كما فصل في البخاري الشريف،وكان كلما يرى عجيبة من العجائب زاد قلبه الشريف وقوته الإنسانية متانة ومكانة، بحيث ما زاغ بصره عن النظر الاعتباري، وما طغى عن مستواه من التمكين، وكل ذلك أراد الله تعالى حتى يطمئن قلب حبيبه بالعيان بلطف ربه تعالي معه، وتتوسع دائرة فكره الدقيق، وينس ما ناله من أتعاب الدنيا، ويراها كاللاشيء بالنسبة إلى ما أراد الله.
وسر السير به إلى المسجد الأقصى أمور يعلمها الله تعالى، منها أنه كان أعظم مساجد السجود والعبادة لرب العالمين في الأرض، وأنه كان موطن الرسل الكرام إبراهيم الخليل وأولاده الأعلام، وفيه الإشارة إلى الاقتداء بهم في الاستمرار على الجهاد والإرشاد في الدين وقوة العزم والصبر على مشاق تبليغ الرسالة إلى أهل الإشراك والضلالة، وان له عليها درجات عالية عند الله.
ومنها: الإشارة إلى العناية بهذا المسجد الأقصى المبارك، وأنه محل نظر الأجانب بطرق شتى وحيل متنوعة، وأن على أمته العناية بذلك المحل، وفي الواقع جاهدت أصحابه حتى فتح على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما أفاد ذلك إجمالا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء / 105) فليس

في عالم اليقظة والحضور   على براق مثل برق النور

بدعوة من ربه المعين   على لسان الملك الأمين

<150>

المراد بالأرض: الجنة، كما في بعض التفاسير لأن ذلك أمر مفروغ منه، من حيث أن الجنة للصالحين، والجحيم للكافرين الظالمين، ولام كلمة (الارض): لام العهد، وإشارة إلى الأرض المقدسة المعروفة عندهم، وقد وقع فيها حروب وكروب كثيرة، بعض منها قبل الاسلام، كما في الآيات الأوائل من سورة الإسراء المبينة لإفساد بني اسرائيل في الأرض مرتين: مرة في عهد أوائلهم حيث تسبب في غزو الروم لهم، ومرة في عهد البابليين حيث تسبب في غزوة بختنصر لهم، وقد ذكر الله تعالى في آية من تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ أي إن عدتم أيها الإسرائيليون إلى الإفساد في الأرض، كما في زماننا هذا حيث عادوا بحبل من الناس الأجانب إلى السيطرة وإيذاء المسلمين، فنحن نعود إلى الانتقام منكم، كما أشار إلى ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود... الخ)) وقد تحقق الشرط أي عودهم فيتحقق الجزاء أي عوده تعالى إلى الانتقام، ومن المآثر المروية: (من شرط كل شرط جزاء). وبعض من تلك الحروب بعد الإسلام، وقد وقعت حرب الصليبيين مع المسلمين واستولوا على الديار المقدسة ما يقارب مائة سنة، حتى أيد الله عبده صلاح الدين يوسف بن نجم الدين الايوبي، ففتح البلاد ورجعهم على أعقابهم خاسرين. وستكون هناك حرب شديدة وجهاد كبير ينتصر فيها المسلمون عليهم بإذن الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء / 105) والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
ولما نزل صلى الله عليه وسلم إلى مكة في تلك الليلة وأصبح الصباح، وأظهر هذه الخارقة البارقة بين الناس، وكانت كالممتنعات الذاتية عندهم، ضحكوا وسخروا، ونسبوه إلى الجنون، ولم يعلموا أن ذلك من الممكنات الذاتية المخالفة للعادة، وأنها سهل على الله تعالى، بالرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم تكلم بما يزيل الشبهة عن إسرائه، وبين لهم أحوال قافلة أهل مكة السائرة إلى تلك البلاد، وكان تحقق ما أجاب به على الواقع. ولكن المسلمين المخلصين وعلى رأسهم سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه صدقه بدون تردد، وبين للناس أنه لا صعوبة ولا عجب من هذه الخوارق، فان حكم الباري في دائرة كن فيكون،. فمنكر الإسراء كافر، ومنكر المعراج مبتدع.
والعاقل الناظر في هذه الخارقة إن كان من المؤمنين العاقلين العارفين علم أن الله تعالى على كل شيء قدير، وأن عروج الإنسان الى السماوات العلياء كنزول الأجسام اللطيفة الخفيفة الهوائية إلى الأرض، والكل سهل، وإن كان من الكافرين بالدين ولكنه عاقل وعارف بأحوال العالم يعلم أن الليل والنهار يتولدان من حركات الكواكب، وأنها حركة مستديرة مستمرة، وفي مدة أربع وعشرين ساعة يقطع الكوكب بالحركة أميالاً عديدة كثيرة، ولا بد لهذه الكواكب المتحركة والدائرة من محرك قوي، والمحرك لابد أن يكون له شعور، لأن نسبة الحركات الدائمة إلى القوة اللاشعورية لا تناسب العقل والشعور الإنساني، فكما لا امتناع من نسبة تلك الحركة إلى تلك القوة كذلك لا امتناع، ولا بعد من نسبة ذلك العروج المستقيم إلى ما شاء الله إلى القوة المهيمنة المستقيمة الثابتة لرب العالمين.
واختلفت الأنظار في أنه هل رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ربه ليلة

جبريل من قد جاء بالتنزيل ... إليه في مقامه الجليل

أحضر ربه كرام الأنبياء ... في عالم البرزخ بيت الأصفياء

<151>

المعراج، فالأكثر على انه ما رآه، ولا حجة لهم على العدم إذا أرادوه بصورة الامتناع، لأن الرؤية ممكن ذاتي، ولا ينقلب الممكن الى الممتنع.
وذهب الكثير من الأصفياء المحققين إلى أنه رآه بعيني رأسه ولكن لا ندري كيفية تلك الرؤية حتى تفسرها للناس، والشيخ معروف النودهي رحمه الله على هذا الرأي، وقال في فرائده:
فإنه رآه بالعينين ^^^ في ليلة المعراج مرتين
اللهم نور بصيرتنا في كشف الأسرار، كما نورت أبصارنا بمشاهدة الأبرار آمين.
والإسراء: ثابت بنص الآية. والمعراج بالأحاديث، وأما الرؤية فهي بين الجواز والوقوع.

مستقبلين ذاته إكراماً مهنئين حاله إنعاما
وبعد أن صلى بالأنبياء عرج منه لعُلا السماء
ومن هناك ربه عزّ وجل رفعه الى المراد ووصل
وبعد أن خاطبه بذاته دون حجاب لعلا صفاته
وبعد فرض الصلوات الخمس أنزله إلى مقام الأنُس
وهذه خارقة منيعة دلت على رتبته الرفيعة
تستوعب السماء والعرش وما فوقُ فاعلِ بمقامٍ قد سما
منكرُ إسرائِهِ منكرٌ نص وكافر من الأخساءٍ أَخَسّ

ومنكر المعراج أهل بدعة ... لرفضه حديث عين الرفعة

اسراؤه من حرم إلى حرم ... صعوده إلى السماء حيث تمّ

على براق مثل برق النور ... ليس عليه شبهة الفتور

وفوق ذا جاذبة الإلهِ ... ليس بها داع للاشتباه

لكنها خارقة العادات ... فهي كرامة من الهبات

بعد وجود كثرة النصوص ... فلنخرجَنْ من هذه القاموس

مجموعة شمسية تدور ... على مدار دائماً تحور

أليس أقصى من صعود البشر ... من نقطة الأرض لفوق المحور

لو كنت منكر الأمور الخارقة ... كنت بسرب الجهلاء المارقة

الرؤية

وهل رأى ربه بالعينين ... خلف هناك واقع في البين

لمن يرى إمكانه قول: نعم، ... لكن بلا اعتبار شرط: كيف، كم

في ذلك الموضوع قال النودهي ... أحسن بفكره وقوله البهي:

فانه رآه بالعينين ... في ليلة المعراج مرتين

وبعضُهم قد قال: لا، فإنها ... في دار جنةٍ إليها المنتهي

أما الذي يقول بالتفكير ... لمن يرى الرؤية للبشير

فإنه ليس له من شبهةٍ ... فضلاً عن استدلاله بحجةٍ

فإنها ممكنه لا مُمتنعه ... مسافةُ الإمكان جداً واسعه

معجزاته ومعجزات غيره عليهم الصلاة والسلام

فَذلك الإسراءُ والمعراج[107] خارقةٌ بارقةٌ وهاجُ

والمعجزات خارقات يُبْدي رسلُهُ لها مع التَحدّي

<154>

---

[107] قول الناظم: فذلك الاسراء والمعراج، ومما يجب أن يعلم أن المعجزات والكرامات كلها من الممكنات الذاتية المخالفة للعادة، وليس شيء منها ممتنعة ذاتية، ومن أنكرها وادعى أنها ليست معقولة لم يتصف بالعقل المميز بين الممتنع والممكن، والكلام مع إنسان كذلك ملال واملال، وحق جوابه السلام.
وأن المعجزات والكرامات ليست من المكسوبات حسب العادة، بل من الموهوبات من الله لعباده، ومن توهم انه لا فرق بين المعجزة والسحر فقد غلط من جهات عديدة:
الأولى: أنا نرى بالعين أن السحرة قوم يدرسون عند الأساتذة دروساً مما تورثهم تلك الأعمال، وأن قسماً منها شعوذة وتوهمات لا أصل لها، وقسم منها لا أصل واقعي لكنه مبني على علوم مكسوبه.
وأما أصحاب المعجزات والكرامات فلم يُدركهم أحد يشتغلون بتلك الدروس، وإنما هم قوم مختصون بالعبادات ودعوة البشر إلى التوحيد والطاعة، وليس لهم مكاسب معينة تنشأ منها تلك الخوارق.
الثانية: أن أصحاب الكرامة ليس ظهورها في اختيارهم وإنما هو بمحض الموهبة من الله تعالى، وأما أصحاب السحر فهم في اختيار تام في الاشتغال بأسباب ما يظهر على أيديهم، إن شاؤا أتوا واشتغلوا وإن شاؤا تركوا.
الجهة الثانية: أن أصحاب المعجزات إما رسل معصومون، أو هم ممتازون بالأعمال والأخلاق العالية والخدمات المباركة النافعة، ولا يكتسبون بما عندهم حطام الدنيا الدنية، وأما السحرة والمشعوذون فهم في ركاب الهوى، ويعملون دوماً لكسب المال، بل لهم على أعمالهم مقررات من مطامع الدنيا فظهور الخوارق على أيدي السحرة والفاسقين المارقين في الحقيقة ليست خوارق العادة، بل لها أسباب معينة، وإن اتفق ظهور بعض الأشياء منها على أيدي الفاسقين، فإنما هو استدراج لهم وإغواء، لينكبوا على وجوههم مدحورين في الدارين، فالخوارق المباركة معجزة وكرامة ومعونة، وأما الخوارق المشئومة فليست خوارق واقعية، وإنما علوم سحرية، واستدراجات لقوم ضال غاو من أهل الهوى والفساد والله يحفظنا من شرور أنفسنا.

وما عداها اسمها الكرامة … ذلك مِن مصطلحاتِ العامة

وقال بعضٌ جملةُ الكرامه … معجزةٌ، أو خارقاتٌ هامَّه

والخارِقاتُ ممكناتُ الذاتِ … ومُستحيلاتٌ على العاداتِ

ليست من اكتسابِ أهلِ الدنيا … مثلَ الرياضياتِ ولا كرؤيا

حقائق يخلقها الإلهُ … لعارفين في رضاه تاهوا

فالمعجزاتُ خارقات بارِقه … تأتي كانوار السماءِ الشارقه

إعلاءِ شأنِ الرسلِ الكرامِ … عند تّحدِّي البعضِ من أنام

ما كان قبل الفوز بالرسالة … سُمّيَ إرهاصاً لذي الجلالة

وأولياؤنا لهم كرامه … وهي لعُلْوِ شأنِهم علامه

وصلحاؤنا لهم معونه … في الاضطرارِ والرجا ودونه

وكُلها من باب فيض الباري … أحسن بلطف الراحم المختار

والسحرُ علمٌ بأُصولٍ يُكتسب … من أيِّ إنسانٍ بلا شرطِ

وقد يكون بعضُه بالكفرِ … قولاً وفعلاً من فسادٍ يجري

كذاك الاستدراجُ للإغواءِ يظهرُ في شِرذمة الغوغاءِ

وكل ما كان بلا اتباعِ لحضرةِ الرسولِ في ضِياعِ

لا نعرف الوليَّ بالكرامة[108] نعرفه بِالدين واسْتقامه

<156>

---

[108] قول الناظم: لا نعرف الولي بالكرامة، يشير إلى مقياس مقرر في الدين لمعرفة الصالحين، وامتياز الطبقة المعروفة بالأولياء عن غيرهم، وقد سبق منا تقسيم الأولياء إلى أربعة أقسام: الولي المؤمن فقط والولي المؤمن التقى، والولي المتقي المستقيم، والمؤمن الولي المتقي المستقيم المستغرق بالحضور الذي لا يغفل عن الله تعالى وهنا نذكر أن ظهور الخوارق والكرامة ليس من شرائط الولاية والكرامة لا اختيار للعباد فيها، وإنما هي هبة من الله تعالى يهبها لهم، بل شرط الولي الاستقامة على رعاية آداب الدين، فالكرامة تعرف بالاستقامة والولاية، ولا عكس فتدبر، والاستقامة أعظم كرامة للإنسان، وقد قال الله تعالى لحبيبه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (هود/122) وقال صلى الله عليه وسلم لشخص طلب الوصية: ((قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ فاسْتَقِمْ)) (رواه مسلم).
فكل ما وقع معجزة للرسل الكرام يجوز أن يظهر كرامة للأولياء وقد ذكرنا أن الشاطبي قال في كتاب الموافقات: أن أمة كل رسول خصها الله تعالى بكرامات تناسب معجزة رسولها للمناسبة بين الأمة وإمامها وذكر الناظم عدة من معجزات الرسل الكرام، وعدداً من كرامات الأولياء الأعلام، ولها مستندات محكمة، من أراد الوقوف عليها يجب مراجعة الكتب المختصة ببيانها كالمواهب اللدنية، وجامع كرامات الأولياء.
وبما أن معجزة القرآن الكريم أعلى معجزة علمية واقعية مستمرة إلى الأبد، ولبيان وجوه الإعجاز شأن كبير قررنا بيانها بقدر ما يناسب المقام فانظره في الصحيفة التالية لما هنا تطلع عليها إن شاء الله تعالى.
وكذلك نذكر بيان جاه الرسول صلى الله عليه وسلم، والطلب من الله تعالى متوسلاً بجاهه الرفيع، أو الطلب من الله تعالى بجاه سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، او الطلب منه تعالى متوسلاً بجاه الصالحين فانتظرها هدانا الله تعالى وإياكم لما فيه سعادة الدارين آمين.

وليس في دين الهدي كرامة   تعلو لشانها على استقامة

ما وقعت معجزة للأنبياء   يمكن خلق مثلها للأولياء

وهو رشيد عارف بالله   يمشي على نهج رسول الله

ممتثل بطبق أمر الله   وتارك لجملة المناهي

إلا إذا جرى قضاء وقدر   صدر ثم تاب عنه بالحذر

فليست العصمة شرطاً للولي   بل خاصة النبي ذي الفخر الجلي

فالأولياء خلف الرسول   آدابهم مسالك الوصول

أولو التزامِ للكتاب والسنن   أولو استقامة ولو عند المحن

كلامهم يشفي وَبا الصدور   مقامهم مشعلة للنور

يا أيها الذين آمنوا اتقوا   أمر بتقوى ربهم ليصدقوا

ومع ذا أمر أن يرافقوا   بالصدق أهل الصدق حتى يتقوا

فخارقات الرسل الكرامِ   وبارقات أوليا الأنامِ

أمثلة من الكتاب والسنن   يذوقها مَن كان ذا خلقٍ حَسَن

كإستجابة الدعا لنوح   وفوزه بالنصر والفتوح

ونار إبراهيم ذات اللهبِ   صارت سلاماً جالباً للعجبِ

وكعصا موسى وماء النيل   وُيدِهِ البيضا شفا العليل

تسبيح داود مع الجبال   والطير بالترتيل في المقال

ومثل تسخير الإلهِ الباري   لابنه الجنَّ على البحار

كذا الرياح العاليات في الهوا وسيره على الهوى لما نوي

ومنطق الطير كلام النمل وهدهدُ بريدُه في السهل

وجلب صاحب له عرش العلا من سبأ لإيليا بين الملا

ورزق غيبٍ مريم العذراء هزَّتُها لنخلة الشِفاء

ومعجزات ابنها الشريفِ عيسى المسيح دون ما تكليف

تعليم ربي من لدنه علما لعبده العارف وافى حلما

مقام أصحابٍ لكهف كافي كرامةً لصاحب الإنصافِ

موت عزير ثم إحياء له من مائة إحياءُ ما يركبُه

إحياء موتي من طيورٍ أربعة لسيدي الخليل قد كان معه

وبحث أصحاب الرقيم الواردِ في سنة الرسول خير ماجدِ

وإذ وصلنا للرسول الهادي فمعجزاته كبدر بادي

تسبيح حصوات لدى كفيه في كفه وكف من لديه

حنين جذع من فراق صدره من ظهره كاسف قدر أمره

وشقه القمر في السماء يعد من أماثل الآلاءِ

شجرة شقت طريقها الى سيدنا محمد بين الملا

فضائله صلى الله عليه وسلم

له فضائل بدون حدٍّ[109] آثـار خـيره بـدون عـدِ<158>

---

[109] قول الناظم: له فضائل بدون حد. بحث عن فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم، إن خصائص الرسول عليه الصلاة والسلام وفضائله كثيرة وفيرة ذكرنا منها سابقاً مقداراً يعد من المعجزات، كسجود الشجرة، أي شقها الأرضَ ووصولها إليه صلى الله عليه وسلم منحنية الرأس لتعظيمه. ومنها ما يعد من الكرامات: وهي التي لم تكن مقرونة بالتحدي، كوصول رعبه إلى الأعداء مسافة شهر، وكدوام دينه على الوجه السليم بدوام الدهر، ولو مع عدد قليل من الأمة، كما روي: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله)) (رواه البخاري ومسلم) ومثل عصمة اجماع أمته عن الضلال، ومنها مجموعة أخلاقِه الكريمة التي لم تجتمع في انسان قبله أو بعده صلى الله عليه وسلم من الصبر والصدق والأمانة والزهد عن الدنيا، قال بعض المحققين المنصفين: والحق أن مجموعة أخلاقه تعتبر من أعظم كرامات الرسول، لأن سائر المعجزات لم يكن للرسول دخل فيها، وقد خلقها الله لتأييده، وأما أخلاقه فيها اكتسابه عليه الصلاة والسلام، وهناك فرق كبير بين الموهوب والمكسوب.
ومن كراماته وفضائله في عالم الآخرة أنه صاحب لواءٍ مسميً بلواء الحمد، ويدخل فيه آدم ومن سواه من الكرام، وشفاعته الكبرى تعمّ جميع الأمم من الجن والإنس وأمته وأمة غيره من المرسلين، وهذه الشفاعة يعبر عنها بالمقام المحمود، أي الرتبة الرفيعة الحميدة عند الله وعند الناس أجمعين، وأهم من فضائله كلها: معجزة القرآن، وسيأتي بيانها إن شاء الله تعالى.

(2) قول الناظم: ومن بمعجزاته الخ. توطئة لمقصود وهو أنه يجوز التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والأولياء والصالحين، لأن الله تعالى رفع شأنهم بالمعجزات وخوارق الكرامات، ويستفاد منها أن لهم شأناً واحتراماً ومحبة

كنصره في الحرب والهيجاء	عند عناد زمرة الأعداء
وصول رعب منه قبل النصر	الى عدوه مسيرة شهر
دوام دينه بطول الدهر	مع العدو وعناد الجهر
عصمة امته عن ضلال	في حكم الإجماع مع الأجيال

<159>

عند الله، فيجوز أن يدعو الداني، ويقول القائل: اللهم اغفر لي أو أكرمني بالعمل، أو بولد صالح، أو بمال حلال، أو بحل المشكلة الفلانية بجاه الأنبياء والرسل والصالحين لأن الله تعالى قال: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة/35) والوسيلة مصدر بمعنى القرب أو في معنى ما يتوسل ويتقرب به إلى الله، ففي الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء/64).
وحديث الأعمى الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم عبارة الدعاء بقوله: ((اللهم إني أسألك بجاه حبيبك محمد أن ترد إلى بصري)) (رواه الترمذي) فدعا الرجل ورد الله تعالى إليه البصر، وقوله صلى الله عليه وسلم عندما حفروا قبر فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب: ((اللهم بحقي وحق النبيين قبلي إلا غفرت لفاطمة أمي)) وما رواه النووي فيمن خرج من بيته صباحا الى الصلاة: ((اللهم إني أسألك بحق السائرين اليك، وبحق ممشاي هذا...)) (رواه الطبراني وابن ماجه). وثبت الاستسقاء بالرسول وجاهِهِ بعد وفاته، وكذلك ثبت الاستسقاء بجاه غيره كالاستسقاء بالعباس رضي الله تعالى عنه، والذين قالوا: إنه استسقاء بالحي فقط وإن كان مسلما لكنه لما دعا عمر أضاف عباس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر في كلامه: ((عباسُ عمُّ نبيك)) ولم يقل عباس ابن عبدالمطلب.
وثبت استسقاء أصحاب الغار بأعمالهم الخالصة. وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا انفلتت دابة أحدكم في الطريق فاسألوا الصالحين وقولوا: يا عباد الله اغيثوني)) (رواه الطبراني في معجمه الكبير) ولافرق بين الأحياء والأموات في التوسل بجاههم، لأن أصل الجاه والنجاح للأرواح، وهي باقية خالدة مؤبدة، وفي كل يوم تزداد درجاتهم عند الله تعالى.

حقيقة الإخلاص للمعبود   تحققت فيه بلا حدود

دليله الدوام في الجهاد   ونشره للدين بالإرشاد

وما خلقت الجن والإنس، به   يظهر سِرهُ لدى المنتبه

في القوم والركوع والسجود   ليلاً وصوم اليوم بالشهود

تكاملت في شخصه أخلاقه   تنوَّرت من خلقه آفاقه

من صبره وصدقه وفائه   والعفو للعدو مع جفائه

تواضعٌ وزهده وعزتُهْ   تحمّلٌ إذا أتته كربتهْ

سخاؤه كأنه الشمال   يميل نحو الناس حيث مالوا

بل كان بحراً مائجاً في الجود   كما أنار عالم الوجود

فَخُصَّ في لوائه المعقود   بمقتضى مقامه المحمود

<160>

شفاعة عمت جميع الأمم   جنٍّ وإنس عربٍ وعجم

فصار عين الفرد في جلالهْ   من حمله الأعباءَ للرسالهْ

صلى عليه ربنا وسلما   وآله وصحبه وكرَّما

وفوقها معجزة القرآن   تأتيك نبذة من البيان

ومن بمعجزاته وافاه   معناه أنَّ الله قد أعلاه

قدراً وجاهاً كرما ورحمة   له، لأهله لباقي الأمة

والجاه أن يشفع بالدعاء   في نازلات الكرب والبلاء

ودفع الأسقام وأمراض البشر   وهجمة الأعداء إذ فيها خطر

هنا لنا أدلة جميلة   منها ابتغوا إليه اَلوسيلة

<161>

أي اطلبوا القرب من الإلهِ بكل ما ليس من المناهي

وما علمنا النهي ناءٍ عنه يدخل في المأمور فَاتبَعَنْه

من العبادات ومن دعاءِ وصدقاتِ المرء بالرجاءِ

والالتجاء لأولي الصفاءِ حتى يُساعدوكَ بالدعاءِ

وبارْ تضاءِ صحبة الصادقِ كالشبل للأسد في المضايق

أو عالم يعمل بالإخلاص يُبعِّد الناسَ عن الوسواس

أو نجدةٍ من ذي نفوذ عال لدفع ما عَرَضَ من نكالِ

فقال صالح إذْ ما أُبتُلي بلهفةٍ وأسفٍ: (لو أنه لي

بكم من قوة أو آوي إلى ركن شديد) أي ساعدني على

وكلها يجوز في الأَحياء والميل نحو الحي للرجاء

يبقى هنا رجا الدعا بعد الوفا من الوليِّ الكامل أهل الصفا

أو من مقام سيدي عين الوفا بروح مَخْزَنِ الصفا المصطفى

وذلك الطلبُ من أرواحهم[110] يدعون للناس لاستصلاحهم

<162>

---

[110] قول الناظم: وذلك الطلب من أرواحهم. معناه أن طلب الانسان الداعي الراجي من الأنبياء والمرسلين طلب من أرواحهم لا من غيرهم، والأنبياء أحياء في قبورهم، وكذلك الأولياء والصالحون حياة برزخية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة/ 154) وقد ثبت أن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء. كما ثبت أن الشهداء في حرب إعلاء كلمة الله، والحفاظ للقرآن الكريم، وكذا ((المؤذنون المحتسبون لا تبلى أجسادهم)) رواه أبو داود والنسائي والدارمي وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط في دمه، واذا مات لم يدود في قبره)). وأدب الزيارة للأنبياء والمرسلين والصحابة وسائر الصالحين أن تدخل المقام وتسلم عليهم بعبارة: (السلام عليكم ورحمة الله) أو (السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون ونحن اللاحقون).
وإذا امكن تستقبلُ القبلة مع التوجه إلى القبر، وإن لم يمكن ذلك تتوجه إلى المقبرة الشريفة، وتستدبر القبلة، وتقرأ ما تيسر من القرآن الكريم، ثم تقول اللهم أعلِ مقام هذا النبي الكريم، وارحمني برحمتك الواسعة، او تقول: اللهم ارحمني بجاه صاحب هذه المقبرة الشريفة أو الروضة الشريفة، أو تقول: يا صاحب الجاه يا رسولَ الله، أو يا صاحب الجاه يا سيدي عبد القادر الجيلاني أُدْعُ الله تعالى أن يكشف عني هذه المصيبة، أو نحو العبارة أو أن تسكت عن الطلب، وتقرأ ما تيسر، وتخرج من عندهم، لأن البركة المستفادة من زيارتهم لا تحتاج إلى الطلب منها، وصاحب المقام عالم بمن قام.
وهذه الأحوال استقر عليها السلف إلى الخلف من الأمة الإسلامية، وكفى بأعمالهم سندا، وهذه الآداب لمن لم يكن من أهل القلب المكاشفين، وإلا فهم في حالة تشبه اللقاء بالجسم والروح رضي الله عن المسلمين الأصفياء آمين.
علاوة على ذلك كل ما ذكرناه من الآداب لم يرد نهيٌ عنها، والأصل الإباحة في ما سكت عنه الشارع.

والأنبياء في القبور أحياءْ … كالشهداء، ثم باقي الأصفياءْ

من كل الصديقين ثم الصالحين … العاملين في الهدى والرابحين

أعني حياةً برزخية كما … يليق بالشأن لدى رب السما

والقصد الطلب للدعاء … منهم لدى الإله ذي الآلاءِ

وكل من طلب منهم شيئاً … نورَ شتاءٍ أو بِصيفٍ فيئا

مثل دواءٍ من طبيب حاذق … يداوي مرضاه بوجه فائق

ليس الطبيب شافيا ولا الدواء … بذاته صاحبَ نفعٍ في الشوي

وتلك أسباب من الله العلي … خلقها لكشف كربٍ ينجلي

فهل هنا نهي جرى وهل ترى … من ذاك عصياناً على الداعي

اذ قلت: يا ربي بجاه المصطفي … أو جاه أرباب الخلوص والصفا

ادفع عن المحتاج محنة الزمن … واجعل له المخرج من ذي الفتن

أو ادعُ: يا رسولَنا ذا الرحمة … لكشف غمة البلا عن أمه

أو ادْعُ: يا وليٌ بالكرامة … يجعل لنا الخلاص من ظلامه

كَلاّ ولا رأيت نهيأ عنا … ناهٍ بِطول دهرنا المعنىَ

لا نهيِ من كتاب أو من سنه … أو أثرٍ يشبه بالمئنَّة

ينهى عن الطلب للدعاء … من أي الأموات أو الأحياء

وكل مالم يُنه عنه جائز … عند الذي لنورِ عقلٍ حائِز

أتى الرسول بدعاء منجلي … من بعد دفن فاطمه أم علي

ما كان معناه برأي العين … يظهر بالتحقيق في التبيين

ربي بحقي حسب باب الفضل … وحق الأنبياء كانوا قبلي

إلا غفرتَ ذنبَ أمي فاطمه … فإنها كانت بحقٍ قائمة

وحقه عند الإله جاهُ … وجاهُهُ من فضله آتاه

يختص بالرحمة من يشاء … من خلقه السمادُ والسماءُ

وفاطمة أمه بالرعاية … لا بالرضاع بل كمثل دايه

لو لم يكن فرق لنا من بيننا … لم يك فرقُ حاجبٍ وعيننا

لما سمعت الحق في المقام … لا تسمع اللغو من الكلام

من أي شخص جاهل أو لاهي … يمنع نطقكم بلفظ الجاه

وينكرون جاه أهل الفضل … من الكرام المتقين الأهل

لا يدرِ أن الجاه من مقام … ارباب طاعة من الكرام

من النبيين وصديقينا والشهداء ثم الصالحين

من الذين أنعم الله بحقْ على ذواتهم كما النص نطقْ

الاستعانة

إن قلت جاء[111] حصر الاستعانة بكل ما اشتُقَّ من الإعانة

على الإلهِ وهو يستبين في جملة ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

<165>

---

[111] قول الناظم: إن قلت جاء إلخ. بيان لاعتراض وارد على ما ذكرنا: أنه ورد من الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: ((إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)) كما ورد في القرآن الكريم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الدالين على حصر العبادة في العبادة لله، والاستعانة في الاستعانة من الله، فما معنى طلب الانسان من إنسان آخر ؟
والجواب: أن المقصود من السؤال: السؤال لإيجاد المقصود وخلقه، ومعلوم أن الخالق والموجِد هو الله تعالى وحده، فلا سؤال عن غيره تعالى للإيجاد، ومعنى سؤالنا عن إنسان آخر حيٍ أو لا أن يكون داعياً من الله تعالى لخلق مقصودك، لأنه قد يكون بسبب طاعاته أحبه الى الله منك، ودعاؤه أقرب إلى الإجابة، وليس المقصود أن يخلق لك ذلك المسؤول مقصودَك قطعاً.
ومعنى حصر الاستعانة: حصر طلب العون والمساعدة في خلق المقصود وإيجاده لك، أي لا تطلب من أي إنسان أن يعاونك بأن يخلق لك شيئا، فإن الخالق هو الله، والخلق والابداع والإيجاد من صفات الله تعالى.
وليس معناه حصر الاستعانة بمعنى المعونة في الدعاء كما بالصالحين، أو في التداوي كما للأطباء، أو في الاستخلاص من مشكلة اعتيادية، كما في لجوء الإنسان إلى غيره ممن له نفوذ في حل مشكلة، ودفع مصيبة، فالاستعانة بالمعنى الأول حصر في الباري تعالى لا يجوز لغيره، كما في استعانة المشركين بالأصنام كاللات والعزى والمناة وهبل وغيرها، لا الاستعانة بالمعنى الثاني أي طلب المعونة في المكاسب الاعتيادية، فإنه كما لا يمكن عادة لإنسان واحد أن يعيش وحده بدون اجتماعه مع الغير والتعاون معه كذلك لا يسهل لإنسان أن ينقطع عن غيره، فإن التربية والتعليم يحصلان بمعونة الأستاذ المعلم والمربي، والخلاص من الأمراض عادة لا يكون إلا بمعونة الأطباء، فالحصر حقيقي بالنسبة للخلق والإيجاد، أي استعن بالله في إيجاد المقصود لا بغيره من الأصنام، وليس المقصود أن لا نستعين بأي معلم أو مُرَبٍ أو طبيب، أو ذي نفوذ في تحصيل المقصود، وإلا فقد قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة/45) وقال صلى الله عليه وسلم: ((وَاسْتَعِينُوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان)) (رواه العقيلي وابن عدي الجرجاني في الكامل، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان).

فقلت: إذا عندك عقل صافي   لدرك الأشياء بوجه كافي

فالحصر حصران على التدقيق   همـــا إضـــافي مـــع الحقيقي

والحصر في ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾   حصـــــر حقيقيَ كمـــا يَـــبين

اي أستعين الله لا بغيره   في ما نريده من خيره

وكل ما أشرك مشرك به   اتركه ولست اعتني به

الا فكيف جاء ﴿واستعينوا   بالصبر والصلاة﴾ يا أمين؟

وكيف جاء أمره العياني   باستعانةٍ من الكتمان؟

وكيف جاء الأمر بالتعاون   في البر والتقوى بلا تباين؟

<166>

أليس عوننا بالاستعانة
من عاجز عن حملة الأمانة؟

عن طلب الإيجاد والإبداع
وحاصل المقام منع الداعي

كما جرى ذلك في الكتاب
لا نسبةُ استعانة الأسباب

عند صلاتِهِ للاستسقاء
غيثاً مغيثاً في الدعاِء جائي

أرجوك يا أخَي أن تفهم ذا
وإذ فهمت الحق قل يا حَبذا

كي لا نَكون من أولي حال الجفا
ينهي عن استقبالنا للمصطفي

مع انه قد جاء في نص الأثر
حُسْنَ الزيارة بسبعة عشر

حاصلها الترغيب في الزيارة
لروضة الرسول بالعبارة

والكل في مرتبة القبول
لرحلة الوصول للرسول

علاوةً زيارة القبور
مرغوبة بأمره المنصور

واعتادَ صاحب اللوا الرفيعِ
بعضَ الليالي زورةَ البقيعِ

<167>

كرامات الأولياء

ثم كرامات الكرام الأولياء ... ثابتة عند الأناس الأذكياء

من ممكناتٍ خارقات العادة ... تظهر من أهل الصفاء السادة

قد سبق التعريف والمثال ... وفي إعادة لها إملال

لكن هناك نكتة لدينا[112] ... إظهارها قد يجب علينا

<168>

---

[112] قول الناظم: لكن هناك نكتة. حاصلها بيان للحقيقة ورفع لأوهامٍ واردة في الموضوع، منها أن كشف الغيب من النبي أو الولي ممتنع، لأنه عالم الغيب، وهو مختص بالله تعالى، ومنها أن ذلك الكشف ليس كرامة، ولا مختصاً بالولي، بل الأطباء يعرفون ما في الأرحام بالجهاز الموجود عندهم، ولذلك يعترضون على الآية الكريمة الحاكة بأنه لا يدري ما في الأرحام إلا الله، ومنها أن أصحاب علوم الأنواء يكشفون وجود الأمطار والعواصف وغيرها من الحوادث المستقبلية، ومنها أن بعضاً من الهنود المجوس وغيرهم يعملون كثيراً من الخوارق ويكشفون كثيراً من المغيبات الى آخر ما تخيلوا هنا فأجاب الناظم عنها:-
فالجواب عن الأول: هو أن النبيَّ أو الولي الكاشفَ لا يعلم الغيب، بل يُعلمه ربه ويُلهمه، ويُلقي إليه ذلك المغيب، الذي يذكره النبي أو الولي فهو إعلام بالغيب من الله لا علم الغيب، فإن علم الغيب علم ذاتي أزلي قائم بالحق، لا يشارك الباري تعالى فيه غيرهُ. والجواب عن الثاني: أن الأطباء وأصحاب الأجهزة، عندهم ما يكشف لهم الأرحام كما إذا فتح الطبيب بطن الحامل، وعرف ما في رحمها، وذلك ليس علم الغيب، بل إحساس بالعين بواسطة ذلك الجهاز، وكل من عنده ذلك يعلم ما هنالك.
فحصر الباري معرفة ما في الأرحام بالذات حق، والاعتراض عليه باطل قطعا. وعلماء الأنواء الجوية أولاً عندهم آلات تفيد ما يستنبطونه منه، فعلمهم بل ظنهم بواسطة تلك الوسائل، وثانيا أنه ليس عندهم علم بما يقولون، فإنه كثيراً يتخلف الواقع عن بياناتهم، وإنما عندهم ظنون، قد تخطئ وقد تصيب، فالجواب هنا بطريقتين: الأول، أنه ليس إدراكاً بالذات بل بواسطة القواعد العلمية لهم.
والثاني: أنه ليس علماً، بل هو ظن، والظن لا يغني من الحق شيئاً.
والجواب عن الثالث: أن ما عند أولئك المجوس المرتاضين من الأعمال والأمور الخارقة إما عادية حصلت بالممارسة، كترك الأكل والشرب مدة مديدة، وترك التنفس زماناً طويلاً، والمشي على الأسلاك الدقيقة، وليست من المعنويات أبداً.
وأما المعنويات منها فليست من العلوم، وإنما هي ظنون غالبها أخطاء.
علاوة أن الكرامات تحصل لأناس طيبين اعتقاداً وعملاً وأخلاقاً، وأما أولئك الناس فمن الفجار والفسقة، فأنّي يكونُ ما عندهم من الكرامات ؟

قالوا بأن كشف ما في الغيب   ممتنع إذ ذاك علم الغيب

وذاك مختص بربنا العلي   ممتنع من النبي او ولي

قد جهلوا بان علم الغيب   من وصف ذات الحق دون ريب

وما يكون لنبيٍّ أو ولي   وحيٌ أو الهام من الله العليّ

وليس علمَ الغيب بل إعلام   لهم من الله وذا الهام

إعلام ربي للوليِّ عندمَا   يريد إكرامَهُ بين الكُرمَا

قد يَنْجلي لهم، وقد يستترُ   فإنَّ ربي حاكم مقتدرُ

بِدون ما أجَهزةٍ قديرة   تنكشف الغُيوب للبصيرة

والكشف من أجهزة الأنواء   ظن بما قد يجري في الهواء

وكشف ما يوجد خلف الجبل   من الجهاز مثل إبصارٍ جلي

وكشف ما يكون في الأرحام ... أيضا برفع للحجاب النامي

ما دام لم يبق حجاب البين ... يَرى الجنين عينُ رأي العين

وما يكون من تنبؤاتِ ... من رجم غيب ليس معلومات

لكن إدراك الوليِّ العالي ... اعلامُ ربنا لأهل الحال

لا فرق فيه بين دركِ الحان ... أو ما يكون وقتَ الاستقبال

لأن هذا من تجليّ العلم ... وليس ظنياً كما في الحُلم

وما يُري من المجوس الهندي ... بادعاءِ علمِ الغيب، عندي

ليس من العلم، ولكنْ ظن ... والظن ليس ما إليه نحنو

خذها عقيدةً بقدرٍ وبَهَا ... والعلم من ربي إليه المنتهى

حكم الذكريات

واعلم أخي هناك ذكريات[113] ... تشبه أنها اعتقاديات<170>

---

[113] قول الناظم: واعلم أخي الى آخره. مبحث مهم حول بعض الاعمال الاجتماعية لمناسبات، كوليمة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، والاجتماع لذكرى الإسراء والمعراج، أو لبيان هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، او لذكرى غزوة بدر الكبرى وهكذا... فهذه لم تكن في عصر الرسول وفي عصر الخلفاء الراشدين، وفي قرونٍ بعد التابعين الى أن حدث اجتماع لذكرى المولد الشريف في القرن السابع الهجري على يد الملك الصالح مظفر الدين كوك بوري أمير أربيل في عهد الملك نور الدين الصالح وقد أظهر ذلك بإلهام من الله تعالى، لأن الناس ابتعدوا عن ذكري أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم، فقرر عقد مجلس واسع كبير في اربيل، ودعا لطعام المولد الشريف أناساً من الفقراء والصالحين والعلماء العاملين، وسائر طبقات الناس وأمر عالماً من العلماء بجمع ما يؤخذ من بطون كتب السيرة الحاكية عن نشأة الرسول وما ناسبها فكان المولد كموسم لأخذ درس شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية، ولبَثِّ روح محبته على الله عليه وسلم من جهة أخرى، ولإطعام الفقراء وإعداد الناس للاقتداء به، فذاع هذا الأمر في أقطار الإسلام، وتلقاه العلماء بالقبول فصار إجماعاً منهم عليه، أو أكثرية ساحقة، لاشتماله على منافع من حيث تجديد الإيمان به صلى الله عليه وسلم، وتعظيمه ونصرة دينه ومحبته، وإبداء حالة محبة روحية في قلوب المسلمين، ومساعدة الفقراء، وكذلك باقي الذكريات مما ذكرناه آنفا، ومضى على ذلك قرون، وتتابع الناس عليه، واجمعوا عليه أو أكثرُ الناس راعاه مع الثناء على هذا العمل، وقد ظهر بعض الناس في آخر الزمان فخالفوا ذلك، وجعلوه من البدع المنكرة والضلالة والعياذ بالله، وتشوش المسلمون من مخالفاتهم بشبهة أن أمثال ذلك الاجتماع لم يكن في عهد الرسول والخلفاء وكل ما كان كذلك فهو بدعة منكرة، ولم يعلموا أن البدعة في عرف الشرع: مالم يدل عليه الكتاب والسنة والإجماع والاجتهاد، وليست على المعنى اللغوي، أي ما لم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فإن كثيراً من مهمات الإسلام من جمع القرآن وتدوين السنة النبوية وبناء دار الافتاء ودار القضاء، وتأليف الكتب العلمية الخادمة للكتاب والسنة من النحو والصرف وأصول الدين وأصول الفقه لم يكن في ذلك العهد مع أنها من الواجبات التي تتوقف عليها إقامة الدين، وكل ما توقف عليه الواجب فهو واجب، وعدم اشتغال السلف بذلك لكونهم كانوا في أشغال أهم من هذه الذكريات والآداب ويؤخذ الأهم فالاهم منها، وكل ما أحدثوه مبارك.
قلنا ما قرروه في المناسبات مبارك، ويأخذ حكم الاستحباب على العموم،

كمولد الرسول والإرسال   وبحث معراجٍ لذي الكمال

وذكرِ هجرةٍ لدار الهجرة   ونصرة الأنصار يوم العُسْرة

وهذه المباحث الشريفة   في طيِّها دقائقُ لطيفه

<171>

وحكم الوجوب في بعض الصور اذا كان محفوظاً من الأعمال المنهية شرعاً.
وذلك لأدلة:
الأول: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرر صوم العاشر من محرم لما سمع بأن اليهود قالوا: هذا الصيام شكر على انتصار موسى ودحر فرعون (الحادثة في البخاري ومسلم وابن ماجه).
الثاني: أن هذا الأمر فيه تعظيم للرسول، ونصرة له ولدينه على موافقة قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ (الاعراف / 175). أي عظموا محمداً ونصروا شخصه في حياته ودينه بعد وفاته، وقرر لهم أنهم هم المفلحون.
الثالث: أن الجهد في انبات محبة الرسول سيدنا محمد ودينه في قلوب الأجيال، لا سيما الأطفال والشباب واجب، وفي عصرنا هذا صارت هذه المناسبات قسماً مهماً للغرض المذكور، ومقدمة الواجب واجب.
الرابع: أن هذا الأمر أجمع عليه أئمة المسلمين، وعلى تقدير أنه لم يجمعوا عليه نقد وافقه الأكثرية الساحقة السالمة من فساد الاعتقاد، والرسول صلى الله عليه وسلم رغب الأمة في اتباع السواد الأعظم وهدد بمقابل ذلك.
الخامس: أن فيه إطعام الطعام، وإسعاف الفقراء والمحتاجين، وذلك ميزة وخير عظيم.
السادس: قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)) (رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي). وهذه المناسبات مما تنبت المحبة بالصورة القطعية، او القريبة من القطع. ومن خالف تلك المناسبات بشبهة أنها لم تكن فهي بدعة وضلالة.. لم يفهم معنى البدعة الشرعية في عرف الشرع، لأن كل ما اندرج في دلالات الكتاب والسنة أو صار بالإجماع، او نشأ من الاجتهاد فليس ببدعة، بل هي مما يدخل في صميم القلب كستر العورة في الصلاة بقماش لم يكن في عصر السلف، أو خدمة الفقراء بمادة لهم توجد سابقاً، وتأليف كتاب احتاج المسلمون إليه فلو أخذ أحد أصحاب السيارات فقيراً في الطريق معه في سيارته وأطعمه طعاماً لم يكن في عصر السلف، وأعطاه ورقاً نقدياً لم يكن إذ ذاك لزمه من قوله أن هذا الرجل المحسن مبتدع لأن سيارته وطعامه ونقوده لم يكن في عهد السلف، وذلك أمر عجيب.

والناس يذكرونها في وقتها   لنشر أحوال النبي وصيتها

لأنها أمانة النعوتِ   ولا يخونها سوى ممقوتِ

<172>

اهل الكتاب ذمهم رب الورى   لترك شرح حاله كما جرى

وانتبه الناس لهذا الأمر   قبل قرون قد مضت في الدهر

تتابع الناس عليه بالهنا   واحتفلوا له هناك وهنا

وأجمع الأعلامُ في الآفاق   عليه للتأثير في الأخلاق

فكل ما جرى بذاك الباب   أخذ حقه من استحباب

وقد يكون واجباً للأمة   لما احتواه من نعوت جمّة

ويجب إفهام جيل جهَلَه   حتى يصيروا عارفين كَمَلَه

وفيه تأسيس للاستقبال   مدرسة للشباب والأطفال

وفيه إطعام لأهل حاجة   وصدقاتٍ وافقت مزاجه

﴿وعزروه﴾ شيمة الأشراف ﴿ونصروه﴾ جاء في الأعراف

تعزيره تعظيمه بين الوري ونصره من واجباتنا يُري

في الكتاب نعته ومدحه منه لصدر المسلمين شرحه

من جملة الآيات ما دل على إظهار قدر المصطفى بين الملا

ولم يكن نهي جرى في الخبر من ذكر نعته ولا من أثر

فذكره من واجب أو مستحب بشرط كونه على نهج الأدب

أي أدب الشرع الشريف الأمجد حسب تعاليم النبيّ محمد

هذا الذي في ديننا نعتقده ومن يخالف ديننا ننتقدُهْ

إن قيل: ذاك لم يكن عصر فالآن بدعة وسوء الأدب !

قلت: وفقْده لدى عصر النبي لا يوجب الخروج من ذا الأدب

لنا أمور لم تكن في عصره وواجب في يومنا لنصره

وعندنا الدليل في الإسلام على أمورنا مدى الأيام

وإن أردت الشرح للمقال فاسمع كلامي فيه بالكمال

أسباب علمنا[114]: حواس سالمهْ خبر صادقٍ عقول عالمه

<174>

---

[114] قول الناظم: أسباب علمنا. يشير إلى أنه تقرر في علم الأصول أن أسباب العلم، أي الانكشاف التام الذي لا يحتمل النقيض ثلاثة: الحواس الخمس السالمة عن الاختلال، والخبر الصادق المنقسم إلى الخبر المتواتر، وخبر الرسول لمن شافهه. وثالثها: العقول السليمة. ومن أوسط هذه الثلاثة أي الخبر الصادق ما يسمى بالكتاب والسنة أي القرآن الكريم والسنة النبوية قولاً وفعلاً وتقريراً.

ولكل من نصوص الكتاب والسنة دلالات:

الأول: دلالة النص: نحو ﴿قل هو الله احد﴾.

الثانية: دلالة الايماء: كدلالة: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (سورة البقرة/١٨٧) على صحة صوم من اصبح جنباً. الثالث: دلالة الاشارة كدلالة: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ (الاسراء / 23) على تحريم ضربهما.

الرابع: اقتضاء النص: كدلالة: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف/82) على إضمار الاهل.

وكذلك للسنة دلالات أربع، وفي نص الكتاب ما يدل على الاعتبار بإجماع الأمة واجتهاد المجتهدين فكل حُكم مأخوذ من إحدى الدلالات الأربع، أو الإجماع أو الاجتهاد، فهو من دين الإسلام، ولا يقال: إنه من البدع والأهواء إلا ممن لم يعرف الكتاب والسنة. ولو لم تكن هذه الدلالات معتبرة لم يقل الباري تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ لأن إكمال الدين بإكمال أصوله وقواعده ومبادئه، لا بالتصريح بجميع الفروع التي تلتحق بالأصول، وعليه فكل ما ارتضاه الأئمة المسلمون، وبالأخص الشيء الذي نص عليه القرآن فهو حق ثابت ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (الاسراء/8).

ومن جهة أخرى يعلم كل مسلم ممارس لعلوم الدين أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، فدينه باق إلى يوم الدين، وأنه مبعوث رحمة للعالمين إلى كافة الأمم في العالم فاذا لم توجد طريقة لمعالجة مشاكل المسلمين، واجتهادٌ واستدلال فكيف ينشر هذا الدين ويصل الى المسلمين، فالحق أن كل ما حدث في المسلمين، ودخل في أصل من تلك الأصول السابقة، فهو حق وحقيق بالقبول والتسليم.

من هذه أوسطها الكتاب   وسنةٌ كلها الصواب

وفيهما الإجماع واجتهادُ   أهداف كلِ ذَينِكَ الرشادُ

<175>

الفاظ ذين بالأصول الجارية ... فيها دلالات بحق ساريه
دلالة النص كذا إيماء ... اشارة للنص اقتضاء
والبدعة الضلال ما قد خالفا ... دلائلَ الشرع الشريف ذي صفا
ومن يراها بالطراز اللغوي ... قلنا له إنك غافلٌ غوي
وما اقتضاءُ النص بالدلالة ... منكِرُهُ باغٍ وذو جهالة
من خالف الإجماع واجتهادا ... ضل عن السبيل اعتقادا
فافهم كلامي وتَدبَّر فتَرى ... من ذلك التقرير خيراً نُشرا
دين رسول الله دين خالد ... ومستمر في الورى وآبد
يحتاج للعلم والاِسْتدلالِ ... وفهمِ حكمِ ِاللهِ ذي الجلال
بالنص أو بوجه استنباط ... حتى يكون الدين في انضباط
وما اقتضاه اجتهادُ العلما ... يكون للفوز بحق سُلَّما
والدين والعلم وعقل صافِ ... توائم جاءت بلا خلاف
وإن جرى الخلاف فيها فاعلموا ... بأن حكم ديننا مسلَّم
وكل من لم يتجه للحق ... ضل عن الطريق الـمُنْشَقِّ[115]
وفقنا الله على الثبات ... حتى تفوز نعمة النجاة
اعتقدوا خيريّةً للإمة[116] ... تلك لنا عقيدة مهمة<176>

---

[115] اي المنشق عن الجماعة.

[116] قول الناظم: اعتقدوا خيرية للأمة. يريد أن يذكر أنه لما دخلنا في بيان فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم وجب علينا أن نذكر أنه من فضائل صلى الله عليه وسلم أن أمتهُ خير أمة أخرجت للناس، وفضائل الأمة فرع فضيلة صاحبها، لأن كمال التابع فرع كمال المتبوع.
وهذه الخيرية معناها: أن هذه الأمة الجليلة كانت متصلة بسيدها وقائدها وسندها محمد صلى الله عليه وسلم، فأخذت من حضرته قبساً من كمالاته العلمية والعملية، ومن كماله العلمي: قوة الإيمان ونور الاعتقاد وصفاء الصدر وانشراحه واتصافه بالأحوال العالية من حضوره في رعاية حقوق العبودية لربه تعالى ومن هذه الناحية نتجت فرقة الأصفياء الأولياء في امته. ومن كماله العملي القيام بالعبادات الواجبة والمندوبة، وكف النفس عن المناهي، والجهد في الجهاد، وإرشاد الناس بالتعاليم الإسلامية القيمة، ونشأ من هذا: الفرقةُ العالمة بالدين، من قراء القرآن الكريم وحفاظه، ومن رواة أحاديثه الشريفة بالأسانيد المباركة الصحيحة اللطيفة، وفقهاء الإسلام من المجتهدين الكرام، وبهذه الفرق الأربعة الأكابر من الأصفياء المتنورين المنورين للقلوب، وقراء القرآن، ورواة الأحاديث الشريفة وفقهاء الأحكام قامت ودامت دولة الإسلام الخالدة الحاصلة من جهاد الصحابة الكرام، وتضحيتهم بكل ما لديهم من الأنفس والاموال والأحوال، ومن هنا يظهر أن دين الإسلام مجموعة مباركة من العقائد والأحوال من رعاية الأحكام الفقهية واستمراريتها للأجيال فالدين ليس جانباً واحداً بل جوانب، وكلها كانت موجودة في صدر الإسلام الذي كان بحراً متموّجا بأمواج الفضائل العلمية والعملية، ونص ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران/10) جامع لكل ما ذكرنا.
وإثبات خيرية هذه الأمة يكون باستقامتها على اتباع الرسول صلى الله عليه

ونص ((كنتم خير أُمه)) كافي	لصاحب الوجدان والإنصاف
خيريةٌ مطلقة الجنابِ	لا من نطاقٍ واحد أو بابِ

<177>

وسلم بلا غلو ولا جمود ولا إفراط وتفريط، يعني ببقائها على الاعتدال في العلوم والأحوال والأعمال، ويعلن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(البقرة/ 143).
وأساس ما كان لها من الفضل الأيمان بالقلب السليم والعمل على الصراط المستقيم بالإخلاص.
وعمدة ما قام به السلف المسلمون الإيمان بالله ورسوله وحفظ كتاب الله تعالى كتابة على السطور، وحفظاً في الصدور، وجعله دستوراً لكل أمر من الأمور، وحفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم كتابة ورواية من الرواة إلى سيد الأنام بالاتصال والسند الثابت السليم، مع الجهاد الحثيث في إيصال الإسلام إلى الأنام بحيث تنوّر العالم بهم في مدة أربعين سنة.
ثم جاء دور فتح باب العلم والمعارف الإسلامية بتدوين السنة النبوية بعد جمع القرآن الكريم في خلافة الصديق، وتوحيد رسم القراءة في عهد عثمان،حيث علموا بتوقف بقاء الاسلام على بقاء الكتاب والسنة الشريفتين.
وكل ذلك كان مع استمرار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل دورة من أدوارهم، والأمة المباركة كانت منتبهة لما يحتاج إليه الدين من كل تأليف وتصنيف للعلوم الإسلامية من النحو والصرف واللغة والبلاغة وأصول الفقه وأصول الدين وغيرها مما ينفع الأمة الإسلامية.
نشأ من القرن الأول حفظ الكتاب الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن القرن الثاني علم الفقه، وتبويب أحكامه، واجتهاد المجتهدين في استنباط الأحكام، كما استقر الصالحون على مجاورة بعضهم لبعض حتى يتهذبوا بالاقتداء بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في التزكية، والتحلية بالفضائل، والتخلية عن الرذائل حتى صاروا أقباساً في الأمة الإسلامية، واستنار بهم الناس الطالبون.
فالأصفياء أمثال: الصديق، وسلمان، وقاسم، وجعفر الصادق، والحسن البصري وأتباعه، والجنيد، ومعروف الكرخي، ومن اقتدى بهم، حملوا لواء التركية والتخلية عن الرذائل والتحلية بالفضائل واقتدى بهم الناس إلى يومنا.
واستمر القراء على صيانة آيات القرآن الكريم وكلماتها وحروفها بما يحتاج إليه، واستمروا إلى يومنا هذا.
والمحدثون داموا واستقاموا على رواية الأحاديث الشريفة، وتفسيرها بقدر الاستطاعة والإمكان إلى يومنا هذا، وإن لم تكن الصيانة بالصدر فقد كانت بالخطوط والسطور على أوراق صافية من الكدورات البشرية. والفقهاء اجتهدوا حسب طاقاتهم في استنباط الأحكام الفقهية، واستمرار آثارهم إلى يومنا هذا. والشرف والفضل في كل ما ذكرنا للصدر المبارك، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ((خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) الحديث (رواه البخاري والترمذي وابن ماجه وأحمد).

دليل ذاك كلّهِ اعتدالہ سواء الإيمانُ والأعمال

من لم يكن معتدلاً في الوصف لا ريب في اعتلاله بالعرف

<178>

جاء لنا نصٌ على هذا النمط   جعلنا بالفضل أمةٌ وسط

أساسها الأيمان والإخلاص   وذا لكلِّ رفعةٍ أساسُ

عمدة ما تجلو به الصدور   في باب فضل الأمة أمور:

حفظُ الكتاب مع سنة النبيّ   قراءةً كتابةً بالأدبِ

جهادهُا في نشر دين الله   بِسَدِّ الأبوابِ على المناهي

وفتحِ بابِ العلم والعرفان   وكسرِ باب الجهل والعصيان

والأمر بالمعروف في الشريعة   والنهي عن منكرها الشنيعة

إنشاؤها لكل علم نافعِ   في حفظ دين الله ذي المنافع

من نحو أو من صرف أو أصول   وكل علمٍ سُلمِ الوصول

والجهد فيها بغية الوصول   إلى بقاء شرعة الرسول

والجهد في التعليم والدراسة   للطالبين دون ما خصاصة

والجهد في التنوير والإرشاد   والجهد في أسباب الاجتهاد

تخلية للنفس عن رذائل   تحلية للنفس بالفضائل

وأهل الاجتهاد والإرشاد   من ذينكم بقي في العباد

لذلك الفضل الجلي ينجلي   خير القرون قرني ثم ما يلي

ففازت الأمة بالجلالة   إجماعها صين عن الضلاله

وبقيت طائفة منها على   حق وتبقى مثلُها مستقبلا

حافظة الإسناد للقرآن   ولحديث السيد العدناني

بَلْهَ مصائب أتت للأمة   وفتن ومحن مهمه

أساسها الجهل بدين الحق   وطمع من مارق منشق

ثارت وثار نور الإسلام عليه   غارت فغار حكم الإسلام عليه

بحفظ رب العالمين للهدى   وجهد مخلصين في دفع العدي

فقدس الله تعالي سرهم   عمَّ الجميع خيرُهم وبرهم

من دعوة المنائر الرشيدة   وخطب المنابر المفيدة

لكن هنا مراتب بحقها   تؤتي جميع ذي الحقوق حقها

امته العليا[117] على مراتب   حسب أصول الدين في مناصب

---

[117] قول الناظم: أمته العليا الخ. بيان مراتب هذه الأمة الجليلة، وذلك من جهتين: جهة القرب من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن هذه الجهة كما نص عليه صلى الله عليه وسلم أربع مراتب: الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، وبعد الطبقات الثلاث سائر الأمة بأسرها. وجهة الخدمة لتأسيس دين الإسلام ونشره في العالم، فمن هذه الجهة أيضا المراتب كما ذكرنا، لأن الصحابة أول من ضحى بالأنفس والأموال في سبيل الله، ثم التابعون في خدمة قواعد الدين، كتاباً وسنة وعلماً واجتهاداً، ثم تابعوهم في إدارة شؤون الإسلام ومعارضة ما حدث من الفتن الاعتقادية وما شاكلها من الاضطرابات الحادثة في المجتمع كما هو العادة الجاريةُ بين كل أمة من الأمم.

وأما جهة الفضائل الاكتسابية فيجوز أن يكون لمسلم في آخر الزمان فضائل لم يكن إلا لقليل من سلفه كما قال صلى الله عليه وسلم: ((مثل أمتي مثل المطر لا يُدري أولهُ خير أم آخره)) (رواه الترمذي). فان سيدنا المهدي هو انسان كامل وهو في الآخرين، وسيدنا عمر بن عبد العزيز يعتبر من الخلفاء الراشدين، وهو في القرن الثاني أي من التابعين، وهناك لفيف شريف من أفراد الخلفاء والأمراء من المسلمين لهم مزايا جليلة قل من اتصف بها، كصلاح الدين الأيوبي واشباهه، وكالناصر لدين الله العباسي رضي الله عنهما وعن أمثالهم، ومثال كبار المجتهدين في الفقه وأصول الفقه وأصول الدين وكبار الأولياء المخلصين المتنوّرين المنورين للعالم كسيدنا جنيد البغدادي ومن بعده من كبار الصالحين، وكالأقطاب الأربعة المعروفين بتنوير المسلمين وتجديد عمود السابقين في تنوير القلوب بذكر الله تعالى وإعادة المحبة والتآخي بين أقطار العالم الإسلامي، ولم يزل المسلمون على هذا المنوال، فقد ظهر في كل مائة سنة من السنين من يجدد هذا الدين أو جدّدَهُ كما هو معلوم لمن له معرفة بتأريخ العالم الإسلامي وطبقات رجاله العلماء العاملين والأمراء العادلين البارزين،

وصلحاء الأمة المصلحين في العالم جزاهم الله رب العالمين.

الفرقة الأولى من الأصحاب   حملة السنة والكتاب

لولا جهاد صحبه الكرام   لم يثبت الإسلام في الأنام

هم جاهدوا لدينه واجتهدوا   وفي سبيل نشره أُضْطُهِدوا

<181>

هم حاربوا[118] وقابلوا وقاتلوا بالروح والأموال حتى وصلوا
فَدّوا بأرواحهم النفيسة لدحر أهل الملة الخبيثة
<182>

[118] قول الناظم: هم حاربوا. شروع في تفصين أسباب تفضيل القرن الأول. فيقول: الأصحاب الكرام هم الذين حاربوا المشركين لإعلاء كلمة الله في العالم، بعد أن اضطهد الفرقة الأولى منهم من جانب المشركين في مكة المكرمة بما لا يحتمل عادة، فهاجروا من ديارهم إلى بلاد الحبشة مرتين: المرة الأولى من تعبهم بأيدي المشركين، وبعد بقائهم مدة في الحبشة سمعوا أن المشركين سالموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجدوا معه لله عند قراءة سورة النجم، فحسبوا أنهم أسلموا أو صار فيهم مسالمة معه فرجعوا إلى مكة، وبعد أن علموا أنهم باقون على ما كانوا عليه هاجروا المرة الثانية إلى الحبشة حتى هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، وتتابع الأصحاب في الهجرة، فرجعوا من الحبشة إلى المدينة المنورة، واستقروا ولما نزل الأمر بالقتال مع المشركين دخلوا في محاربتهم، فقاتلوهم وقتلوهم واستشهد منهم كثيرون، فنصرهم رب العالمين عليهم، وانتصروا، وأخذوا يغرسون شجرة الإيمان في قلوب الناس بالإرشاد وتلاوة القرآن الكريم ونشر السنة النبوية، فقبلوا الكرب والبلاء والمحنة في الغربة شرقاً وغرباً حتى فتحوا مكة المكرمة، والقبائل المجاورة للمدينة ولمكة، واستولوا على قبيلة هوازن، وانتشر الإسلام في الحجاز، فلولا بريق سيوفهم ولولا أنوار حروفهم ما كان يستقر الإسلام بين الأنام.
ثم أخذ الناظم يذكر فضائل كبار رجال الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون: ابو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم. وبدأ يذكر مآثر أبي بكر رضي الله عنه، فقال: أبو بكر هو أول إنسان رجل آمن بالرسول وبذل حاله وماله له صلى الله عليه وسلم، فلولا اهتمامه بحضرته ما كان ينجو عادة من شرار العرب، ولا كان يسهل له الهجرة للمدينة المنورة، ومواقفه الحميدة في المعونة والجهاد بالحال والمال والنفس معروفة لمن يراجع التاريخ الإسلامي. فصار أبو بكر بمساعدته بالإيمان، وصرف النفس والنفيس، ومصاهرته له يداً يمني في جسده الشريف. وعندما قرب وفاته ودخل في المرض استخلفه للإمامة بالناس في الصلاة واقتدى صلى الله عليه وسلم به في مرضه للوفاة. وأمر بسد جميع الأبواب الصغيرة المحيطة بالمسجد إلا الباب الذي يدخل منه أبو بكر للمسجد، وكل مهام المسلمين في ذلك الوقت كان من الإمام، وكل هذه الأعمال من الرسول دليل على أن أبا بكر أول خليفة له صلى الله عليه وسلم.
ومن مآثره أنه بعد استقراره على الخلافة الإسلامية قام بأمور هامة كانت كأساس لبناء الإسلام، منها: قتال أهل الردة المانعين عن إعطاء زكاة أموالهم، وقالوا: إنها تشبه الجزية، ونحن نستنكف عن دفعها، فصار كلامهم عقدة وشبهة في قلوب باقي القبائل المجاورة، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه حتى استسلموا وانكسرت ثورة شبهتهم الباطلة واستسلم باقي القبائل المجاورة.
ومن مآثره محاربته مسيلمة الكذاب المنحدر من عشيرة بني حنيفة.
واتباعه الذين بلغوا نحو اثني عشر ألف محارب، فحاربهم أبو بكر بالصحابة الكرام ونصره الله تعالى بفضله ورحمته وقتلوا مسيلمة، وأبادوا جيشه بالرغم من أنه استشهد كثير من الأصحاب، وخاصة قراءة القرآن الكريم

فغرسوا شجرة الإيمان	على صدور الناس في الزمان
تكربوا لدينهم تغربوا	وفي البلاد شرقوا وغربوا

<183>

الحفاظ له.

ومنها جمعه بمشاورة عمر بن الخطاب معه ومشاورتهما مع زيد بن ثابت كاتب الوحي المختص به صلى الله عليه وسلم خوفاً من ضياع القرآن بوفاة القراء الحفاظ له، فجمعوا جميع القرآن الكريم واستنسخوه في صحائف من الجلود، وبقي في بيت أبي بكر في حياته ثم عمر في مدة خلافته ثم عند أم المؤمنين حفصة بعد وفاة عمر إلى أن جمعه عثمان جمعة ثانياً.

فلولا هذه الخصال الثلاث لما استقر الإسلام لضياعه على أيدي المرتدين لا سيما مسيلمة الكذاب لقوته. ولضاع الكتاب الكريم، ولكن الله نصره، فانتصر عليهم ولله الحمد.

للبعض هجرتان بل ثلاث   زادُهُمُ الاخلاص واختصاص

لولا بريق السيف في الميدان   لولا شروق الدم من أبدان

لولا قبول كل حال للهدى   لما بدا الإسلام عند الابتدا

وحفظوا البيعة والأيمان   وحفظوا وكتبوا القرآن

وحفظوا الإيمان في القلوب   لحفظ الأحكام بلا عيوب

ذلك حال الجمع، والتفصيلُ   خذه من المحبِّ يا خليل

أبو بكر رضي الله عنه

أما أبو بكر فهو الصديق   وافقه التوفيق والتصديق

أول من آمن في الرجال   أفضل أمة الرسول العالي

سخا بكل حاله وماله   وذا بنور القلب لا بِقالِهِ

لولا اعتناؤه بحضرة النبي   ما كان ينجو من شرار العرب

لولا سخاً بالمال للوصول   ما صارت الهجرة للرسول

لولا خلافته بعد الحضرةِ   لتاهت الأمة تَيهَ الحسرةِ

لولا قتال ردة الأعرابِ   لم يبقَ للإسلام من حسابِ

لولاه لولا قتلُه مسيلمة   لم تبقَ ملةُ الهدي بسالمة

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أما عمر فإنه إعزاز[119] لدين الإسلام، وامتياز

لولا بِدارُ عمر للبيعة لم يبق للإسلام أي منعه

<185>

---

[119] قول الناظم: أما عمر إلخ. شروع في مآثر عمر رضي الله عنه، وأول مفخرة له أنه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل دفن جسده الشريف لما رأى أن الناس اجتمعوا في السقيفة، وكاد أن يحصل الخلاف وانشقاق المسلمين على مسألة الخلافة، مدَّ يده القوية الشريفة إلى يد أبي بكر الصديق فبايعه بيعة الخلافة الإسلامية، وتتابع الناس على عمله، وبايعوه وسبحان الله لم يعارضه أحد من بيعته، نعم إن سيدنا علياً لمفاجعته بوفاة الرسول كان في محنة تامة، فتأخر أياما إلى أن أفاق من حاله وملاله وجاء إليه وبايعه وصفا الحال، ولم يبق أي كدر هناك. وكل ما ينقله القصاصون على خلاف ذلك كذب وافتراء. وسيأتي توضيح لهذه القصة إن شاء الله تعالى. فهذا المدُّ السعيد لساعد عمر أول مفخرة له صارت سبباً لاستقرار الإسلام، ومن مآثر عمر أنه كان أول من تفكر في جمع القرآن بعد واقعة حرب مسيلمة، خوفاً من ضياعه، فأطاعه أبو بكر، ثم شاوروا زيد بن ثابت، ووافقهما عليه، ومن مآثره أنه تم فتح جزيرة العرب في خلافته، وفتح فلسطين وفتح الشام وفتح أهواز وكردستان وإيران في خلافته. وأنهى خصام الفاسدين معه على هذا الأمر.
ومن مآثر عمر رضي الله عنه أنه بعد أن فتح العراق ووجدها مملكة خصبة، وخاف من اشتغال الفاتحين باستثمارها بعد تقسيمها، استوهب الفاتحين أرض العراق، وكانت الأراضي الزراعية منها ستة وثلاثين مليون جريب (دونم) تقريباً، فوقفها وقفاً عاماً للمسلمين ما عدا ما يحتاجون إليه للمساجد والمدارس والمقابر، وما يحتاجون اليه للمصالح العامة. وقرر على كل جريب من تلك الأراضي مبلغاً من الأجرة يصرفها المستأجر إلى مأمور بيت المال سنوياً.
والسواد من العراق عرضاً: من القادسية (كوفة) إلى حلوان (زهاو).
وطولاً: من حديثة الموصل إلى عبادان من الأهواز فهذه كلها من أرض سواد العراق، ويدخل فيها على ما قرره المولى ابو بكر المصنف في الوضوح شرح المحرر المخطوط لحد الآن قرى: جوانرود ونفسود (نوسود) من ناحية أورامان لهون وأراضي شهرزور إلى نهاية جبل سورين، وقسماً من شهربازار، وكل السليمانية وما والاها إلى كركوك، وصحراء أربيل منحدراً إلى حديثة الموصل. فلولا كفايته وبعد نظره لم يفعل ذلك، واشتغل الناس الفاتحون بالتملك والاستثمار، وتركوا الجهاد، ووقعوا في تهلكة غلبة الكفار المجاورين، فرحم الله عمر لإيمانه وعقله وعلمه وعدالته وشهامته وشجاعته، واستشهد عمر أخيرا على يد أبي لؤلؤة المجوسي لشبهة غلاء جزيته، وكان في الحقيقة بمؤامرة ظالمة أجنبية. ومن كانت له عين البصيرة يطلع على السريرة، ومن لم تكن له ذلك فلا اعتبار له.

لولاهما في الجمع للكتاب ... لحارت الأمة في ارتياب

هما وزيد الكاتب بن ثابت ... قد جعلوه الشمس للثوابت

روحي فداءٌ ليدٍ قد مُدَّت ... لبيعة الصديق واستمدت

لولاه صار الناس في زلزال ... من اختلاف الرأي والمقال

لولا جهاده بقوة الحسد ... ما تمَّ فتحٌ لجزيرة العرب

هو الذي جهز جيش السعد ... ببرقِ نورٍ مع صدق الوعد

من صَيتِ سعد قد أتي المثنى ... ومعه شقيقه الـمُعَنىّ

فطهروا البلاد من كفارُ ... غلاظ قلبٍ مستحقي النار

ويَدّلوها برياضِ الجنَّة ... عاش بها الأحرارُ دون مِنَّة
وبعدَ فتحِهِ العراقَ كلَّها ... جبالَها وصعبَها وسهلَها
وبعد تقسيمٍ لها بِالدينِ ... بَينَ أَولى السيوفِ باليقينِ
إستَوهَبَ الجميعَ منهم بِالرضا ... وَوَقفَ السواد كلاًّ وارْتضى
أجَّرهَا لأَهلها مُوَبَّدا ... بأُجْرةٍ لِبيتِ مالٍ أَبَدا
من الحديثة الى عبادان ... وقادسية لأرض حلوان
تلك على الطول وذي بالعرض ... تلك السواد من عراق الأرض
قررها الأئمة الكرام ... إلا أبا حنيفة الهمام
وفتح البلاد من أهوازِ ... وأرض شهرزور بامتياز
فتح أرض العجم بأسرها ... إلى خراسان بدون كسرها
فتح بيت المقدس الشريف ... وأرض شام، شامنا اللطيف
وأرض مصر مربعِ الرباط ... طهرها من وسخ الأقباط
فَرتَّبَ البِلاد بالمُواصَلَه ... معْ جيشه مَعَ قُواه المواصِلة
ونشر العدل على البلاد ... صيانةً للدين والعباد
وبعد ذاك الله قد آتاه ... الفوزَ بالشهادةِ وارتضاه
ذا عمر، وإن سألت من عمر؟ ... عمَّرهُ الله لخدمة البشر
رضي الله تعالى عن عمر ... العادل العامل حسبما أمر

عثمان رضي الله عنه

عثمان[120] من عثمان؟، ذو النورين ... من النبي كالنور للعينين< >187

---

[120] قول الناظم: عثمان إلخ. بيان مناقبه رضي الله عنه، وهو من السابقين في الإيمان، وهاجر مرتين إلى الحبشة، وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم جاء إلى المدينة المنورة. وله مفاخر في الاسلام باشتراء بئر رومة، وبتجهيز جيش العسرة وعليهما قال - صلى الله عليه وسلم - اشتري الجنة مرتين عثمان رضي الله عنه، وزوجه الرسول صلى الله عليه وسلم بنته رقية، ولما تُوفِّيتْ زوَّجَهُ بنته أمَّ كلثوم، ولما تُوفِّيتْ قال صلى الله عليه وسلم: ((لو كانت عندي ثالثة لزوَّجتُكها)) وكان منبعاً للحياء إلى درجة قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الملائكة تستحي من عثمان)) وانفع مناقبه عبارة عن جمع القرآن الكريم على لغة قريش، أي على قراءة توافقها. وتفصيل هذا الجمع هو أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش، ولما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل الله لِلُغَةِ القبائل الأخرى فيه حظاً نزل في بعض كلماته بلهجة سائر القبائل، وتلك الوجوه لا تختلف في أصل المعنى المقصود، وإن كان بحسب المفهوم اللغوي فرق، كما بين يعملون ويفعلون، وتلك الوجوه لا تزيد على سبعةٍ بينها العلماء، ومعلوم أن القرآن الكريم لم يكن عند بعض الأصحاب كلّه ولا كل تلك اللهجات، فإذا قرأ شخص: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ وآخر قرأ: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ يحصل بينهما نزاع، وبعضهم يُخطِّىء الآخر.
ولما جاء دور خلافة عثمان رضي الله عنه، ووصل جيش المسلمين الى (باب الأبواب) بعرف ذلك العهد (باكو) بعرف الناس اليوم، وهي في أطراف روسيه، حصل نزاع بين أفراد من الأصحاب في بعض القراآت حتى كاد أن تحصل منه فتنة كبيرة، وباقي الاصحاب سعوا في اخماد نارها في ذلك الوقت، وكان فيهم حذيفة بن اليمان، أمين الرسول عليه السلام، ونظر

قد اشترى الجنة مرتين	مرة (بئر رومة) شَريَتَينِ
ثانيةً تجهيز جيش العسرة	فياله من خدمة ونصرة
افضل أعماله في الإحسان	عند الإلهِ الغافر المنان

<188>

إلى القضية بدقة، وخاف من عود مثلها، فركب دابته ورجع إلى المدينة المنورة، وأخبر عثمان وأشار عليه بتدارك الأمر، فلبّاه عثمان، وجمع لجنة من خيار الصحابة، وجعل علي بن أبي طالب مشرفاً عليهم، فجمعوا المصاحف الكاملة والناقصة كما أنهم جاؤا بالمصحف الذي كتبه زيد بن ثابت، والذي جمعه أبو بكر، وأمر بكتابة سبع نسخ منه على لغة قريش الذي نزل القرآن عليها في صلب الصحائف، وبكتابة سائر اللهجات على هوامش الصحيفة، رعاية لبقائها حتى لا يضيع شيء منه، وأمر بإحراق سائر المصاحف التي عند الصحابة مما عدى تلك السبعة، فأحرقوها حتى مصحف عبدالله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، وكان أولا لا يُحبان إحراق ما عندهما، فلما علما أن إحراقهما أنسب بالمصلحة أحرقا ما عندهما، فبقي المسلمون على شكل واحد من خط المصاحف، واتفقت كلمة الأمة بهذا العمل النافع، فرضي الله عنه وعنهم بهذا العمل الجليل، وأرسل عثمان منهما مصحفاً الى مكة المكرمة، وآخر الى اليمن، وآخر إلى البحرين، ومصحفاً إلى الكوفة بالعراق، ومصحفاً الى الشام، وآخر إلى مصر، وأبقى عنده في المدينة المصحف السابع، واشتهر بالمصحف الإمام، والحمد لله تعالى.

جمع الكتاب في نظام واحدِ   يبقى بلا خُلفٍ لدينٍ خالدِ
على هدى أتاه من حذيفة   رجع من باكو يُحَدِّي سيفه
وذاك من تشكيل لجنة تلي   نظامَها سيدنُا المولى علي
فأَحضروا مصاحف الأصحابِ   وكلَّ جزءٍ كان في كتابِ
وكتبوا القرآن حسبما نَزَل   بلغةِ قريشٍ القومِ الأجلّ
ذلك في الداخلِ أما الباقي   فكتبوا في هامِشي الأَوراقِ
فكتبوا سبعاً من المصاحِفِ   لديننا موسوعة المعارف

وبعد ذا أمر بالإِمحاءِ لكل مصحف بلا إرجاءِ
لم يبق في الدنيا من القرآن مما عداها بعد ذاك الآن
أرسل ستة إلى الأمصار مع مقرِئين كُمَّلٍ أَخيار
لمصر، للشام، لمـُلْكْ اليمنِ لملكة الشريفة، والبحرينِ
لبلد الكوفة في العراق مَشعلِ نورِ العلم في الآفاق
سابعها للطَّيبة المنورة أكرم بها مكرمة ومفخرة
سمِّي بالإمام حيث إنه إمام ما قد استنسخوه منه
أو إنَّه بقي لدى الإمام فصار كالإمام للأنام
والحق لولا جمعُهُ النقّاعُ افسَدَ أُمَّةَ الهدى النزاعُ
فرضي الله تعالى عنهمُ وكل من رضي سعياً منهمُ
وصار حاصل المديح فيه شهادةٌ في بيته تكفيهِ

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

نأتي إلى أَبي تُرابِ[121] بابِ جميعِ الخيرِ وَالصوابِ
باب مدينة معارف النبي أخي الرسول الهاشمي العربي

---

[121] قول الناظم: نأتي إلى باب[] إلخ. شروع في بيان فضائل سيدنا علي كرم الله وجهه، وأشار بكلمة باب الى حديث: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)). (رواه الطبراني والحاكم وغير منهما، وقال الشيخ السيوطي: حديث حسن لغيره) وهو أول من أسلم في صغر السن معصوماً قبل وصوله وقت التكليف وقد تربى مع الرسول صلى الله عليه وسلم، أي مجاوراً له، ومتأدباً بأخلاقه، وكان عمره تسع سنين عند نزول الوحي الى الرسول صلى الله عليه وسلم.
وهذا الفاضل له شهرته في ديانته وأمانته وعلمه وثقافته وفي غيرته وشهامته، وفي القضاء بين المتخاصمين، قال صلى الله عليه وسلم: ((أقضاكم علي)) (رواه البخاري وابن ماجه واحمد بن حنبل) فإنسان في هذه الرتبة من المكارم من الدين والأمانة والعلم والغيرة والشهامة لا يتصور الإنسان العاقل أنه إذا ورد نص في حقه يترك حقه من الخوف من احد، او من الجهل بالواجب، ولما قبل خلافة أبي بكر وبايعه ولو بعد حين، وقَبِلَ خلافة من استخلفه أبو بكر، وهو عمر، وزوَّجه بنته أم كلثوم، وولدت له أولاداً، ثم قبل أن يدخل في الشورى لاختيار الخليفة بعد استشهاد عمر رضي الله عنه: علمنا أنه لم يرد في حقه نص، لأن ترك النص إما لقلة الأتباع وكان عنده من قريش أفراد كثيرون، أو للخوف، والخوف يكون من الضعف، أو بِترك الواجب وهو كان الأمين المأمون في الدين، فعلمنا أن الحق ما استقر عليه عمل الصحابة في باب تعيين الخلفاء.
وما نقل من تأخره عن بيعة أبي بكر الصديق كان لمفاجعته بوفاة ابن عمه الكبير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووفاته بالنسبة إليه كانت ادهي داهية، وأقسى مصيبة واردة. وما نقله اللُّغاة من بعض أمور ملفقة كلها كذب وافتراء، وما عليها إلا ما على افتراء المفترين الفاسدين.
على أن العقل السليم لا يقبل في حق جمع من خيار الأمة التي ورد في مدحها آيات كثيرة عموماً وخصوصاً، وأحاديث كثيرة كذلك أن تحصل منهم الإجماع على خلاف الحق، أو قبول غير الحق. ثم سيدنا علي رضي الله عنه كان مدة ست سنين على منبر الكوفة يخطب ولم يسمع منه بالنسبة إليهم إلا الثناء والترضي عنهم، فرضي الله تعالي عنهم أجمعين.

أول معصوم أتاه الدين   علينا وليًّا الأمين
أعماله مشهورة جليلة   أخلاقه مسطورة جميلة
نقول هذا الفاضل الهمام   وذلك العلامة الفهام
وذلك الأمين في الاسلام   وذلك المبين للأحكام
وذلك الشجاع في الأنام   وذلك الرفيع في المقام
<191>

لو كان نص وارداً في حقه ما ترك الحق تقيً عن خلقه
ما راجع الصديق بعد أن صفا قلبه من حزن وفاة المصطفى
وما أتى عمرَ للمبايعة مزواجاً بنته للمشايعة
ما دخل الشوري وري فوتِ عمر يطلب حقه على نص الخبر
فالحق ما كان عليه قد مضى من نصرة الرفاق كلاّ وارتضي
فالناس ناسون لحق الله وليس دعواهم لأجل الله
خطبه في مدحهم معروفة يشهدْ بها منبر دار الكوفة
فليعلم العالم أَنّي العلوي من ارتضي بفعله الحقُّ القوي
قد قال في حقه: ((أقضاكم عليّ)) فكل ما قضى به حق جليّ
فرضي الله علياً الولي وكل من رضي من فعل علي

الامام الحسين رضي الله عنه

وبعده الحسن[122] خَتْمُ الخلفا سيدُ عصره بنص المصطفى
بُويع بعده بصدق وصفا بايعه الموجود من أهل الوفا

---

[122] (الإمام الحسن رضي الله عنه)
قول الناظم: وبعده الحسن. بيان لفضائل اكبر السبطين سيدنا الامام الحسين رضي الله عنه، وفي الحقيقة هو وأخوه الإمام حسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقان بيان كرامتهما، ولتثبيت محبتهما في قلوب المؤمنين، لأنهما من كبار أئمة الآل بعد والدهما وامهما رضي الله عن الجميع، وكان الحسن يشبه جده رسول الله أزيد من أبيه، وقد ورد بذلك الحديث كما ورد في شأنه: ((إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)) (رواه البخاري وابو داود والترمذي والنسائي) وقد ظهر بهذا الحديث الشريف أنه من سادة المسلمين، وهو من المصلحين، وأن كلاً من الفئتين أي فئة جده وفئة ابن عمه معاوية بن أبي سفيان من المسلمين، وأن خلافهما خلاف اجتهادي، وأنه لمّا تنازل عن حق خلافته لمعاوية رضي الله عنه عمل عملاً مباركاً نافعاً للأمة الإسلامية.
والأفضل بعدهما باقي العشرة المبشرة، أي بعد الخلفاء الأربعة، وعما الرسول سيدانا حمزة وعباس ثم أصحاب بدر الكبرى، ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان الذين كانوا نحو ألف وأربعمائة رضي الله عنهم أجمعين.
ومما يجب أن يعلم أن آيات كثيرة وردت في فضائل الصحابة عموماً وخصوصاً، وكذلك من الأحاديث الشريفة بحيث تندهش العقول أمام فضلهم من حيث الإيمان والاعتقاد والدوام على الحق والدين، ويكفي المسلم المنصف قوله صلى الله عليه وسلم: ((لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه)) (رواه البخاري وابو داود والترمذي). ولم يكن ذلك الحديث إلا لقوة إيمانهم، ومزيد إخلاصهم، كيف ولو لم يكونوا بتلك الدرجات ما كان الإسلام ينتشر في ربوع العالم، وما بقي للحق أثر، كما قال صلى الله عليه وسلم في واقعة بدر: ((اللهم إن تُهلِك هذه العصبة (أي جماعة جيشه) لم تعبد ولم يسجد لك)) (رواه مسلم). أو كما قال، فرضي الله عنهم جميعهم أولهم وآخرهم وعن التابعين لهم بإحسان وتابعي التابعين من الأئمة الأعلام المجتهدين وغيرهم من خدام هذا الدين وعنا ببركاتهم آمين يا أرحم الراحمين.
ومن أولاد الإمام الحسن: الطائفة المعروفة بالأدارسة ملوك المغرب وشرفاء مكة وسيدنا عبد القادر الكيلاني، وكلهم اولاد السيد عبد الله من احفاده رضي الله عنهم.

<192>

لما تعالي شأنُه من الصَّفا	تَرَكَ ما قد دارَ في عهدِ الجفا
وحقَّ صدقاً إن ابني سيدُ	أَمْرُ التَنازُل بِحقٍّ جَيّدُ

<193>

رضوانُ ربي نازلٌ بالعين	لِحَسَنٍ وصنوه الحسين
وبعدهم في الصحف المنشرة	تفضيل باقي العشرة المبشرة
عماه حمزةُ رئيسُ الشهداء	وعمه العباس خير من بدا
أصحاب بدر وصِحابُ أُحدِ	ليس ينال قدْرَهم مِن أحد
وأرضَ عن أهل بيعة الرضوان	في كل ساعة بلا توان
كفى الجميع مدحُهم في التوبة	وسورةِ الفتح بدونِ ريبة
والتابعون بعدهم أهل رضا	ربي بهذا في كتابه قضي
فلنأت للائمة الكرام[123]	مجتهدي أمتنا الأعلام<194>

---

[123] قول الناظم: فلنأت للأئمة الكرام: بيان بالإجمال للأئمة المجتهدين من التابعين وتابعي التابعين، فضبطوا قراآت القرآن الكريم ونشروها وعلموها الأمة الإسلامية كما أخذوها من الأصحاب الكرام، وهم أخذوها من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر وهو من أسباب اليقين، ثم ظهر قراء سبعة، ولكل منهم راويان مختصان بالفضائل وإلا فالكل آخذون لها بعدد التواتر، والقراءة عندنا في بلدنا قراءة حفص الدوري، وهو راوٍ عن العاصم رضي الله عنهم.
وأما الأحاديث الشريفة فلم يكتب في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم خوفاً من اختلاطها بآيات القرآن الكريم، وحصول الاشتباهات إلى عصر الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز الأموي، فأمر الزهري وكان زميله في أخذ القرآن والأحاديث. فأكملوا العمل وتعبوا في جمع الأحاديث الشريفة بقدر الإمكان وبعد جمعها أخذ الأئمة يرتبون على أبواب الفقه والاعتقاد بحيث يستفاد منها بسهولة حتى أتي الزمان إلى أصحاب الصحاح كموطأ للإمام مالك، ومسانيد أبي حنيفة والشافعي ومسند أحمد بن حنبل ثم سائر الصحاح الأخرى مثل صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما.
وأما أئمة أحكام الفقه فيقول ابن القيم الجوزي: توفي الرسول صلي الله عليه وسلم عن عدد كثير من المجتهدين يبلغ عددهم المبلغ الزائد على المائة، وكلهم واصلون درجة الفهم الكامل للآيات والسنة النبوية، كعبدالله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وتميم الداري، وأبي الدرداء، وسلمان الفارسي، ومعاذ بن جبل العَلَم العالي في الافتاء، وأبي موسي الأشعري، وغيرهم، ولكلٍّ منهم مساعٍ جميلة جليلة لا سيما ابن عباس ألّف كتباً كثيرة في الأمور الإسلامية.
حتى جاء دور الأئمة الأربعة المشهورين: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل الشيباني رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فكتبوا ودوّنوا الأحكام الإسلامية وصارت ذخيرة للمسلمين.
أما أبو حنيفة فولد في تأريخ الثمانين من الهجرة في الكوفة وأخذ الأحكام من أستاذه حماد، وهو أخذ من إبراهيم النخعي، وهو عن علقمة، وهو عن عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل الذي أرسله عمر بن الخطاب إلى الكوفة. وتوفي أبو حنيفة سنة مائة وخمسين من الهجرة النبوية في بغداد، وقبره قرب جامعه.
وأما الإمام مالك بن أنس ولد في المدينة المنورة عام تسعين. أخذ العلم من الزهري ابن شهاب، وعن نافع مولى عبدالله بن عسر، ومن ربيعة. وعاش تسعة وثمانين عاما، وتوفي في المدينة، وقبره الشريف في جنة البقيع بالمدينة المنورة.
وأما الإمام الشافعي، فهو محمد بن إدريس من أحفاد شافع المطلبي، ولد في غزة من دار فلسطين، ودخل مكة، وأخذ العلم من سفيان ابن عيينة ومن مسلم بن خالد الزنجي، ومن وكيع، ومن الإمام مالك، وتوفي في مصر عام مائتين وأربعة من الهجرة، ودفن الإمام في قرافة مصر رضي الله

هم خير فرقة لأمة الهدى   على شمول المنتهى والمبتدا

فحفظوا الكتاب باهتمام   ودوّنوا السنة للأيام

<195>

تعالي عنه.

وقد ثبت أنه بعد تخرجه عند مالك جاء إلى بغداد وبقي مدة ثم سافر إلى شمال العراق بلدة أربيل وما والاها، وتجول نحو سنتين وصار له مع علماء تلك البلاد مباحث ومذكرات، وبثَّ آراءه الاجتهادية لهم، فقبِلوها وصوبوها والتزموها، ولذلك قلد جميع الأكراد مذهبه، حتى أطراف لورستان التابعة لكرماشان، وكان هناك أمير يسمى بعز الدين، وقد كان شافعي المذهب به وكما يقول صاحب كتاب (شرفنامه) قد حفظ نحوا من اربعة آلاف مسألة من فقه المذهب الشافعي، ثم بعد استيلاء الصفوية على تلك البلاد في تاريخ 906هـ وذلك بتأييد الأجانب حتى يكسروا شوكة الخلافة العثمانية تركوا مذهب الإمام ووصلوا إلى ما وصلوا إليه، والأمر يومئذ لله.

وأما الإمام أحمد بن حنبل الشيباني وكان حنبل جده الثاني واشتهر بالإضافة إليه، فولد في بغداد عام مائة واثنتين وسبعين من الهجرة وأخذ العلم في بغداد، وسافر إلى الشام ثم إلى مكة المكرمة، ثم إلى اليمن، ثم إلى بغداد وأخذ العلم في سفره من سفيان بن عيينة الذي أخذ منه الإمام الشافعي، وفي بغداد تلمذ علي الإمام الشافعي، وتبحَّر في الحديث الشريف والفقه الشريف فصار كاملاً في العلم، بحيث أنه قال الشافعي عند خروجه من بغداد: تركت بغداد، وما تركت فيها أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل رضي الله عنه. وتوفي في بغداد عام مائتين وواحد وأربعين هجرية، ودفن قرب دجلة، وبعد مدة من الزمن جاء السيل وطغت دجلة، فيقول الناس: إنه نقل من قبره إلى محل في (ميدان) قرب الدفاع، وقد زرته هناك، وكتب على جبهة الباب: هذا قبر الإمام أحمد بن حنبل أحد المجتهدين. والمحل مهجور وليس فيه ما يليق بشأن ذلك الامام العالم المحترم المحدث الشهير، وصاحب المسند الكبير رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وأولئك الأئمة الكرام خدموا الإسلام في إسناد الأحكام وبيان أدلتها بالتمام، والرسول صلى الله عليه وسلم مدح قرونهم بقوله الكريم: ((خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) (رواه البخاري والترمذي وابن ماجه واحمد بن حنبل) أو كما قال، وعلى المسلمين الترضي عنهم جميعا، وإياكم أن تسمعوا كلام الجهلة الذين لا يحفظون مائة حديث في الأحكام، ولا أسانيدها ولا معانيها، بل ولا علم لهم بالإعراب والبناء ! فإنهم ديدان القراء، وحذركم الرسول صلى الله عليه وسلم عن فتنتهم، والحديث في جامع الصغير في حرف السين.

وجاهدوا واجتهدوا وشرحوا ودين الإسلام بحق أوضحوا

لولاهمُ ما قام للأنام مفخرة البيان للأحكام

<196>

فحسبهم ((خير القرون قرني ثم الذين...)) في ذكر علو الشأن

فرضي الله عن الجميع رضاء عفو ورضا الترفيع

<197>

أوصيكم أيها الكرام البررة[124] أنتم على بساط دنيا سفرة

يحتاج كلنا لحمل الزاد ليومِ نلقى ملكَ العباد

<198>

---

[124] قول الناظم: أوصيكم: بيانٌ لوصيةٍ بحقٍ من واجبه، والوصية وصية بالاستقامة على شعار الإسلام، وآداب الرسول وأصحابه، كما هو بالاستقامة علي شعار الإسلام، وآداب الرسول وأصحابه، كما هو شعار أهل السنة المأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم في بيان المسلمين الكاملين بقوله صلى الله عليه وسلم: ((هم الذين على ما أنا عليه واصحابي)) والذي رواه عنه تميم الداري، قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: ((الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)) (رواه البخاري والترمذي)، والنصيحة: الخلوص والجهد بالصدق والتزام الحق، وعلى ضوئهما يجب علينا جميعاً التزام الكتاب بالعمل بمحكماته، وتفويض متشابهاته إلى الله، أو تأويلها بما يليق بحضرة واجب الوجود الذي ذكرت صفاته بالأحدية والصمدية والقدم والبقاء أبداً وعدم مماثلة من سواه وما سواه، ومحبة رسوله وتعظيمه ونصرة دينه وتعظيم أئمة المسلمين في بيان القرآن والأحاديث والاعتقاد والفقه والزهد عن الدنيا، ثم لعامة المسلمين، والنظر إليهم على ضوء حديث: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ولا يكذبه)) (رواه مسلم).

و من مهمات الوصايا: التحذير عن الانخداع بحيل الكفار ومكرهم فانهم بعد استيلائهم على بلاد الإسلام يشتغلون دوماً بإضعافهم بل وبإبادتهم من جهات شتى، أولاً: بتغيير منار التربية والتعليم، بحيث لا يستفيد الدين وأهله من معلوماتهم، ويصرف علومهم في خدمة المطامع النفسية.

ثانيا: إهمال شئون الدين، ودراسة التراث المقدس العربي الاسلامي دراسة تخدم القرآن والسنة النبوية، والاعتقاد الإسلامي، والفقه الشريف، وما من جهة الأخلاق.

ثالثاً: يبثون دعايات فاسدة كاذبة حول الإلهيات والنبوات، والرسالة الإسلامية الإلهية، ثم حول الرسول نفسه وأهله وخاصته، ثم حول الصحابة الكرام، ثم حول الأئمة المجتهدين في الفقه والاعتقاد الإسلامي ثم حول الأولياء الصالحين والأصفياء المستقيمين على شعار الدين وخدمة الحق، فخدعوا المسلمين بأنواع الحيل والدسائس به فيلقون الوساوس إلى قلوب المسلمين.

رابعاً: بث روح التفرقة والعداء بين كل طائفة وأخرى بالوسائل الجهنمية النارية.

خامساً: بإعانة كل من يشايعهم ويتبعهم في الإفساد وامحاء آثار كل من يخالفهم، والحقيقة يجب على المسلمين اليوم الانتباه وبالله التوفيق.

الزاد نصحُ حَسْنُ الاعتقادِ لله في منهاجِهِ الرشادِ

والنصح للكتاب أصلِ الدين والنصحُ للرسول ذي التمكين

والنصح للائمة الكرامِ وعامةِ العباد في الإسلام

لاسيما أصحابه العظامِ هم أشرف الوري بنصحٍ تام

وأهل بيته النزيه الصافي من كل عيب ظاهر وخافي

واعتقدوا فيهم كرامة أتتْ لهم من الله على ما نزلت

لا تسمعوا فيهم كلام الناس فإنه الموجِب للوَسواس

لا أقصد العصمة من كل أذى فإنها مختصة بالأنبياء

لكنهم من بعد عصمة لهم فيهم فضائل العباد كلِهم

لأنهم خير العباد مطلقا من سابقٍ ولاحقٍ قد حُقِّقا

ولو أني آت ببعض خبر موحشةٍ لما يُري من ضرر

<199>

فهي على فرض الوجود فيهم ... خيراتهم في دينهم تكفيهم

واعتقدوا العِدا من الأجانبِ ... يأْتونَنا من كل صوب جانبِ

فيُحْرقون دارَنا بنارِنا ... بتهمةِ الإصلاح من أشرارنا

لا يرقبون إلنَّا أو ذِمَّة ... ويفسدون كل أَهلِ همة

إيّاكمُ إياكُمَ إيّاكُم ... عدوكم بالكيد قد أتاكُمُ

البشر أفضل من الملائكة

وهذه الأمُة بل كل البشر[125] ... من ماض أو مستقبل أو مَنْ حَضَر

مؤمنهم أفضل من نوع الملَك ... حسب مقامهم وكلٌ في فلك

خواصُّنا أفضل من خواصهم ... عوامنُا أفضل من عوامهم

<200>

---

[125] قول الناظم: وهذه الأمة إلى آخره. بيان لبعض فضائل الأمة الإسلامية من حيث اندراجهم في مطلق الإنسان المكلف المسلم من أي صنف، وفي أي زمان أو مكان خواصهم وهم الرسل والأنبياء الكرام والعلماء العاملون الأعلام، والأولياء وسائر الصلحاء أفضل من الملائكة: رسلنُا من رسلهم، وأولياؤنا وخواصنا من خواصهم، وعوامنا غير الفاسقين من عوامهم، لأدلة:
الأول: إن الله لما خلق سيدنا آدم أمر الملائكة بسجودهم له سجود الإكرام والتعظيم، لا سجود العبودية، فإنه يمتنع ويحرم لغير الله تعالى، والعادة تقضي بأن المفضول يسجد للفاضل.
الثاني: إن البشر لهم موانع من العبادة من حيث إنهم مقيدون برذائل النفس الأمارة من الشهوة والغضب والحقد والحسد والعجب والرياء والأنانية والكبر وأمثالها، وكل ذلك يمنع الشخص عن العبودية وعن الطاعة الخالصة لله تعالى والملائكة براءٌ من تلك الصفات، فالعبادة منهم ما فيها مشقة، وأما من البشر ففيها مشقة زائدة فوق العادة، والأجر بقدر المشقة.
وما دام للبشر فضل على الملك ففضلهم على الجن أولى، لأن عنصره ناري وغالباً تسوقهم إلى المفاسد إلا ما شاء الله، وهذا من النوع ولكن الحق هنا أن ننظر إلى شخصية الجن، فان الانسان الاعتيادي ولو كان صالحاً لا يفضل على الجن العالم العامل الصالح الذي له خدمات دينية، ولذلك يقول المحققون إنه وإن سلم فضل البشر على الجن باعتبار النوع لكن في الأفراد يجب التوقف حتى ننظر إلى سبب التفضل حتى يكون الإنسان في حكمه على بصيرة قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف / 108).

لأن رب العالمين قد أمر جمعَ الملائكِ بالسجود للبشر
والعادة السجود من مفضول لفاضلٍ بالمنهج المقبول
وأنهم بُراء مما للبشر من نفسه الأمارة بكل شرّ
فليس عندهم دواعي الهفوة من طمعٍ أو غضبٍ أو شهوة
فجُبلوا ذاتاً على العبادة دون مشقة خلاف العادة
وإنما الأجر على المشقة بحمل أتعابٍ بذلِّ الرِقَّة
لكن كلامنا على الأخيار دون عصاة الناس والأشرار
إن الفضيلة لدى إنسان متصف بالعدل والإحسان
لا لشرور عابث عَبّاسِ يلقى الأنام في الأذى والباس
واذ علمت فضلهم على الملك ففضلهم على جميع الجن لك
إذ عنصر الجن ثوى على الهوى مَن رَكبَ الهوى فلا شك غوي
نعم وفي الجن رجال بررة من علماءَ عاملين خِيَرةَ
وكان فيهم من أولى القبول من فاز بالصحبة للرسول
ذكره في الفتح العسقلاني شرح البخاري من الأعيان
<201>

الايمان بالكتب المنزلة

نؤمن بالكتب كلِ ما نزل[126] برحمة من ذاته عزّ وجلّ

جاءت بإلقاء من الجليلِ للملك الأمين جبرائيلِ

<202>

---

[126] قول الناظم: نؤمن بالكتب الخ. شروع في بيان الركن الرابع من أركان الإيمان وهو بالكتب المنزلة من الله تعالى إلى رُسُله الكرام من آدم إلى الخاتم، ومعنى الإيمان بها: أن تُصَدِّقَ بأن تلك الكتب نزلت من الله تعالى لا من غيره، وألقاه الله تعالى إلى الملك المأمور للوحي بذاته، وإن ذلك الملك أتى به إلى الرسول بدون تغيير وتبديل وزيادة ونقص أي ليس فيها علاقةٌ لما سوى الله تعالى من ملك أو إنس أو جن او غيرهم.
وهي بحسب الرواية الثابتة عددها مائة وأربعة، نزلت عشرة منها على سيدنا آدم، وخمسون على شيت، وثلاثون على إدريس، وعشرة على إبراهيم، وتلك الكتب مشهورة في العرف باسم: الصحف. ونزلت التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على سيدنا المسيح، والقرآن نزل على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، والقرآن: مائة واربع عشرة سورة، وعدد آياتها: ستة آلاف وستمأة وستون آية. وإن امتياز سورة عن أخرى، وعدد آيات كل سورة منها بإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما تقديم السور بعضها على بعض فقد قالوا: إنه أيضا عُلِمَ منه عليه السلام، وقيل: إنه بالاجتهاد من الصحابة عند جمع المصاحف في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.
وكان نزوله في مدة ثلاث وعشرين سنة، مدة حياته صلى الله عليه وسلم رسولاً وأوّله سورة العلق، وآخره آية في أواخر البقرة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/281).

وهو بلا تعبير أو تبديل ... شأنَ السفير المخلص الجليل

جاء بها إلى الرسول الأكرم ... من آدم إلى الرسول الخاتم

محمدٍ أحمدَ ختْم الأنبياء ... والمرسلين عند رب الكبرياء

عددها المأةُ ثم الأربعة ... فيا لها من عزة ومنعة

عشر على آدم، خمسون لشيث ... ثم ثلاثون أتت لإدريس

عشر لإبراهيم والِدا الشرف ... عبر عن جميع ذيك بالصحف

توراة موسي، وزبور داود ... فيه مواعظُ وذكر المعبود

إنجيل عيسي ويقال إنها ... لم تبق في الأرض إليه المنتهى

أما الأناجيل التي من بينهم ... فمن تآليف رجال دينهم

وبعدها قرآننا العظيم ... مفخرةٌ أهدى بها الكريم

مائة سورةٍ ويأتي بعدها ... أربع عشرة سورةً أوردها

ستة آلافٍ وستمأةٍ ... فالستُ والستون آيُ الحكمة

مدى ثلاث مع عشرين سنة ... أعجز كلَّ بالغٍ بالألسنة

يبقى كما جاء مع الأمين ... إلى الأمين مبدأً للدين

والله حافظ له لحرفه ... لعامل به بحسن إلفه

واسمع لفهم سره في ذاته ... مِما أتَوا به على آياته

فمفرداته حروف هيّنه[127] ... على لسان القارئين ليّنه<

<203

---

[127] قول الناظم: فمفرداته: شروع في بيان نبذة مما احتواه القرآن الكريم من أسرار الرقي والعلو في الأدب فيقول:
أما لفظاً فمفرداته حروف سهلة على اللسان بالنسبة إلى ما دار على السنة الناس، والمجموع المركب منها في سرد الكلمات ترتيبه كترتيب قطعات الحلى بالذهب.
ومن باب مقدمات الفصاحة والبلاغة فمفرداته فصيحة، أي خالية من: تنافر الحروف، وغرابة اللفظ استعمالاً واشتقاقاً، وعن مخالفة القياس اللغوي، وكلامه خالصٌ من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات والتعقيد اللفظي بالتقديم والتأخير والفصل بين المرتبطات، ومن التعقيد المعنوي، أي عسر الانتقال من المدلول الأول الى المفهوم المراد منه، وبليغ مطابق لمقتضى أحوال من يخاطب به، من جهة الإتيان بالوعد أو الوعيد، والجملة الخيرية والإنشائية.
ومن جهة الاحتواء على الحِكمَ المتعارفة، والأمثال المستعملة من الأدباء فوصل إلى درجة من دقائق المعاني والنكات اللطيفة زاد على المعتاد من طاقات البشر.
ثم في تنسيق الآيات وترتيبها وذكرها في المواضع المناسبة في درجة يحتار منها المختار من أهل الأدب، وكذلك في ترتيب سُوَرِه بحسب مناسبة عقول الناس والإتيان:
أولاً: بما فيه السهولة أخذاً وفهماً.
ثانيا: بما يحتوي على الأحكام الإسلامية الاعتقادية والعملية والأخلاقية كما يستحسنه أصحاب الطباع السليمة الراقية، وكل ذلك مأخوذ بالتوقيف من حضرة الرسول وهو الذي يقول: ((لا أعلم بنهاية سورة حتى تنزل البسملة الشريفة، فأعلم أن ذلك بداية لسورةٍ غير ما سبق)).

بله الذي فيها من الأسرار   يعرفها المختص من أخيار

<204>

ولكن بعض الناس يقول: إن ترتيب السور أمر إجماعي حصل في زمن عثمان رضي الله عنه حين جمعه له، وتوحيد لهجة القراآت كما سبق، ولكن هذا الرأي ضعيف، إذ لو كان أمراً إجماعياً كذلك يتواتر بين الصحابة، ولم يتحقق ذلك فالحق أنه توقيف عنه.

وإذا نظرنا إلى إعراب مفرداته، وإلى اشتقاق مشتقاته وهو نازل بلغة أفصح العرب أعني قريشاً، ولاحظنا القواعد العلمية المقررة وجدناه ذا أُفق واسع، وذا جمال بارع وصاحب كمال نافع جداً والحمد لله تعالى على ذلك، ومن أنكر شيئاً مما قلنا فالعلم والأصول موجودة، والمناظرة لظهور الحق محمودة.

مركباته من الترتيب … صوغ الحليِّ الصافي بالتذهيب

فصاحة المفرد والكلام … يعلها طائفة الأعلام

كلامه البليغ في المقال … مطابق لمقتضى الأحوال

وعداً وعيداً خبراً إنشاءً … وحِكَماً وَمَثلاً أفاد!

وصل مبلغاً من النكات … زاد على المعتاد من طاقات

يعلم ذاك أهل ذوق عال … رقَي على مدارج الكمال

تنسيق آياته في الترتيب … يحير الأستاذ في التدريب

سوره كالسور في الإحاطة … ترتيبها مستحسن الرباطة

وكل ذا أُخِذَ بالتوقيف … من حضرة الرسول ذي التشريف

وبعضهم يقول ترتيب السور … كان بإجماع جرى على قدر

لفظاً ومعنى كلُّه مستحسنُ … ولا أقول حَسَنٌ بل أحسنُ

مريحة جُمَلُهُ ومُفْرَدُه … مليحةٌ صورته وأبْجَدُهْ

إعرابُه، صرفه، اشتقاقه … رفيعة وسيعة آفاقه

ولا نقول ذاك بادعاءِ … بلا دليل مِثْلَ ذي غوغاء

بل إنه مثبَّت مدلّل … برهانُه مُبَجَّل مجلل

هذا الذي قلنا من المباني … مع نكات عالم المعاني

المنطق[128] وحول استدلاله المتسق

دقق رويداً من براهين أتت للرد أو إثبات ما فيه ثبت

<206>

---

[128] قول الناظم: وإن تكن تحوم حول المنطق: يعني هذه المفاخر التي ذكرناها كانت من حيث الألفاظ والمعاني الأوائل والثواني البلاغية الممتازة، وإذا نظرنا إلى الاستدلالات الواقعة في القرآن الكريم، أو إلى التعاريف المستفادة منه لبعض ذوات أو صفات تراه ينطق بمنطق في درجة راقية من المنطق، سواء كان في الاستدلال على وجود الله تعالي، أو توحيده أو صفاته الكمالية، أو إلى إثبات رسالة الرسل عليهم السلام، أو إثبات المعاد الجسماني بعد المبدأ، أو إلى إثبات أن القرآن كلام الله، وجدته تبهت عنده العقول.

وإذا نظرنا إلى صورة من المناظرة البديعة، وانتقال إبراهيم من دليل إلى آخر لكونه أليق بفهم الناس عجبت من ذلك الموقف الرهيب، وكذلك رد الكتابيين القائلين: بأن الله لم ينزل الكتاب المبين على بشر كقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ (الأنعام/91).

وإذا نظرت الى سبكه في الوصول الى قواعد الأصول الاعتقادية أو العملية علمت المراد من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة/3) أفاد الإكمالَ بتشريع الأصول العامة من النصوص والأحكام الإجماعية أو الاجتهادية، وبذل الجهد في استنباط الأحكام بحيث لا تبقى حاجة لملة الإسلام إلى أية تشريعات خيالية لاستيعاب الإجماع والاجتهاد، علاوة على سعة الدلالات الأربع من نصوص الكتاب لما يحتاج المسلم إليه إلى الأبد.

وإذا نظرت إلى أحكام محكمات آياته، والعام والخاص، والمشتركات المجملة المبينة بقيود موضحة، وجدته في غاية الاتقان، وكذا إذا نظرت إلى النسخ لبعض الأحكام والإتيان ببدلها وجدت النظام في انتظام، ومن أنكر النسخ فهو جاهل لأنه إذا نظر إلى نسخ الشرائع السابقة وتبديل بعض أحكامها بغيرها وجد أن النسخ للأحكام العملية من مصالح العباد.

ومن ادعى أن النسخ هو التخصيص لم يفهم معنى النسخ، لأنه رفْعُ الحكمِ كلِّه بانتهاءِ أمده رعاية للمصلحة.

وأما التخصيص فهو تنقيص العام من حيث الشمول وبيان أن ذلك البعض ليس بمراد من ذلك العام، كإخراج المعذورين من عموم الناس في الجهاد، وبينهما فروق أخرى بُيِّنتْ في لب الأصول، وكل هذه المقاصد أفادها الرسول وبلغها في ما احتيج إليه بعبارة مناسبة لامته بحيث لم يبق فيها غموض، والغاية من الاصطلاحات الإصلاحات.

وانظر إلى استعمال (لو) حسب اللغة ... في موقعٍ عقل الوري ما بلغه

وانظر إلى تعريف ما عرفه ... من مؤمن بين الورى شرَّفه

وإن أردت مسلك المناظرة ... فانظر إلى سبكه كالمحاضرة

وانظر إلى انتقال إبراهيم ... في رد نمرود الغبي اللئيمِ

وإن ترم سبكه في الوصول ... إلى مباحث من الأصول

أحكامه واضحة محكّمه ... طريقها لائحة مسلَّمه

وعامه وخاصه ومجمله ... له بيان للورى يُفصله

ناسخه منسوخه تداري ... طبق المناسبة للأعصار

من أنكر النسخ جهول بالأمم ... إذ نسخه كالنور في رأس العَلَم

والنسخ رفع الحكم بالتمام ... تخصيصنا التنقيص للإحكام

<207>

وكلها أَفاده الرسول	بيانه معتبر موصول
لكن بوجه لاق بالأصحاب	في فهمهم لمحتوى الكتاب
لم يكن إذ ذاك مجال الفهم	بالاصطلاح عند قومٍ أمّي
والاصطلاحات التي قد دُوِّنَتْ	غاياتها من الرسول بُيِّنتْ

تأليف التابعين وتابعيهم لكتب الأصول والاصطلاحات

بعد وفاة حضرة الرسولِ[129]	احتاجتِ الأُمةُ للوصولُ

---

[129] قول الناظم: بعد وفاة حضرة الرسول: بيان لرد شبهة بعض الناس من أن القرآن نفسه كافٍ في الأحكام ومفهوم الخاص والعام بعد تبليغ رسول الإسلام، فإذا كان الأمر كذلك فأي حاجة إلى التأليفات العديدة الأصولية للفقه أو العقائد ؟ ومقصودهم الاكتفاء بما كان بدون حاجة إلى زيادة بيان.
وحاصل الرد هو أن هذه الشبهة نشأت من الجهل بأحوال الأُمم، واختلاط العرب بالعجم، بل وحدوث جيل جاهل بما سبق وتقدم، وحاجته إلى التربية والتعليم.
وخلاصته: أولاً: إن الرسول كان عالماً بمراد ربه من آياته فبيّنه بالتطبيق القولي والعملي لهم، واستغنوا عن كل شيء.
ثانيا: إن الصحابة كانوا أمة أمية لم يدرسوا القراءة والكتابة ولم يمارسوا مدارس التربية، ويمتنع عادة بيان الاصطلاحات وإيضاح المشكلات لهم حسب القواعد.
وثالثا: إنهم كانوا مضطهدين ومشتغلين بالجهاد والإرشاد المستعجل، ولم يكن لهم مجال للحضور في مجالس لفهم دقائق الأمور، ولم يكن لهم حاجة إليه بعد بيان الواجب للعمل والتطبيق.
ورابعاً: إن أمة العرب ولو فهمت بعض الأشياء لموافقة القرآن لِلُغتِهم واستغنوا عن بيان الزائد، ولكن العرب المستعربة والانباط والأعاجم لا سيما الأباعد ما كانوا قابلين لفهم الدين إلا بشق الأنفس، ومعلوم أن دين الإسلام خالد، ونأتي أمة في طور اطوار السابقين فلا شك في حاجتهم إلى تأسيس الأصول والاصطلاحات هذا مما لا ينكره إلا الجاهلون أو المتعسفون.
هذه من ناحية الأحكام العملية القابلة للنسخ والتبديل، والمحتاجة إلى وضع تلك الاصطلاحات.
وأما ناحية الأحكام الاعتقادية فمعلوم للمسلم الفاهم أن القرآن الكريم مشتمل على بيان جميع الاعتقادات الواجبة له، وفي القرآن إلزام الإيمان بالغيب، قال تعالى: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾(البقرة/1-3). ومن جملة الغيب الملائكة والجن والكتاب النازل على الرسول، ثم الموت وأحوال الميت في البرزخ، ثم البعث والحشر والحساب والميزان والجنة والنار.
وفيه بيان أركان الإسلام الخمسة، وذلك كله يحتاج إلى الضبط والإدراج في القواعد الأصولية، فنحتاج إلى تأليف لبيانها وتشريع اصطلاحات، كأن يقال: الله ذات واجب الوجود. والوجوب معناه كذا، والممكن كذا والممتنع كذا، وكل اعتقادي أن الناس الذين لا يريدون تشريح الأحكام التشريعية إما مجانين لا يفهمون، أو دساسون أرسلوا من جانب الأجانب مباشرة بالمطامع الدنية، أو بواسطة أرطالٍ خامسة خبيثة لتشويش الدين على المسلمين، فلا قيمة لكلامهم ولا اعتبار.
وذلك الذي ذكرناه من صفات القرآن الكريم ذكرناه من ناحية الألفاظ والمعاني والدلالات، وأما إذا نظرنا له كدستور خالد لدولة إسلامية صاحبها الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى من يأتي بعده في المستقبل، فمعلوم أنه يجب ذكر ما تحتاج إليه الدولة علماً وعملاً ورياسة وإدارة وجيشاً

إلى افتهامِ الدينِ بالأُصولِ   فبدأوا بالسعي للحصولِ
من عهد صاحبٍ لعهد تابعٍ   أَتَوا بما يلزمُ في المواقعِ
إذ معْ اختلاطـ أُمةِ العجم   معْ عرب والارتباطِ بالأُمم
<209>

واقتصاداً وصناعة، ومن الناحية الاجتماعية إلى نظام العدالة ورعاية الأمانة وأدائها إلى أصحابها وبث الشعور بالمسؤولية أمام الله تعالى، وأمام المجتمع الإنساني الأقارب والأباعد، والقرآن الكريم مشتمل على ذلك كله.
وآية: لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ (البقرة/177). كافية لبيان وجوه البر والإحسان والإنسانية في سورة البقرة.
وآية: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ... الخ (آل عمران/14) يبين أصول المغريات، ويذكر بعدها ما هو خير للمؤمن وكل عاقل، ويجب السعي حوله. والآيات السبع عشرة في أوائل سورة الإسراء بيان للإنسان الكامل. وآيات آخر الفرقان بيان لخصال عباد الرحمن، وسورة العصر فيه خلاصة ما يسعد ويربح به الإنسان في كل عصر وزمان، فنقول للمسلمين: يا قوم اقرؤا سورة الفلق لدفع شر ما خلق من الحاسدين للقرآن وأهله.

ممتنع بدون الاصطلاحِ تفهيمُ الأَجنبيّ بوجه ضاحي

بل ذاك واجب لنفس العربِ إذا أراد الفهم دون تعب

<210>

فتَعِبَ التابِعُ في تنوير ... أمةِ الإسلام على التقرير

فرضِي اللهُ عن المجتهدِ ... في كل ما قَبِلَهُ من كَمَدِ

لولاه في إنشاء الاصطلاحِ ... ما افتهمنا الدين بالإلحاحِ

كيف بدون الاصطلاحِ يجري ... تفهيم الآيات لمن لا يدري؟

هل أنَّ دينَ ملة الإسلامِ ... يكونُ عن بَساطةِ العوامِ

والحالُ أنَّه لمطلقِ الأُمم ... من عربِ أو بَربرٍ أو من عجمْ؟

وإن نظرْت نحو الاعتقاد ... ففيه كلُّ سبُلِ الرشادِ

توحيدُ ذاتِ واجبِ الوجودِ ... خالقِ كلِ عالمٍ موجود

أبدعَها من عدمٍ وذا يهون ... فإنما إيجادُه كُنْ فيكون

وفيه الإيمانُ بكلِّ غيبِ ... جاءَ من اللهِ بِدون رَيب

وفيه الإسلامُ على أركانِه ... وكلُّ مطلوبٍ على مكانه

من الإدارةِ وحكمِ الأُمراء ... والعدلُ في الحكم وما منهم

إعدادُ قوةٍ بمستطاعِ ... لِرَدِّ كلِ ظالم شنّاعِ

وأمرُ الاقتصادِ للحياة ... والعلمُ والتعليمُ للنجاة

والاجتماعياتُ بالكمالِ ... رعايةُ الأَرحام بالوصالِ

والوعظُ بالحِكَمِ والأمثالِ ... واللينُ في الإرشاد بالمقالِ

فيه من المواعظِ اللطيفة ... ما يجلبُ الطبائع الكثيفة

يأْمُرُ بالعدل والإحسانِ ... ينهى عن الظلمِ وعن طغيانِ

يُلِحُّ في الأداءِ للأمانة ... يِزجُرُ عن بغيٍ وعن خيانه

يأْمُرُه بالأَخلاقِ مما حَسُنَتْ ... في كلِّ حالٍ حَسَبَ ماقد أَمكنت

فيه على تفصيله آياتُ ... لكل خير الخلق جامعاتُ

﴿ليس من البر﴾ بدرج البقره ... شجرة تُثمر خير ثمره

﴿زُيِّنَ للناس﴾ بال عمران ... نصيحة تَنْفَعُ أَهلَ إيمان

أوائلُ الإسراءِ آياتٌ اتت ... بها خصال مؤْمنٍ قد ثبتت

آخر فرقانَ من القرآن　　　عباد رحمانٍ بكل آنِ

وسورة العصر لكلِّ عصرِ　　　نصيحة في البدو أو في مصرِ

ماذا نقول في كلامٍ كلُّه　　　إرشاد إنسان لديه عقلُه

أقولُ: يا قوم اقرؤا نص الفلق　　　يدفع عن القرآن شر ما خلق

حواره مع تابعي الكتاب[130]　　　كان على الأَدبِ واحتسابِ

نداء يا أهل الكتاب لطفُ　　　فيه الكرامة وفيه العطفُ

بيانهُ لدينه اللطيف　　　اليومَ أكملت لكم تكليفي

أكملُ مبدأ لتشريعاته　　　ولأُصوله وتفريعاته:

إطاعةُ الله مع الرسولِ　　　في نص دينه على أصولِ

إطاعة الأئمة الكرام　　　للاجتهاد في هدي الأحكامِ

<212>

[130] قول الناظم: حواره مع تابعي الكتاب، بيان لبعض مزايا القرآن العظيم فيقول: حوارُه وكلامه مع أهل الكتاب كان بكل رعاية للأدب، فيناديهم بالنسبة إلى الكتاب الذي يعتمدونه، ويقول: يا أهل الكتاب ويبين مهمات دستور المسلمين بالأمر بطاعة الله تعالى، وإطاعة رسوله الكريم، وأولي الأمر من الأمة، سواء فسرت بالأئمة المجتهدين في الدين أو بأهل الإجماع على الأحكام أو بالأمراء العادلين، ويرشدهم إلى دفع النزاع بينهم بالمراجعة إلى نصوص كتاب الله، فَبِهِ تندفع مخالفة الأمراء في القواعد المعمولة للدين المبين، فالقرآن حق والباقي ضلال، وبالرجوع إلى وضوح دلالة القرآن على المقصود فيما اختلفوا فيه من الآراء، فالأقرب إلى النص أَحق بل هو الحق اللائق بالقبول، وقرر الإجماع وهدد من يتَّبع غير سبيل المؤمنين بأنَّه سيصلي جهنم، والمراد بسبيل المؤمنين: الإجماع، لأنه لو كان المراد: الإيمان، ما أضاف السبيل إلى جميع المؤمنين، لأَنَّ إيمان زيد وعمرو وبكر ايمان واحد. وليس المراد بالمؤمنين الجهلة الفسقة الخونة الجبناء، بل أراد بهم العلماء العادلين الأُمناء الشجعان، وهم أئمة الإجماع، كذا قرر الاجتهاد وأمر بالتفقه في الدين. وقرر الاستنباط وقرر الرجوع إلى أهل الذكر، وقرر أن فوق كل ذي علم عليهم.
وبهذه الأمور الأربعة يكمل الدين، ويبقى إلى آخر الزمان. وفي القرآن الأمر بإيتاء كل ذي حق حقه، وفيه الأمر بالخيرات كيف تيسرت.
علاوة على كل ذلك في القرآن الكريم إخبار بالمغيبات الماضية والمغيبات الآتية من المهمات. وفيه إشارات للعلوم العلوية والسفلية من حركات الكواكب ودورانها وموازينها، وبأوضاع الهواء بين السماء والأرض، وبأحوال النباتات والمعادن وغير ذلك، فالقرآن شجرة مثمرة لخيرات الدنيا والآخرة.
نسأل الله تعالى أن يفتح قلوبنا، ويشرح صدورنا بعلمه، وبالعمل به، مع الإخلاص لذاته في جميع أعمالنا إلى يوم الدين.

أو عند إجماعهم الشريفِ   على نظام دينِهِ اللطيفِ

او الملوكِ العادلين الرشداء   في كل أمر طارئ منهم بدا

تَفَقُّهٌ في الدين مأمورٌ بِهِ   وأهل الأجتهاد منصور بهِ

بِذاك دينُنا يكونُ خالدا   وجارياً في حكمه لا جامدا

وفيه إسعاف أولي الحاجات   بالجاه والمال من الزكاة

وفيه أمر الناس بالخيرات   ﴿وما تقدموا﴾ له ثواب آتي

قرآننا شجرة مثمرةُ   فيه ثمارٌ للورى وافرةُ

وفيه إخبارٌ من المغيب   من البعيد أو من القريب

فيه إشارات لعلم الكونِ   بالعلم والحسِّ وعينِ العونِ

ومِنْه آياتٌ محكماتُ   واضحةٌ ومتشابهاتُ

<213>

آياتُه حقائِقُ المعارف[131] هباته دقائق اللّطائِفِ

مصباح نورٍ بهدي الآيات على الصدور السود بالظّلماتِ

---

[131] قول الناظم: آيا ته حقائق إلخ. إشارة إلى بيان بعض أمور معنوية تظهر للقارئ المخلص في إيمانه وقراءته وتنكشف بها عنده معلومات متنوعة، وهذا أمر وجداني لا يستدل بها إلا لمن وجدها في وجدانه وأحد الصالحين عندنا اسمه عمر ضياء الدين قرأ أواخر الحشر علي مصلّى من الحجر فانشق عند قراءة: ((لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)) (الحشر/21). وآياته شفاء لأسقام القلوب بداء الكفر والضلال، فالإيمان به دواء له وشفاء للأمراض، وهذا قد صار إلى درجة اليقين من قراءة آياته على المرضى وشفائهم بها. وقد حصل الشفاء من كتابتها على الورق وحمل المريض لها. وهذا صار إجماعاً عملياً أو حكماً أكثرياً. والمنع الوارد على قبول الرقية محمول على الرقية الجاهلية التي فيها الكفر والإشراك، وقد قال صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة: ((أعرضوا علي رقاكم)) (رواه مسلم وأبو داود عن عوف بن مالك). فلما عرضوا عليه ولم يكن فيها شيء محذور قررها ورضي بها.
ويقول: ولها أي لتلاوته تغذٍّ للقلوب الجائعة المشتاقة، ولا تشبع منها لأَنها غذاء، والقلب يقبل الكثير منه، بخلاف الغذاء المادي. وسماعه يشبه مس الدواء للأعضاء الجريحة أو للعيون الرمداء، وذلك كله وجداني، فمن وجدها من نفسه فليشكر الله عليه.
وعند تلاوته يحصل للقارئ المخلص الفاهم نوران، نور من فهم المعنى، وهذا يستقر في القلب كمفهوم من المفاهيم، ونور غيبي رباني يرد على الروح الإنساني من حيث إنه صفة الباري تعالي، فأوراق الأزهار تنشر عطورها إلى الدماغ، والدماغ هنا هو الروح.
وإسناد القراء يتصل بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإسناد الرسول بواسطة ملك الوحي جبريل، يتصل بحضرة الحق سبحانه. ودليل صحته: أن نفس القرآن معجزة يثبت بها صدق الرسول في دعوى الرسالة، وسائر المعجزات الأخرى التي تدل على أن سيدنا محمداً بن عبدالله ابن عبدالمطلب رسول من الله تعالى بعثه رحمة للعالمين إلى الجن والإنس كافة عامة رسالة خالدة إلى يوم الدين. وفي تكرار التلاوة لذة للقلوب تتجدد بتكرر التلاوة، ومنبّهات للضمير الغافل، وموجهات إلى الله تعالي بشرط رعاية التجويد وحضور القلب.

جاء شفاءً بهدى الرحمن   من مرض الكفر ومن طغيان
يدرك نوره بدون ريب   من كان مخلصاً لرب الغيب
بل جاء بالشفاء للأَوباء   لمن أَطاع الله ذا الآلاء
لا تشبع القلوب من سماعها   ولا الصدور من صفا إمتاعها
أسرارها لأهل علم ظاهرة   أنوارها لأهل حلم باهرة
لاسيما إذا تلاها قاري   يخشع قلبه لذات الباري
عند التلاوة له نوران   نور إلى القلب من العرفان
نور إلى الروح بأمر الله   مبدؤه مرتبط بالله
إسناده لذات سيد البشر   متصل بدون ريب وكدر
ومنه للملك ذي التمكين   جبريل، ثم رب العالمينِ
وضبطُ ألفاظه بالتجويد   واجب كل مؤمن رشيد
كذاك من مؤمنةٍ رشيدة   طيبة طاهرة سعيدة
تكرارُها اللذة للقلوب   نورٌ لها وكاشف الكروب
وكلما كررتها وجدْتَها   كأنها من قبلُ ما سمعتها
منبّهات للضمير اللاهي   موجهاتُ الروح نحو الله

ترتيلُها فيه صفا جميلُ　　　وحدرُها تدويرها جليلُ

مدلولها لصاحب الدراية[132]　　　قوت وقوة بها الكفاية

لكنّه يحتاج للبصيرة　　　حتى تكون عينا قريرة

إيجازه خال عن الإخلال　　　إطنابه عال عن الإملال

البشر[133]　　　وما سمعنا الجن يأتي بشذر< 216 <

لسان حاله للانتباهِ　　　يقول: إنني كلام الله

---

[132] قول الناظم: مدلولها إلخ. يعني أن مدلول الآيات الكريمة قوت من أقوات الروح فإن حياة الأرواح بالإيمان والقرآن والأذكار، لا سيما في الصباح والرواح، وهذا الأمر يحتاج إلى بصيرة القلوب.
وإيجاز موافق لقواعد مقررة في علم البلاغة فليس مُخلاً بفهم المقاصد. وإطنابه أيضا ليس مُملاًّ لأنه على قواعده التي جاءت على رعاية الطباع السليمة.

[133] قول الناظم: أسلوبه من غير أسلوب البشر، إشارة إلى وجه وجيه من بيان إعجاز القرآن، وحاصل ما ذكرنا من وجوه الإعجاز لحد الآن أمور:
الأول: الفصاحة الثابتة في المفرد والكلام منه.
الثاني: بلاغته ومطابقته لمقتضى الأحوال بدرجة خارجة عن طوق الجن والإنس.
الثالث: إخباره عن الأمور الغيبية السابقة واللاحقة.
الرابع: بيانه لكثير من العلوم الكونية التي يعجز عن الوصول إليها إلا أفراد قلائل تصل إلى فهم بعض منها.
الخامس: أن قراءته تورث الانشراح والنور في الصدور وهذا كما قلت وجداني.
السادس: أن أسلوبه مخالف لأسلوب كلام البشر من الأدباء والخطباء والكتاب، وكل ذلك إذا ظهر على لسان شخص أمّي لم يقرأ ولم يدرس ولم يذهب إلى المدارس في الدنيا دليل على أنه ليس كلامه، وأنه كلام الله تعالى، وقرآن مجيد في لوح محفوظ.
وقد تحدّي الباري جميع الجن والانس بالإتيان بمثله كاملاً أو بعشر سور منه، أو بسورة واحدة، ولم يأتوا بها فإن كانت لكونها معجزة فذاك. وإلا فقد أعجز الله تعالى الناس عنه حتى يتبين أنه كلام العلي القدير.
ثم إن القرآن الكريم منه آيات محكمات واضحات هن أم الكتاب، ومنه متشابهات، كآيات الصفات الدالة على وجود النفس والعين والوجه واليد والجنب والاستواء، وهذه آمن بها السلف وفوضوا العلم بها إليه تعالى، وأوَّلها الخَلَفُ بتأويلات مناسبة. وكآيات فواتح السور. نحو ﴿الم﴾ (البقرة / 1) و﴿ كهيعص﴾ (مريم /1). وكآيات فيها الفاظ مجملة من المشتركات اللفظية كالعين والقرء و﴿أو لامَسْتُمُ النِّساءَ﴾ (النساء/43). وقد ثبت وقف بعض القراء على كلمة الجلالة في آية: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ (آل عمران /7). وبعض آخر على ﴿العِلْمِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾. فمن وقف على الأول يقول: إنه لا يعرف حقيقة معناها إلا الله، ونفوض علمها إليه، ومن وقف على الثاني قال: إنها جاءت على أساس قابل للتأويل، فيحمل الوجه على الذات، والعين على العلم، واليد علي القدرة، والجنب على الملجأ.
وعلى الوقف على الأول السلف، لأنه أسلم من الكلام فيما لم نكلف بعلمه، وعلى الوقف على الثاني الخَلَفُ، لبعد نزول كلام الباري تعالى بحيث لا يعرف معناه غيره، فتؤول بتأويلات نزيهة لائقة بذاته تعالي.
وقد ظهر في الأيام قوم لا قائمة لهم في ديوان الاعتبار يدعون أنهم على منهج السلف مع أنهم يفسرون آيات بمعان لا يليق به تعالي فيقولون إن قوله: ﴿وَجاءَ رَبُّكَ﴾ (الفجر / 22) معناه أن الله هو ذاته جاء ولكن كيفية

لذا تحدي ربُّنا به الوري جنّا يكون أو يكون بشرا

<217>

المجيء غير معلومة، وإن الرحمن استقر على العرش، وكيفية استقراره مجهولة. والناظم ردَّ على أولئك الناس قولهم، وحاصل رده: أنه إن كنتم مؤولين فأوِّلوها بتأويلات نزيهة لا توجب الجسمية والأعضاء له تعالى لأنه واجب الوجود، وبريء عن هذه الأحوال. وإن كنتم مفوضين فيجب عليكم تفويض معني جاءَ و اسْتَوى إليه تعالى، ولا تفسروا: جاء بالإنيان، ولا اسْتَوي باستقر، بل قولوا: نؤمن بأن هذه الآيات حقة صادقة ولكن لا ندري تأويلها، وهو مفوض إليه تعالي.
ونسبة رأيهم إلى مذهب الإمام مالك في قوله: (الاستواء معلوم والكيفية مجهولة) مردود بأن مالك لم يرد ذلك المعنى أبداً، بل أراد أن إسناد استوي إليه معلوم وكيفية الاستواء ومعناه مجهول وإلا فلو فسر استوي باستقر، وجاء بقولنا: أني، لا يبقي شيء نحوِّلُهُ إلى الله تعالى، ولزم التجسيم والفساد في هذا التقرير. وما نسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري من أنه قال بالعين والوجه واليد، فقال بها بلا كيف، والمقصود هو الذي بيّنته من أن الباري منزَه عن المماثلة للممكن، وكيف يكون الواجب موصوفاً بصفات الممكن أو مركباً من أعضاء من الوجه واليد كالممكنات وتلك الأشياء منسوبة إليه بلا كيف يعني هم لا يعطلون الإسناد ويقولون به، ولكن لا على وجه يستلزم النقص، لأن كل مركب محتاج إلى الأجزاء فما الذي يدعو إلى القول بأنه جسم حتى نقول به وبالتزام لوازمه؟
وهذا على مذهب السلف المفوضين، وأنا على مذهب الخَلَف المؤولين فيفسرون الوجه بالذات والعين بالعلم واليد بالقدرة، واليدين بالقدرة على المنع والإعطاء.
فقل أيها المؤمن المفوض إلى الله: لا يعلم تأويل تلك الآيات إلا الله وأجر هذا التفويض في جميعها، وإذا أوّلت فقل: ذاته تعالى عليهم بكل شيء وله قدرتا المنع والإعطاء، وهو الملجأ لكل راجع، وإلا يشكل عليكم آيات كثيرة مثل: وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ (الحديد /4) وقوله: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (الواقعة /85) فإن في كل ساعة وفيات لا يعلمها إلا الله، فكيف يكون مع كن متوفي واقرب من الناس إليه ؟ أو معني قوله وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (ق/16). نسئله تعالى الإيمان بكتبه المنزلة والعمل بظواهر المحكمات مالم يمنع مانع، وبتفويض المتشابهات إليه تعالى أو إذا مِلْنا إلى التأويل يوفقنا على تأويل يكون عليه التعويل، هذا والله المعين.

بمثله كُلاًّ بِعَشْرِ سورة ... بسورةٍ واحده مقصوره

إن لم يكن في شأنهم فمعجزة ... وإن يكن فالله قهراً أعجزَه

فانظر بعين العقل يا من يُنصف ... هل من كلامٍ هكذا يتصف

يا ربنا اهدنا لكشف نوره ... عند التلاوة على حضوره

فهذه الآيات محكماتها ... واضحة في الفهم بيّنّاتها

فيحمل النصوص في البيان ... كسنة النبي على العيان

<218>

يَعْني ظواهرُ المعاني قد بَدَتْ … إلا إذا هناكَ مانعٌ ثَبَتْ

هذاك حال المحكمات منها … خذها ولا تَجاوزَنَّ عنها

<219>

والمتشابهات نحملها على ... ما قد أراد الله عز وعلا

لا ظاهر المعنى الجليِّ إنه ... يوهم معنى لا يكافِي شأنه

اقرأ: ﴿وجاء ربكَ والملكُ﴾ ... آمن به واسلك على ما سلكوا

ولا تفسر لفظ ﴿جاء﴾ يأتي ... كما على نهج اللسان ثبتا

لأن ذا مستلزم التجسيم ... وفيه غيبُ ذاتِهِ العظيم

إذ واجب الوجود ليس جسما ... ولا بشيءٍ ذي حدود اسما

وقل: ولو ﴿جاء﴾ على معنى: أتِ ... في لغة القرآن حقّاً ثبتا

لكنْ هنا كيفية التفسير ... مجهولةٌ إلا لدى الخبير

لأنه لو كان ذا معناه ... عَلِمَهُ الله ومن سواه

ولم يكن يحصره الإله ... في ذاته بنص ﴿إلا الله﴾

معناه: إن الناس فيه تاهوا ... لا يعلم التأويل إلا الله

من الذي لم يدرِ ﴿جاء﴾ أي أتي ... و﴿استوى﴾ كاستقر ثبتا

ورأى مالكٍ هنا مفهوم ... فقوله: الاستواءُ معلوم

أي أنه المعلوم حسب اللغةِ ... لا في سياق سرد هذي الآية

وليس قصده: استوى أي استقر ... حتى يصير العرشُ لله مقر

في قوله: الكيفية مجهولة ... كيفية تفسيره مشمولة

حاشا أئمةَ الهدى عن الهوى ... وسوءِ تفسير للفظ استوي

تكلفةٌ دائرة مشهورة ... نسبتها للأشعري مسطورة

أعني بلا كيف من الإبانه ... معناه ما قلنا بلا إدانه

ولم يُرِد: جسمُ بلا كيف وكم ... لأنه عيب ونقص ونقم

لأنه مركب محتاج ... لكل جزء به الامتزاج

فما الذي أحوجَ للتجسيم ... حتى نذوقَ لهبة الجحيم؟

فقل كما قرره الإله: ... لا يعلم التأويل إلا الله

وخذ كلامي يا أخا البراعة   في مذهب السنة والجماعة

في كل آيات الصفات هكذا   وفوِّض المعنى إليه مثل ذا

فالله ربي واجبُ الوجود   لا ممكن خاصٌ على حدود

فرحم الله الشريف المولوي   إذ قال في منظومه الفرد القوي:

(وكل خاطرٍ جبري ببالكا   فربنا على خلاف ذلكا)

لا تجعلوه لعبة اللسان   ولا كعرضةٍ لِلا إنسان

فذاته واجبة الوجود   منفرد بعزة التوحيد

صفاته كل كمالٍ لائقِ   بذاته الخالق للحقائق

منزه عن كل عيب جاري   سبحانه من كل نقص عاري

الايمان بالقضاء والقدر

نؤمن قلباً بالقضاء والقدر[134]   كل صغير وكبير مستطر

نؤمن بالقضاء أي إرادتِهْ   بما جرى بقدرتِهْ وحكمتهْ

نؤمن بالقدر أي أن الورى   بخلق ربي، وبتحديدٍ جري

خيراً وشرّاً عاجلاً وآجلا   من أي وجهٍ كان ذاك حاصلا

والكسبُ منا باختيارِ العامل   في كلِّ فعلٍ باختيارٍ حاصل

<221>

---

[134] قول الناظم: نؤمن قلباً بالقضاء والقدر. أي نؤمن بأن الله عالم أزلاً وأبداً بجميع الأشياء مفهوماً ومصداقاً، وبأن كل مخلوقٍ مخلوق بقدر منه تعالى أي بتأثيره وإبداعه من كتم العدم إلى كشف الوجود عيناً أو عرضاً.
وإذا كان في الوجود عمل لنا يُسند كسباً إلينا كالقيام والقعود والركوع والسجود فالخلق منه تعالى، والكسب منا كما ذكرناه سابقاً.

والكل معلومٌ له من أزلِ[135] لأبدٍ، بدون أي خللِ

عَلِمَ أن عبده يعمل ما دعاه باعثٌ إليه وانْتمي

وحسبما علمه أرادهُ وكلُّ ما أراده أفاده

في وقتِهِ بقدرة للذات بهذه السنُةِ يأتي الآتي

قدرتُه تابعةُ الإرادة وهي لعلمِ الذات حسب العادة

والعلم من حضرته في الأزل لصورة العمل في المستقبل

حاكٍ وتابعٌ له بلا اشتباهِ لا فاعلٌ فكن على انتباهِ

فربنا يعلم بالأَفعال في الماضي والحال والاستقبال

وبعده فالعبد باختياره يسلك درب نورِه أو ناره

يعلم كلَّ من له مَعامِلُ عالمُ شيءٍ كاشف لا عاملُ

وكل إنسان بأي عمل يعلمه خالقه في الأزل

وعندما في بطن أمٍّ يلتقي[136] يعلم أنه سعيداً أو شقي

<222>

---

[135] قول الناظم: والكل معلوم له من أزل: بيان لواقع علم الله تعالي أزلاً وأبدا وأنه يعلم جميع ما يحدث من عباده حسب اختيارهم. وحسب ما علمه أراده وحسب إرادته توجهت قدرته في الوقت المستقبل إلى خلق ذلك من بعد أن حصلت في العبد قدرة تابعة لإرادته التابعة للعلم. فعلم الله تعالي كالمرآة التي تظهر فيها صور من قابلته، وليست المرآة خالقة للصورة ولا جبَّاراً للشخص المقابل، فعلم الله تعالى حاكٍ ومظهر في الأزل لكل منا يحدث منا في المستقبل لا مجبر العبد على العمل وهذا واضح.

[136] قوله: وعندما في بطن أم يلتقى: معناه أن الله في الأزل عالم بما يظهر في الوجود، ولما انتقلت النطفة من الوالد إلى رحم الأم، وخلق منها الجنين، فهذا الجنين هو الذي علم الله في الأزل أنه يولد من أم وأب في وقت كذا، وأنه يتربى بتربية عالية، ويبلغ درجة الرجال المسلمين العالمين العارفين المصلحين النافعين، فعلم بسعادته في بطن أمه، وكذا لو كان الولد على غير جانب الخير.

كيف يكون خالق بجاهلِ   ذلك ظنُ ساذجٍ وسافلِ

علم أنه السعيد في الأزل[137]   أو انه الشقيّ من سوء العمل

النبي[138]   كتاب علم الخالقِ المقْرَّب

وذاك علمه كما بيَّنا   لا قهرَ قاهرٍ على الـمُعّنى

إذ ليس ذا عدلُ الإلهِ العادل   فلا تكن في عدله بغافلِ

إذ ليس مفهوم القضاء والقدر   إجبار ربٍ عادل على البشر

ربك رب عالم علاّم   ودينُه المكرم الإسلام

رسوله الرؤوف والرحيم   آخر توبةٍ لها زعيم

يمتنع الظلمُ من الرؤوف   بل دأبه الإحسان بالمعروف

فلا تكن مشاغباً بالجَدلِ   مستنداً لعلمه في الأزلِ

إذ علمه يكشف أنك الذي   تفعل فعل الخير أو فعلاً بذي

<223>

---

[137] قوله: علم أنه السعيد. بيان لما قلناه، وليس معناه أن الله تعالى يجبره في بطن أمه على السعادة أو الشقاوة.

[138] قوله: يسبقه الكتاب. أنه بينما هو في عمل سيء يأتي وقت توبته وتفكرِه الذي علمه الله سابقاً فيرجع إلى الخير، وسْبق الكتاب وعلمه تعالي بتطور حاله يغلب على ما هو فيه ويؤول إلى السعادة كما علمها الله تعالى. وكذلك معنى المقابل أنه بينما يشتغل بالخيرات تدعوه الشهوات والمغريات إلى الأعمال الفاسدة كما قد علم الله تعالي به في الأزل فيسبق ويغلب ذلك على حالته المناسبة ويرجع غير صالح باختياره. والله تعالى لا يظلم أحداً مثقال ذرة لعدالته، وإن تحصل لنا حسنة يضاعفها لنا بفضله إلى سبعمائة ضعف وزيادة، ولله الحمد والمنة.

وكلُ ما يحدث في الوجود[139] لسبب معتبر مشهود

وكل ما أراد من مسبّبِ أراده معْ سبب مرتّبِ

<224>

---

[139] قول الناظم: وكل ما يحدث في الوجود. بيان لأن سنة الله تعالي جرت في العالم بأن يرتب الأمور على أسبابها، فالنبات من البذر والإحراق من النار والنور من الشمس والشفاء من الدواء أو من الدعاء أو من الصدقات فالأسباب المادية يعترف بها كل عاقل مسلم أو كافر، وأما الأسباب المعنوية كالدعاء للشفاء، والصدقات لرد البلاء لا يعترف بها إلا مسلم منصف له إطلاع على الكتاب والسنة النبوية، وكما أن تلك الأسباب المعروفة أسباب وهي معلومة عند أصحابها كذلك يعترف كل مؤمن بالله الواحد العليم القدير بأن تعلق إرادة الباري بذلك الشيء المرتب على الأسباب هو السبب الأساسي لأنه صفة فعلية للواجب الفاعل المختار وأن ذاته هو الفاعل وهو الخالق وحده.
وكما أن لكل شيء سبباً كذلك للأسباب شروط، وعلى ذلك الشيء موانع، فكما أن وجود السبب معتبر لوجود المسبب كذلك تحققهُ الشروطِ وانتفاءُ الموانع، وذلك جلي عند كل عاقل فاهم مؤمن أو غير مؤمن كما تقرر في محله.
وإذا أراد الله أشياء تحدثُ أراد مع ذلك وجود أسبابها، وإذا لم تتعلق إرادته بوجودها لم تتعلق بوجود أسبابها، والتمييز بين هذا وذاك محول إلى الله ونحن لا ندري به، ولكن بما أنا نعلم أن الشيء المقصود له سبب وبلَّغَنا المبلغ المعصوم ذلك فكلما جاءنا أمر مهم نحاول لمباشرة اسبابه بظن انه يحصل بذلك السبب فاذا ترتب المقصود على السبب الذي باشرناه علمنا أنه تعالى أراد وجوده وأراد مع وجوده وجود سببه، وإذا باشرنا الأسباب ولم يترتب عليها المقصود علمنا أن الله تعالى لم تتعلق إرادته بذلك ولا بسببه، فمعني وجود المقصود بالسبب أن الله أرادهما معاً. ومعني عدم تحقق المقصود أنه لم تتعلق إرادته تعالي بوجوده ولا بوجود سببه، وإن ذلك السبب المزعوم ليس سبباً له عند الله تعالى، فظهر أن معنى رد البلاء بالصدقات أو الدعاء: تعلق الارادة بهما معا، لا أن البلاء وارد محتوم والدعاء يرده او الصدقات تردها ذلك عقيدة الجاهل الغافل بالدقائق فافهم هذا فهمك الله تعالي.

لكن الأسباب كثيرة فقد   يوجد بعضها وباقيها نفد

أهم الأسباب على الآثار   تعلق الإرادةِ للباري

والصدقاتُ والدعاءُ والدوا   وأبرة الطبيب أسبابٌ سوا

كلٌّ لنا أسباب خير وشفا   وقد نري من بعدها أذى الجفا

فإن جرى الدعاء والدواء   ولا يرُى من بعدها الشفاء

فاعلم بأن ههنا موانع   أو نقص أسبابٍ بذاك واقع

فليست الأسباب كلها لدى   عبد ضعيف منتهي ومبتدأ

قال خذوا حذركم بقوه   وباشروا الأسباب بالفتوة

لعل ذاك سبب يرتب   عليه مقصودكم المسبب

فإن أسباب الأمور أكثر   من أن تكون في عداد تحصر

وهكذا الشروط والموانع   وكل أمرنا إليه راجع

لا نكفر أحدة من أهل القبلة

ولا نكفر من أَهل القبلة[140] من لم يجيء بدين غير الملة

ولم يخالف مورد الإجماعِ بلا خلاف وبلا نزاع

<226>

---

[140] قوله: ولا نكفر أحداً، لا يخفى أن دين الإسلام مبني على الكتاب والسنة وكلاهما مملوءٌ بالمسامحة والتخفيف، يقول الباري تعالي: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة/185) والرسول صلى الله عليه وسلم كان يكتفي في إسلام الإنسان بنطقه بالشهادتين، وقال: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ النّاسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام)) (متفق عليه، ورواه الأربعة)، وذكر أيضا: ((أَنَّ من لازم مساجدنا وصلي صلاتنا شهدنا له بالإيمان)) وعلى هذا الأساس فنحن معاشر أهل السنة لا نكفر أحداً من أهل القبلة حتى يظهر منه ما يعارض قواعد الإسلام، كإنكار أحد أركان الإيمان والاسلام، وإنكار ما أُجْمع عليه قبل ظهور أهل الأهواء، ولما أمر الإسلام بالسلوك على طريق الكتاب والسنة فإذا وجدناً شخصا أنكر الكتاب الكريم أو السنة النبوية الثابتة أو أحد الرسل الكرام كفَّرناه.

نعم الأمر والشعار الذي يستلزم رفض آيات أو آية من الكتاب أو إظهار ما يخالف الإسلام كتحقير المصحف، أو لبس بعض علامات الكفرة، أو تحقير المساجد سببٌ لجواز تكفير صاحبه، وبذلك وصي السلف ونحن نمشي عليه.

وعلى الأساس السابق نصلي الصلوات المفروضة خلف كل إمام بَرأي: محسن عادل أو فاجر فاسق، وإذا مات صلينا على جنازته وشيعناها إلى المقابر.

كذا نصلي خلف كل بَرّ	وفاجر مباشرٍ للشر
نشيِّع الموتى إلى المقابر	بكل قلبٍ خاشعٍ وصابر
يُسَنُّ أن نلقن الموتى لنا[141]	على حديث واصلٍ، لَوْ لَيِّنا
لعمل السلف ذي الأمجاد	بضعفه الموجود في الإسناد
أو ميت لم يُلْقَ في المحفور	نؤمن بالسؤال للمقبور[142]

<127>

---

[141] قوله: يسن أن نلقن الموتى، وهذا الأمر عمل به الشافعية مستدلين بقوله صلى الله عليه وسلم بعد دفن ميت من الصحابة رضي الله عنه: ((سلوا الله التثبيت لأخيكم فإنه الآن يسأل)) وبحديث: ((لقِّنوا مَوتاكُمْ)) وبحديث آخر في التلقين وإن كان ضعيف الإسناد.

[142] قول الناظم: نؤمن بالسؤال إلخ. ودليله الحديث السابق قال الجلال السيوطي في تبصرته:
ولآية السؤال فيها كائن ^^^ يثبت الله الذين آمنوا
وكذلك تؤمن بالراحة والنعيم للميت في قبره وبالتعذيب له حسب أعماله، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)) (رواه الترمذي). وفي القرآن الكريم: أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا (نوح/25).
والفاء للتعقيب ولبعض آثار أخرى في الموضوع تدل على عود علاقة الروح للميت، ولو لم يبق جسده لحرقه، أو أكل السباع له، بناءً على أنه يحدث له بقدرة الله تعالي جسد برزخي، وحاله في التنعيم والتعذيب كشخص نائم عندنا يرى في منامه ما يبكيه ونسمع بكاءه، أو ما يضحكه ونسمع ضحكه، وإن لم نجد منه حركة وتقلباً في البدن. ويظهر للإنسان تحقق الجسد البرزخي المتوسط الدائر بين الكثافة واللطافة ظهور جبريل عند الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة دحية مراراً، وتمثله بشراً سوياً عند السيدة مريم العذراء، وكتمثل ألولي الكامل بمثاله في أماكن عديدة بعيدة عن محله بصورته المثالية.
إيماننا بوجود الجن الثابت بالنص، وظهورهم في أشكالهم الهوائية. وكذلك إيماننا بوجود الملائكة، وبأداء واجبهم الذي أمُروا به، مثل كرام الكاتبين مع كل مكلف، يسهل طريقه الإيمان بوجود الجسد اللطيف البرزخي بعد الموت سهل الله لنا بقاءنا في عالم البرزخ ثم طريق البعث والنشور آمين.
والحق أنَّه بعد ورود الأدلة في الموضوع لا وجه لمن أنكر، ومنها قوله تعالى: أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا (نوح / 25) الوارد في حكاية أحوال قوم سيدنا نوح، ومنها قوله تعالى: النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (غافر 41). ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((تَنَزَّهوا من البول فإن عامة عذاب القبر من البول)) وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم مرَّ بقبرين فقال: ((إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير بلى إنه كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول)) (رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه).
وأمر حتى أتوا بسعفين فغرسهما على القبرين لأمرٍ غيبي اطلع عليه الرسول صلى الله عليه وسلم مثل أن يكون للسعفين الأخضرين تسبيح يفيد صاحبي القبرين.
وورد أيضاً أن قوله تعالى: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ (ابراهيم / 27). انزل في سؤال القبر، وقد سبق بيان ذلك.
ومن أمور الآخرة: سؤال الباري تعالي من الناس كبارهم وصغارهم من أهل التكليف، يقول الباري تعالى: يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ

دليلنا قول النبي ذي القدر	مع الذين قُتلوا في بدر
جوابه لعمرَ الخطاب	يهدي شعورَنا إلى الصواب

<228>

قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة / 109) وقولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إما من اندهاشهم بالهيبة والرهبة، وإما مقصودهم أنه لا علم شاملاً لنا مثل ما أنت تعلمه فعلمك يا رب كافٍ، ويقول الباري: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر / 92) وهذه نصوص واضحة.

نؤمن بالراحة والعذاب ... للميت في قبره الجذاب

كذا الحريق وغريقّ اليم ... أو أُكْلَةُ السباع دون همّ

تعود روحه إليه بعدما ... مات بحكم رب الأرضِ والسما

وذاك عرض برزخيٌّ مثل ما ... أفاده الرسولُ مولى الكرما

قال ((سلوا التثبيت لأخيكم ... يسأل الآن))، وذا يكفيكم

واعلم فَعِلْمُ المرءِ تاجٌ للشرف ... أن ليس في الإسلام وهم وخرف

إذ عالم البرزخ كالمنام ... قد يبتلى النائمُ بالآلام

ولا نرى منه تقلباً ولا ... صوتٌ ولا بكاءٌ منه حصلا

وقد يُرى ذلك في الآحاد ... يبكي على الفراش أو ينادي

فالميت المقبور قد يعذب ... ولا يُري منه به تقلُّب

وعالم البرزخ قد يمثَّلُ ... بسيدي جبريل حين ينزِلُ

بصورة دحية حَبّذا الفتى   عند الرسول قائماً وثابتا
وقد رآه مع صورة الملك   كما هو الواقع في جو الفلك
وللولي الكامل المكمل   صورتُه عند المريد يحصل
وصل هذا رتبةَ التواتر   أو رتبةَ الآحاد ذي المفاخر
دليلنا المنصوصُ مما يُقبل   في ديننا من ﴿أغْرِقُوا فَأدْخِلَوا﴾
والقبر إما روضة يُنادي   أَو حَفْرة لصاحب الفساد
هذا الذي قرره الرسول   مَن مِن هداه يحصل الوصول
إيمانا بالجن والملائكِ   إيماننا بالبرزخِ الممالك
الجن موجود بنص الآية   ولا ترى صورته لغاية
كذلك الملك موجود وهم   أُولو مقامات تَقررت لهم
ولا نرى منهم شريفاً أبداً   إلا إذا في صورة الإنس بدا
إن العذاب البرزخيَّ الآتي   ليس على الأبدان في الحياة
إذ ميّتٌ ممزَّقُ الأوصال   أو أُكلة السباع في الجبال
الم يبق منه جسد مرتبُ   حتى يثاب فيه أو يعذب
بل برزخيٌّ بَدَنٌ مثالي   مهيأ بأمر ذي الجلال
مثال جبريل الوحي الحضرة   يأتي إليه في مثال دحيةِ
ومثل خصمين وقد تسوَّرا   محراب داود وكان ذاكرا
فحال أهل برزخ في الدنيا   تشبه ما نراه ح ال الرؤيا
غائصَ بحرٍ وهو في البراري   يدور للجوهر في الدراري
أو ساكن في روضة الأزهار   يرى الدخول في تنور النار
والله قادر على الإيجاد   وكل تصريف على العباد

إن كنت لا تخاف من مَلالي   فراجع الإحياء للغزالي

إني كسرت مُغزلي في الباب   الأحباب[143]

الإيمان باليوم الآخر

نؤمن باليوم الأخير الخالد[144]   دار الخلود لجزاء آبِدِ<231>

بعد فناء هذه الدنيا التي   لذاتها مملوءة بالمحنة

<232>

---

[143] هذا الموضوع مهم جدا، ويراه الناس صعباً وهو أسهل من كل سهل، فإنه قد ثبت بما لا يقبل الشك وجود التعاون بين صلحاء العباد بعضهم مع بعض مع بعد المسافة بينهما، ومن آمن بإرسال الملك إلى الرسول في طرفة العين مع بعد البين، وآمن بنزول مأمورِ عزرائيل إلى المحتضر يؤمن بنزول ملائكة السؤال إلى المقبور أو المطروح أو المأكول كيف كانوا، والله المستعان.

[144] الإيمان باليوم الآخر
قول الناظم: نؤمن باليوم الآخر، هذا هو الركن السادس من الأركان الستة للإيمان، وإن الكتاب الكريم جاء لتركيز الإيمان بالله الواحد الواجب الكامل وبالرسالة السماوية وباليوم الآخر وهو يوم الأبدية والخلود والجزاء والمسؤولية التامة على المكلف.
وان هذا اليوم حق لا ريب فيه، وأما وقته فليس معيناً كما يظهر من قوله صلى الله عليه وسلم: ((ما المسؤول عنها باعلم من السائل)) (رواه البخاري ومسلم في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه). نعم لمجيئه علامات صغيرة وكبيرة، ذكرها صلى الله عليه وسلم في أحاديث عديدة، مثل انتفاء وزوال صفة الأمانة في رعاية حقوق الله تعالي وحقوق الناس من القلوب، يعني أن المكلف لا يهتم بترك الواجبات، ولا بفعل المحرمات، ولا برعاية حقوق الناس عليه، فلا يبقى فرق عندهم بين الحلال والحرام.
ومنها زوال الثقة بين المسلمين من بعضهم ببعض وذلك لغلبة الفساد على قلوب الناس، فيظن كل بغيره مثل ما تعوَّده كما يقول الشاعر العربي: إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ^^^ وصدق ما يعتاده من توهم
ومنها زوال الحياء من المسلمين، والحياء صفة تمنع الإنسان عن مباشرة القول والعمل المخزي ديناً أو دنياً. قال صلى الله عليه وسلم: ((الحياء والإيمان في قَرَنٍ، فإذا ذهب أحدهما تبعه الآخر))، وقال: ((إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت)) (رواه البخاري وأبو داود وابن ماجه والطبراني واحمد بن حنبل). ومنها قلة علوم الدين الإسلامي، من العلم بالكتاب والسنة على الوجه الثابت عند السلف، وقلة علوم مقدماتهما من علوم النحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه والدين واللغة على ما ينبغي، فإن تلك العلوم من اللوازم المساوية للعلم بالكتاب والسنة، وإذا ارتفع اللازم ارتفع الملزوم، ومع قلة تلك العلوم وعلمائها يكثر قراء القرآن الكريم ولكن لا شعور لهم بالحقائق منها.
ومنها انقطاع رابطة الوحدة الإسلامية، وتفرق الناس إلى طوائف يكره بعضها البعض.
ومنها الشح المطاع، أي أن الناس يكثر فيهم صفة اللئامة والدناءة مع أن أصحابه يطيعون ذلك اللوم فيهم، أو أن الناس يطيعون اصحاب الشح لوجود المطامع الدنيوية في أيديهم.
ومنها الهوى المتبع، والهوى: ما جرى على النفس الأمارة من حب الشهوات والمطامع الدنيئة والأعمال الفاسدة.
ومنها إعجاب كل ذي رأي برأيه، لأنه لا إيمان لهم بالمبدأ الإسلامي فلا يبقى عندهم الا ما تهوى أنفسهم الأمارة بالسوء.
ومنها حب البقاء في الدنيا لاستيفاء الشهوات، وكراهية الموت وذلك من

لكنه لا يعلم الوقت أحد

حديث ((ما المسئوول)) من أعلى السند

<233>

طغيان المادة على المعنى، ومنها التوغُّل في المعاصي بأَصنافها.
يقول وتلك السيئات جلّها وغالبها بصورة الإعلان بين الناس لأنهم لا يؤمنون بالله حق الإيمان، ولا يخافون سلطان الوقت لأنهم مأمونون من جانبهم، فهم كهم ومنها البغي والعدوان على حقوق الناس والإتيان بالشيء المنكر المحرم عند الله من المباشرة والتعرض للأعراض.
ومنها عدم بقاء الاحترام في العائلة من طرف الأولاد والبنات لآبائهم وأمهاتهم، فتلد الأمهات بنات يتربين بتربية الأجانب فيتجاسرن علي أمهاتهن كأنهن سيدات لهن والأمهات خادمات.
ومنها التطاول والتزايد في الأبنية المؤسسة في البلاد من جماعة بدويين علموا بالترف في البلاد وكثرة المغريات فيها بدون لوم، فيأتون إليها ويبنون الأبنية العالية ويسكنونها المزيد الفسوق.
ومنها: هجمات من الجيل الخلف على الآباء السالفين بشبهة أنهم لم يعرفوا قيمة الحياة، ولم يعمِّروا الدنيا وليس لهم قابلية التقدم في ميدان الحضارة التي ليس عاقبتها إلا الخسارة فيتجاسرون ويجادلون مع جهلهم بالكتاب والسنة على الوجه الصحيح على أهل العلم بهما لضعف حالهم، أو أن أهل الجهل بالكتاب والسنة مع جهلهم بهما يحسبون أنهم عالمون بهما ويجعلون الكتاب والسنة مادة الاستدلال ومعارضة العلماء، مع أَنهم لا يعرفون الكتاب ولا السنة السنية وهذه الأمارات وجدناها في زماننا بلا شبهة، فلا شبهة في أن هذا الزمان قريب من الساعة، وأن المصائب التي توجد فيه من فتن آخر الزمان.
أعاذنا الله منها آمين.

أماراتها

نعم أمارات لها اشتهرت   وفي أحاديث الرسول ذكرت

دفع الأمانات من الانام   وقلة الرحم مع الأرحام

وارتفاع الثقة بين الوري   بعض لبعض مثلَ خائن يرى

دفع الحياء في نطاق الظاهر   أوضح الأعلام ليوم الآخر

قلة علم الدين والإسلام   مع كثرة القراء في الأنام

تفرق الأمة بالطوائف   تأييدُ كل فاسد مخالف

شحٌ مطاع وهوى متبع   آفاقُ دنيا لهما متسع

إعجاب أهل الرأي بالآراء   بلا استناد لسوى الأهواء

حبٌ لدنياً، كره موت قد ثبت   طغيان مادة على الحد بغت

وكثرة العصيان في العباد   دون الرجوع جهة الرشاد

من سيئاتٍ جلُّها الإفشاء   والبغي والمنكر والفحشاء

وتلد الام بناتٍ غاده   يأمرْنَهُنَّ طبقَ أمر الساده

تطاول البنيان في البلاد   من بدويين دون ما معتاد

وهجمات خَلَف على السلف   وطعنهم فيهم، فيا موج الأسفا

جدال أهل الجهل بالكتاب   والسنة السنية الصوابِ

مع أهل علم بهما بدون ما   خوف واعتبار شأن العلما

بغُي بني مسلكنا علينا[145]   ونسبة المفاسد إلينا

وليس داء في الوجود مثل ما   طبيبكم يخون مرضاكم بماء

<235>

---

[145] ومن الأمارات. بغي أهل مسلك الدين أسماً على رجال الدين وأهله، ونسبة المفاسد العقلية والعملية بدين الإسلام حقيقة، وتوغلهم في المغريات والشهوات، فصاروا كخلق الرجال المقدسين الذين ذكرهم الله تعالى بقوله الكريم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم/59).

وسرُّ ذلك اتباعهم لآداب الكفرة الأجانب وتقاليدهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((لتَتَّبِعنَّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه، قالوا: اليهودَ والنصارى ؟ قال: فمن ؟)) (رواه ابن ماجه وابن حنبل).

ولا سيما من هذه الفئة المنتسبون الى العلم والثقافة الاعتيادية الذين حذرنا عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: ((سيكون في آخر الزمان ديدان القراء، فمن أدرك منكم ذلك الزمان فليتعوذ بالله منهم)). وأما الأمارات الكبرى فكثيرة أيضاً، المشهور منها عشرة:

الأولى: نار تخرج من أرض اليمن، وتحرق الأرض نحو الشمال، وقد ظهرت فيما سبق من الزمان.

الثانية والثالثة والرابعة: خسوف واسعة أرضية، واحد في المغرب وقد ظهر أيضاً في بلد الأصنام من الجزائر، الثاني منها في جزيرة العرب، والثالث في المشرق كذلك.

وخامسها: خروج يأجوج ومأجوج أمة المغول تخرج من وطنها متوجهة نحو الهند وآسيا الوسطى وآسيا الشمالية فيفسدون في الأرض.

السادس: خروج دجال من أرض المشرق، وفي رواية تخرج من بلاد خراسان.

وسابعها: ظهور عجيبة تسمى دابةَ الأرض.

وثامنها: نزول سيدنا عيسى عليه السلام من موضعه من السماء إلى الارض عند منارة (اللّد) بدمشق الشام وتدل عليه الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾، وآية ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (النساء/ 159).

وتاسعها ظهور المهدي الموعود وقتاله ضد جيش الدجال وانتصاره عليهم وقتله للدجال بمعونة سيدنا عيسى، وفي هذه الأوان قتال المسلمين ضد اليهود والغلبة عليهم.

وعاشرها:طلوع الشمس من مغربها، والتفصيل في المطولات.

وغيرها مما يطول ذكره قد جاء في الصحاح حقاَ سطره
علائم كبرى لها مشهورة بين الورى وإنها مأثورة
نار من اليمن إذ تشتعل والناس منها للشمال يرحل
خسفٌ بمغرب، وخسف مشرق ، خسفُ جزيرةٍ بذين يلحق
وفتن كبرى من العقائد تُفسد عالـَما بدون عائد
خروجُ يأجوج من المغول يُهلك أهلَ العلم والعقول
خروج دجال من المشرق في أيام جهل الناس بالدين الوفي
بين يدي ساعتنا دجاجلة وكلها فتنةُ دارِ العاجلة
ودابة الأرضِ العجيبة التي يَعجب منها الناس عند الجيئة
نزول عيسى من سماءِ العالم ظهور مهديٍّ بعقل سالم
وقتله الدجال شر الناس بعون عيسي دون التباس
قتالنا معْ زمرة اليهود بجيشنا المنصور في الحدود
ثم طلوع الشمس من مغربها كوكبة من مغرب يأتي بها

إذ ذاكَ صارَ غلقَ بابِ التوبةِ   على العصاة مالهم من أوبة

وكل ذا من ممكنات الدهرِ   بيَّنها رسولُنا بالجهر

وكل ما ثبت منه حقٌّ   مصدق لمن هو المحق

حديث دجال روى البخاري[146]   تفصيله في الشرح فتحِ الباري

نزول عيسى في صحيح مسلم   بسند معتبر مسلم

ظهور مهدي أوانُ عيسي   له روايات تفيد أُنسا

لا تضطرب من اضطراب السند   فكم له من عاضد مؤيد

<237>

---

146) قول الناظم: حديث دجال في صحيح البخاري وشروحها لا سيما فتح الباري للحافظ العسقلاني وهو يشفى الصدور، وحديث نزول عيسي المسيح مروي في صحيح مسلم بسنده وظهور المهدي الموعود في أيام نزول عيسى، وخروج الدجال له روايات في كتب معتمدة، ولا تضطربوا من وجود الاضطراب والاختلاف في روايات تلك الأحاديث فإن القدر المشترك منها ثابت.

نقل السيد منصور على ناصف في التاج الجامع للأصول في كتاب الفتن عن المحدث الشهير (الشوكاني) ما يفيد أن هذه الوقائع إلى خروج الدجال ونزول عيسي وظهور المهدي وصل القدر المشترك منها حد التواتر ولا شبهة فيها.

ثم إن المحققين من المفسرين فسروا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ بأن نزول سيدنا عيسي من السماء إلى الأرض من أسباب اليقين بتحقق الساعة وقضيته مشهورة وهي: أن اليهود تآمروا لقتله وأخذوه فألقى الله تعالى شبهة على واحد منهم فقتلوه.

ورفع الله تعالى عبده سيدنا المسيح إلى السماء وسينزل في الوقت الموعود، وتدل عليه أحاديث حسنة منها ما في صحيح مسلم، ومنها ما في غيره، فراجع إن شئت الإطلاع على الحقيقة.

نقل في التاج عن الشوكاني	عبارة مريحة الجنان

تفيد هذه الثلاثُ كلها	تواترت معنىً وصح وصلها

عندك نص جملةٍ من آيةٍ	﴿وانه لعلم﴾ تلي ﴿للساعة﴾

معناه إنه نزول عيسي	علامةٌ للساعة لا يُنسي

وأَصله أن اليهود اتفقوا	على وجوب قتله ووافقوا

وعندما جاؤا به لصَلبه	رفعه الله لمأوي عيبه

وشبْهُهُ أُلقي على شخص دعا	لقتله وفي هلاكه سعي

فشبّه الأمر لهم وتاهوا	فصلبوه زعمَ أنه هو

وقد نجا عيسى أذى بلواه	ونعم من حفظه الإلهُ

وبعد ذلك اليهود حاروا	أين الذي بأمره القرار؟

وهذه الحادثة الرهيبة	حادثة نادرة عجيبة

وبعض أهل الاشتباه يستدل[147]	على وفاته بما عنه نقل

<238>

---

[147] قول الناظم: وبعض أهل الاشتباه. إيضاح لرد ما استدل به بعض على أن عيسى مات في الأرض ولم يرفعه حيا إلى السماء، بقوله تعالي: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران / 55)، ولم ينتبه أن التوفي بمعنى الأخذ والقبض لا بمعنى الإماتة، والمتوفِي والمستوفِي بصيغة اسم الفاعل بمعنى: الآخذ والقابِض لا بمعنى المميت واستعمال الوفاة بمعنى الموت عبارة أدبية تستعمل في الموت أدباً، وإلا لزم أن يموت كل حي في كل ليلة لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ (الأنعام/ 60). وهذه التوهمات ولو وجدت في الماضي لكن جددها بعض الناس الماشين في ركاب الأجانب بدعوى تخليص الدين من الأوهام والرجوع إلى الحقيقة، ولم يعلموا أنهم أنفسهم هم المتأخرون عن السير مع ركب الحق والمبتلون بالركض مع خيالة الدجاجلة، وإلا فالعدول عن ظاهر الآيات والأحاديث لا يناسب الاعتدال والعدالة الشرعية الإسلامية، وسيدنا عيسى ظهوره إلى الوجود بلا أب، وكلامه في المهد وزهده في الحياة، ونزول إنجيل عليه، وظهور المعجزات الهامة، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص به وغير ذلك أعجب من أن يرفعه الباري تعالي إلى السماء وإبقاؤه هناك وفي الجو أمور أصعبُ من ذلك، فلا تَمِل إلى كلام الغافلين المائلين إلى الضلال وكن من الثابتين المستقيمين على الحق والهدى.

جملة إني متوفي خبر ... وصدقه حق فموته ظهر

لكنه لم يك ذا انتباه ... وليس فيها حجة كماهي

إذ متوفيك بنص الآية ... تفسيره الأخذ بالعناية

ومثل ذاك صيغة المستوفِي ... تفسيرها القابض دون خلف

معني المميت جاء بالمجاز ... ودار بين أُمة الحجاز

إلاّ اقتضي مماةَ كل حيّ ... في كل ليلة الفراش الطيّ

﴿إذ يتوفيكم﴾ كلام القدس ... يليه: ﴿بالليل﴾ لكل إنِس

فانتبهوا يا أيها الطلاب ... إن العدوَّ كاذب جذاب

قد جاء في السنة والكتاب ... هداية الطرق الصواب

بقاء عيسى في السما الجميل ... من ممكن وغير مستحيل

وقد أتي في النص بالمعنى الجلي ... وفي الحديث للرسول الأفضلِ

لابد للإنسان من تفكر ... في الدين والدنيا مع التدبر

عيسى الذي مَثَلُه كآدم ... خلق خرق عادة في العالمَ

عيسى الذي وُلد من دون أبِ ... من مريم العذراءِ ذاتِ الأَدبِ

عيسي الذي يحكي ورا الولادة ... مبشرا أمه بالسعادة

وكلم الناس مع الجلالة ... وواصفاً نفسه بالرسالة

عيسى الذي قد أُوتي الكتابا	وحكمةٌ محكمة صوابا
وأوتي التوراة والإنجيلا	وكان عند ربه جليلا
ينفخ في الطين بشكل الطير	يطير في الجو بِحسن السيرِ
يحي بإذن ربه الأمواتا	إذ كانت الأرض لهم كفانا
ويبرئ الأكمه والأبرص من	عيب العمى وبرصٍ على البدن
ونزلت مائدةٌ من السما	على حواريه كما قد عُلما
وغيرها من خارقات ظهرت	لم تشتهر من عندنا أو شهرت
لا ينكر العاقل أن يرفعه	مولاه، من أهل الهوى يمنعه
أليس ربه العظيم قادراً	على صعوده السماء ظاهرا؟
فلا تميلوا نحو قول الجهلة	فإنهم من أدعياء السفلة
مادام نصٌ ظاهر قد وردا	والخبر الصادق ذاك أيّدا
لم يبق للعاقل دون ريب	الريب في ما جاءه من غيب
والريب إذ أتى بأي جانب	قد جاءنا من خدم الأجانب
لخلق الاشتباه في القرآن	وسنة الرسول ذي الإحسان
ختام تقريري الدُعا لكل مَن	يَخْدِمُ دينه بِلا أَذيً وَمَنّ

زلزلة الساعة

وعندما آن أوان الساعة[148]	ليس لها التأجيل لو بساعة

[148] قول الناظم: وعندما آن أوان الساعة. شروع في بيان فناء الدنيا وانتقال العالم العلوي والسفلي إلى شكل آخر، من فناء السماوات وانفطاراها، وانتشار الكواكب، وانخساف القمر، وانكساف الشمس، وانقلاع الجبال وصيرورتها كالهباء المنتشر في الجو، ونبدل الأرض غير الأرض، وسائر الأحوال الرهيبة التي تدهش العقول، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج/1-2).
وفي صحيح البخاري: رواية حدوثها بمفاجأةٍ حتى إن أصحاب الأشغال البسيطة لا يمكنهم إكمال عملهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ (النحل/77).
وهذه الأحوال كلها من النفخة الأولى التي ينفخها الملك المأمور بنفخ الصور، والصور علمه عند الله، وقد فسر بمادة كالقرن بيد إسرافيل فينفخ فيها، ولكن هذه الكلمات كلمات لطيفة تعليمية، والمقصود منها تفهيم العامة الذين لم يمارسوا حقائق العلوم ودقائقها، فكن في هذه الأشياء على البصيرة، وحول العلم بحقيقتها إلى الله تعالى فإن الله على كل شيء قدير.
وتُبرِز لك بعض هذه المعلومات آيات من آخر سورة الزمر من قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر/68) إلى آخر الآيات.
هدانا الله تعالى إلى الإيمان بواجب الوجود الحي القيوم القادر الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له: كن فيكون.

يأمر مأموراً لها على قدر   وأمر ساعةٍ كلمح البصر

<240>

ينفخ في الصور بالاستعجال   فيقع العالم في زلزال

زَلزلة الساعة شيء ذو خطر   وتُوقعُ الإنسان في حال السكر

وقد يُرى الناس بها سكارى   وينظرون في الهوا حيارى

<241>

يروي البخاري: ((ساعة القيام ... من موجبات الدهش للإنام))

فكاسب وحالب وتاجر ... من هول ذاك اليوم كل حائر

الشمس كورت، سماء انفطرت ... منها الكواكب اللآلي انتثرت

تبعثرت أجزاء ما في العالمِ ... بدون آثار ولا معالمِ

وتنسف الجبال كُلاًّ نسفا ... كأنهن العهن المفشَّي وَصْفا

تبدل الأرض بغير الأرض ... ليس بها أمت برفع خفض

يموت كل ذي حياة فيها ... من نفخة واحدة تكفيها

سوى الذي استثني بالمشيئة ... من هذه المصيبة المسيئة

و ﴿لمَنِ الملكُ﴾ سؤالُ الباري ... جوابه: ﴿للواحد القهار﴾

فما قدرنا الله حَق قدره ... في آخر الأمر ولا في صدره

كيفية الساعة للخبير ... ليس لنا المجال في التقرير

البعث بالنفخة الثانية

وبعد مدة[149] بأمر رَبّها ... يَنْفُخُ في الصور كما أَتي بها

بالنفخة الثانية العصيفة ... تبعث الأموات بلا كليفه

<242>

---

[149] قول الناظم: وبعد مدة. يعني أنه ثبت لنا في الدين أن العالم يتغير وينقلب إلى الدمار، والأحياء إلى الممات بالنفخة الأولى إلا مَن شاء الله بقاءه من الملائكة حملة العرش والمقربين أو غيرهم ممن أراد الله بقاءه، وبعد مدة يقال: إنها أربعون سنة على تحديدنا اليوم، يؤمر الملك المأمور بالنفخ في الصور ينفخ فيها، وبهذه الثانية تحيا الأموات كلهم أجمعون. قال تعالى: ﴿اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر / 68) إلى آخر سورة الزمر.
ونور ربها: نور وضياء يخلقه الباري لذلك الموعد، كنور ما بين الفجر والشروق من أصفى الأنوار، فسبحانه من ربٍّ عظيم الآثار، لا يعظم عليه شيء من الإحياء أو الدمار.

سواءٌ المكشوفُ والمستورُ إِذ كلهم في علمه مسطورُ

يسبح الأحياءُ في صوت نَدِي سبحان مَنْ بَعَثَنا في المرقدِ

اشرقت الارض بنور ربها مثلُ الصباح الصافي من غُيرٍ

وذلك المعاد للأَنام[150] بالروح والجسم وعقلٍ تامّ

<243>

---

[150] قول الناظم: وذلك المعاد، يعني أن بعث الأموات بالنفخة الثانية هو المعاد الجسماني الذي يجب على الإنسان الإيمان به، وذلك عود على ما كان عليه في الدنيا جسماً وروحاً وعقلاً، بل يكون القوى في الآخرة أقوى منها في الدنيا، لأن المكلف له الجزاء الكامل، وذلك مربوط بذلك الشخص كما كان.
وسواء كانت الأجزاء المعادة من أمثال الأجزاء في الدنيا لا عينها، أو كانت عينها، فالله قادر على جمعها وربطها، فإن الأجزاء ولو صارت تراباً أو أُحرقت وصارت دخاناً، أو أكل الإنسان السباع، وأجزاؤه تحولت إلى فضلات، فلا تخرج بذلك عن علم الله تعالي ولا عن قدرته، وفي الآيات الكريمة ما تدل على أنها نفس الأجزاء السابقة، ومنها ما يدل على أنها أمثالها، ولا يقدح شيء منها في تحقق المعاد، لأن الحي وإن كان ذا أجزاء لكنه في الحقيقة يعتمد على روحه وعقله وإحساسه، على أن الإنسان في حياته الدنيوية تتبدل أجزاء بدنه بالاستمرار الزمني ولا يقدح ذلك في الحكم ببقائه.
وآخر سورة يس يدل على أنها امثال ما كان، وآخر القيامة على أنها عينها، والكل ممكن ومسلم كما ذكرنا، وذكر العلامة الثاني السعد التفتازاني في شرح المقاصد ذلك.

على خلودٍ ليس فيه ريبُ مع وجودٍ ليس فيه عيب

ومثلَ ما بدأَهُ من عدمِ أعادَهُ بِدونِ أي أَلَمِ

يُعيده، بل ذلك العود يهون لأن مبني عوده كن فيكون

ببدء بعث الخلق من عُجْبِ الذنب كما يريد ربُّه بلا تعبْ

من عينِ الأجزاءِ التي كانت له أو مثلهِا، القرآنُ قد ذكره

آخِرُ ياسين على المثل أتي وفي القيامة بنفسٍ ثبتا

وهي ولو تغيرت لكنها خالقُها لأصلها حوُلَها

إذ لو علمنا أنها قد بُدِلَت إلى الهواء، أو لتربٍ حُولت

خالقها يقدر للإرجاع الى أصولِها بلا امتناع

ولو فَرضنا أنها أمثالُها فلا يعارض المَعادَ حالهُا

فإننا على مرور عمرنا لم تبق ما كان ببدءِ دهرِنا

ومَعَ ذا فالشخص باق شخصا معْ ما جرى زيادةً ونقصا

وقد يقال: إنَّ ذا الآلاءِ يصونُ عينَ تِلكُمُ الأَجزاءِ

مما هي الشروط للحياة والروحِ والعقلِ والادراكاتِ

السوق المحشر

من بعد بعث الثقلين[151] كُلاّ هل توجد الراحة، كَلاّ كَلاّ

بل يحشر الكل بأمر الخالق للموقف المعلوم للخلائق

---

[151] السوق المحشي

قول الناظم: من بعد بعث الثقلين. بيان أنه كما أن الإنسان في الدنيا قد يكون متنعماً وقد يكون معذباً بالأمراض والأعراض، وكما يكون في البرزخ متنعماً أو متعذباً كذلك بعد البعث قد يكون متنعماً إذا كان من الأنبياء والمرسلين أو من الصديقين أو الشهداء أو الصالحين، وقد يكون معذباً كأهل الكفر والفسوق والعصيان.

وعلى الجملة فأوضاع البعث والنشور أحوال عجيبة، وفيها أُمور مدهشة رهيبة، ولكن يجب العلم بأن الأنبياء والرسل وأهل التقوى يبقون في راحة وخير، حسب قوله تعالى: تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (فصلت/30). وحسب قوله تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (يونس/62).

والحاصل أنه بعد الإحياء يساق الكل إلى الموقف العام، ومع كل من غير من ذكرناهم سائق له إلى الموقف وشهيد يشهد عليه في أعماله، وإذا وصلوا إلى الموقف يبقون في زحمة ورهبة إلى وقت معلوم.

يُساق منهم القريب والبعيدْ ومع كلٍ سائقٌ مع الشهيدْ

برحمةٍ أو زحمة للموقف فيه ينادي العاصي: ياﻟَﻸَسف

يَبْقَوْن في الموقف بالتوالي[152] مدةَ ما أرادَ ذو الجلال

<245>

---

[152] قول الناظم: يبقون في الموقف. بيان أن المبعوثين يساقون إلى الموقف العام الذي لا يعلم حقيقته إلا الله، فيتعذبون بطول الوقوف في الموقف، فيتفكرون في التوسل بأهل الشفاعة، ويراجعون الرسل الكرام من سيدنا آدم إلى سيدنا محمد الخاتم، فيأبون عن الشفاعة ويعتذر كل منهم بمعذرة، ولما جاؤا إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم أجاب مأمولهم، وأخذ يسجد متضرعاً إلى الله وطالباً لقبول شفاعته لهم حتى ينادي من الله: أن ارفع رأسك وسل ولك ما تريد، (رواه البخاري ومسلم بإسناد صحيح واحمد بن حنبل وغيرهم)، فيطلب قبول شفاعته لخلاص الثقلين عن الموقف وإرسالهم إلى مقام الحساب، فينادي: سلْ يا محمد ربك الغَنيَّ ذا الرحمة والكرم تعط ما تريده، واشفع تقبل شفاعتك، فيبدأ بالحمد لله، على أبلغ وجه تام ويسأل ربه خلاص الناس عن الموقف، ويقبل ذلك من ذاته الكريم، فيؤمر بخروجهم خروجاً عاماً من الموقف الى الحساب والميزان.

ويفتح أبواب الشفاعة لكل نبيّ ورسول وصديق وشهيد وصالح من الذين هم معدودون من أصحاب الإيمان بالله ورسله وكتبه وسائر ما اعتبر من أركان الإيمان.

والشفاعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لخلاص بعض المستحقين للعذاب ومنه ولتخفيف عذاب بعض، ولرفع مستوى درجات بعض، كما أنه كان له الشفاعة الكبرى لجميع الأمة مطلقاً للخروج من الموقف الرهيب.

ولأهل السنة أدلةٌ على ثبوت الشفاعة للرسول صلى الله عليه وسلم منها قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (محمد / 19). والاستغفار للغير لاشك أنه شفاعة وهي مقبولة حسب أمره تعالى به، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء / 64). واستغفاره لهم شفاعة، ودعوى أنها تختص بأهل الحياة مردودة، لأن الشفاعة مطلقاً ناشئة من الروح والروح بعد أن خلقها الله تعالى خالدة أبدية، سواء كان الشخص في عالم الدنيا أو في عالم البرزخ أو في عالم الآخرة والقصر على الدنيا من قصور العقل والإيمان.

ومنها الآيات الكثيرة التي تفيد تقييد الشفاعة من الشفاعة بالإذن من الله تعالى، ولا مخالف لذلك، فإن أهل السنة اعتمدوا في الشفاعة من الرسول صلى الله عليه وسلم على صدور الإذن من الله تعالي. ومنها الأحاديث الكثيرة المروية الدالة على ثبوت الشفاعة له صلى الله عليه وسلم، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي)) (رواه أبو داود والبزار والطبراني وابن حبان في صحيحه والبيهقي). ومنها الأحاديث الواردة في شفاعة بعض كبار أمته للناس مثل شفاعة السبعين الفائزين لا يحاسبون لغيرهم من المسلمين، وعلى ذلك تحمل الآيات الدالة على عدمها أو عدم نفعها على الشفاعة للكافرين المحرومين، هذا مذهب أهل السنة كلهم أجمعين.

من عسرة الوقفة والبقاء ... وكثرة التعب والشقاء

بالجَهد يلتجون نحو الشفا ... من الذين قدْرهم ارتفعا

<246>

ويَصِلون باب الانبياءِ   والرسلِ الكرامِ للرجاءِ
يأبَون عن شفاعةِ الأَنامِ   من شدة الهيبة في المقام
وعند ذا يأتون نحو المصطفى   منبعِ الإحسان وجودٍ ووفا
رسولِنا المبعوث بالإحسان   والرحمةِ للجن والإنسان
محمد أحمدَ محمودِ الملك   صاحبِ معراجٍ لما فوق الفلك
يعِدهم بالبدء في الشفاعة   بكل الابتهال والضراعة
فيلتجي لله بالسجود   يدعو ويرجو حضرة المعبود
يُلهم بالدعاء مما يُقبل   يطلب عفو ربه ويسأل
فيستجيب اللهُ كلَ ما دعا   يأذْنُ بالشفاعة ليشفعا
أن ارفع الرأس من السجود   واشفع بهمةٍ لدى المعبود
سَلْ تُعْطَ واشفع تقبلِ الشفاعة   منك لمن تريد هذي الساعة

شفاعته صلى الله عليه وسلم

فيشفع الرسولُ عينُ الشرف   ليخلصوا من هول ذاك الموقف

فيُخلَصُ الكل من العذاب   وأُرسِلوا لموقف الحساب

لمن عصا وغار في العيوب   كذا العفو البعض عن ذنوب

كذا لترفيعِ مقامِ بعض   من أهل طاعةٍ بنفل فرض

فيُفتح الأبواب للشفاعة   لكل فاضل له استطاعة

من النبيين وصدّيقينا   والشهداء ثم الصالحين

من أي شخص محسن إلى الورى   يشفع كلهم لكل من يرى

واذن الرحمن في شفاعته   لقربِه من ربه بطاعته

تفصيلها لخيرنا دليل   في كتب يحلو به التطويل

أعظِمْ بجاه صاحب الشفاعة   في الموقف الرهيب تلك الساعة

هذا المقام المرتضى الرفيعُ   هذا المقام المنتقى الوسيع

مقامه المحمود عند الله   وسيلة له بعلو الجاه

وان أردت الكشف للستار   فانظر إلى صحيحنا البخاري

يارب شفّع صاحب الشفاعة   فينا، كما في هذه الجماعة

بجاهه وجاه باقي الرُّسُلِ   والأوليا والعلماء الكمَّل

فإننا من نقصنا في الطاعة   وكثرة الذنوب، ذو ضراعه

وزن الأعمال والحساب والمرور على الصراط

الوزن للأعمال حق منجلي[153] ثم حسابنا على المفصل

في ثابت السنة والكتاب محقق بدون إرتياب

<249>

---

[153] قول الناظم: الوزن للأعمال حق منجلي. تقرر عند أهل السنة وجوب الإيمان بالأدلة الواردة في نحو وزن الأعمال والسؤال والحساب، وكل ذلك من الممكنات التي أخبر بها الصادق، وظواهرها واضحة والعمل بها واجب. نورد في وزن الأعمال آيات، مثل: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ (الاعراف/8) وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (الانبياء/47)، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (القارعة/6-8).
وكذلك نزل في الحساب للأعمال آيات كثيرة مثل قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ » (الانشقاق/7-14).
وأما دعوى أن الوزن إنما يكون للمواد التي لها جرم والأعمال أعراض، أو أن الأعمال كثيرة، كيف تضبط ويحاسب عليها ؟ فمن السفاهة والجهل بقدرة الباري تعالي وشمول علمه، مع العلم أن الوزن له أنواع كثيرة، مثل ميزان الهواء في الحرارة والبرودة، وميزان ضغط الإنسان، وميزان درجات الأمراض، وليست محصورة في ميزان المواد السوقية، ولكن من لم يتفكر في الأنفس والآفاق لم يصل إلى العلم المفيد له إطلاقاً.
ثم إن احوال عالم الآخرة وعلوم أهلها، وكيفية الإثابة والعقاب ودوام أهل جهنم في الإحراق بالنار مع أن المواد تذوب بمقدار فوق الطاقة. وخلود أهل الجنة في الأكل والشرب والنعيم، وقابلية أملها لها، مما لا يدرك لنا عادة إلا بالإحالة إلى ربنا الحي القيوم فتبارك الله رب العالمين.

ثم مرور الناس بالصراط[154] امتد فوق النار بالرِّباط
مَن استحق النار يسقط فيها معذب في مدة يُلفيها
<250>

[154] قول الناظم: ثم مرور الناس إلى آخره: بيان لما وردت به الروايات الوافرة عنه صلى الله عليه وسلم أن في عالم الآخرة جسراً ممدوداً على متن جهنم، أي على ممر خاص عليها، يؤمر بمرور الناس عليها، وهو كما ورد جسر ممدود أدق من الشعر وأحد من السيف يعبره أهل الجنة، وتَزلّ فيه أقدام أهل النار.
ومن الناس من يفسر قوله تعالى: وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (المؤمنون/74). قوله تعالى: فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ، علاوة على ما تقرر من أن الكفار منحرفون عن الصراط المستقيم أي دين الإسلام بأن المراد: إن الكفار عن الصراط الممدود على متن جهنم ناكبون ومنحرفون، وزلت وتنزل أقدامهم فيقعون في نار جهنم.
وبالجملة إن وجود هذا الجسر وعبور الناس عليه، ونجاة أهل الطاعات عنها على وجوه مذكورة في الروايات، وسقوط أهل الكفر والمعاصي في جهنم حق ثابت، ومن أنكر ذلك، فإن كان معترفاً بالإسلام فلا حق له في الإنكار لأن الروايات منه صلى الله عليه وسلم وصلت الى درجة يجب الاعتماد عليها، وإن كان من غير أهله فلا كلام معه.
وأما استدلال المنكرين له من أهل الإسلام، بأن ذلك غير معقول فغير مقبول، لأنا نرى بالعيون أن الناس يشعلون القوة الكهربائية وينصبون عمودين حديديين في طرفي نهر كبير، كدجلة بغداد، ويمدّون سلكا حديدياً دقيقا ويصعدون المواد والأطنان منها إلى رأس العمود، ويعبرونها عليه إلى الطرف الآخر حيث شاؤا. فهل يعتبرون قدرة الباري عاجزة عن إمرار الناس على ذلك الجسر الدقيق في الآخرة ؟ سبحانك ثم سبحانك.
وقد ثبت أن بعض العابرين عليها يعبرون كالبرق الخاطف، أو كالريح الهابة بسلام كالشمال، أو كفارس الجواد على العادة، وتلك الروايات تعبير عن اختلاف درجات المارّين عليها، وذلك واضح عند من له إلمام بالأصول، يختص برحمته من يشاء.

ثم يُنَجّي اهلَ دين عنها ... ويستقر أهل كفر فيها

أُثبت بالنص من القرآنِ ... وسنةِ الرسول ذي الإحسانِ

نحن ذكرنا نبذة إجمالا ... تفصيلُ حال عنده تعالي

لكن ذا المرور للأخيارِ ... بما أتانا من هدى الأخبارِ

يسهل على المطيع بالإيمان ... وصالح الأعمال والوجدان

كالبرق كالشَّمال كالخَيّال ... كالمشي بالعادة واعتدال

ثم اتجاه المؤمن المسعودِ[155] ... لحوضه الموصوف بالمورود

<251>

---

[155] قول الناظم: ثم اتجاه المؤمن المسعود إلخ. بيان لما تقرر عندنا أنه بعد عبور المسلمين على الصراط يتوجه المسلمون إلى الحوض المورود وهو غير نهر الكوثر، او حوض الكوثر، لأن نهر الكوثر في داخل الجَنة، وإذا كان هناك حوض من ماء ذلك النهر فهو أيضا في الجنة، والحوض المورود قبل حوض الكوثر في مكان آخر، وروي عنه صلى الله عليه وسلم: ((حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه اكثر من نجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ ابدا)) والأحاديث فيه كثيرة.

لأنه ورودنا عليه ... من لطفه وكرمٍ لديه

كيزانه كثيرة كثيره ... ميزانه لعطره عبيره

من شرب الشربة منه سَلِما ... من عطش وبعدُ لا يأتي الظمأ

إلا للذة من الشراب ... يشربه للإنس بالأحباب

ثم يوجَّهون للجِنان ... أهل الهدي برتبة الميزان

أسبقهم أمة فخر العالم ... مع الرسول الخاتم المكرم

عند اقترابهم من الجِنان ... تأتي لهم رائحة الريحان

رائحةٌ تعم كل الشخص ... من أهلها من جِنةًّ ٍوإنسِ

فائحة فائقة على الشذي ... يا حبذا مشمها يا حبذا

معتقد الإسلام بالإيقان[156] ... بدون شبهة على الجَنان

<252>

---

[156] قول الناظم: معتقد الإسلام. إن معتقد المسلم هو أن الجنة والنار داران مخلوقتان الآن، وهما في العالم الموجود الآن وذلك لأدلة:
الأول: أنه ورد القرآن الكريم بإعدادهما وخلقهما مهيئتين لأصحابهما بصيغة الماضي، نحو: ﴿أعدت للمتقين﴾، ﴿وأعدت للكافرين﴾.
الثاني: قصة إسكان آدم وحواء في الجنة، وتلك حجة ظاهرة على العقول السليمة.
الثالث: ما ورد في الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم: ((سقف الجنة عرش الرحمن)).
الرابع: ما هو المستفاد من ذلك الحديث: أن الجنة فوق السماوات وتحت العرش.
الخامس: ما رواه البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم: ((أريت الجنة والنار من عرض الحائط)) فإن الظاهر أنه رآها بالعين، ولا يُرى في الرؤيا إلا الصور والأشباح، وعلى ضوئها ذهب المسلمون، إلى أنها هي التي سكن فيها سيدنا آدم.
وفي سورة آل عمران آية تدل على أن عرض الجنة كعرض السماوات والأرض، وبعد هذه الأدلة لا يجوز أن يميل الإنسان إلى أنّ تلك الجنة كانت حديقة واسعة في ارض أو جبلا من جبال الهند فإنها من الهفوات الباطلة، والقول المنسوب إلى الشيخ أبي منصور الماتريدي من أنها كانت حديقة في جبل همالايا قول زور ودس وافتراء عليه، ولا يجوز الاعتبار به قطعا.

بأن دار الجنة والنار ... موجودتان الآن باستقرار

جاء بنص الآية ﴿أُعِدَّت﴾ ... بصيغة الماضي، وقد أُقِرَّت

وهي كنصٍ بل هو المنصوص ... وجود دارين لنا مخصوص

وأمر ﴿اسكن انت﴾ دون منَه ... شاهد صدقٍ في وجود الجنة

حديث: سقف الجنة العرش جاء ... بأن مأواها رفيع وعليّ

بقوله في خطبةٍ: ((أُريتُ ... الجنةَ والنارَ)) اهتديت

إذ لايُري بالذات مالم يخلق ... إلا بصورة له، فَدَقِّقِ

فمذهب المسلم أن الجنة ... من تحت عرش الله دون مّنه

وهذه هي التي قد سكنا ... آدمُ فيها قبل أن يخلقنا

وهذه عقيدة اشتهرت ... أدلةُ الدين لها تظاهرت

في آل عمران أتتنا آية ... في سَعة الجنة بالعِناية

أن عرضها عرض السماء والأرض ... وهذه الآية نص مُرض

ولا تمِل لهفواتٍ هابطة	فإنها من غَلَطات ساقطه
ولا تميِل لدس قولٍ زور	نُسِبَ للشيخِ أبي منصور
بأنها حديقة في الأرض	في الهند أو في غيرها بالفرض
فكيف يأتي ذلك الإمام	بمذهب خالفه الأنام؟
قد أنزل الله من القرآن[157]	أحوالَ آدم بذي الجِنان

<254>

---

[157] قول الناظم: قد أنزل الله من القرآن. يعني أن الدليل على أن تلك الجنة التي سكن فيها آدم وحواء عليهما السلام في السماء، بل فوق السموات أمور:
الأول: أن الله تعالى أنزل في القرآن آيات تدل على أوصاف لا توجد في عالمنا، فإنه قال لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ (طه / 113-118) وأرض لها هذه الخواص ليست موجودة.

وإن قلت أن الصفات كانت موجودة في جنة آدم على الأرض بخرق العادة قلت: ما دام اعترفت بخرق العادة فإسكان آدم في الجنة فوق السماوات أيضا خرق العادة.
وإن قلت: لا يقبل العقل بقاء شخص مثل آدم مع زوجته اذا أهبطا من فوق السماوات إلى الأرض بل تتلاشى أعضاؤهما، قلت: الذي خلق آدم وحواء فوق السماوات هو الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها، وبسط الأرض على ماء ثابت، وهو الذي خلق المجموعة الشمسية من الأرض والقمر وعطارد وزهرة ومريخ والمشتري وزحل وجعلها على مدارات معيّنة وحركات مستديرة بأصول الجواذب الموجودة فيها وبينها، والذي خلق النجوم الكثيرة في السماء الدنيا، وخلق المجرة كحزامٍ صورة للجانب الأعلى بحيث تحير العقول، وزاد في حجم الشمس بقدرٍ يساوي مليون مرة مثل الأرض، وخلق الكوكب المشهور بالشعرى بحيث يزيد حجمه على الشمس قدر مليون مرة، كما أقر ذلك علماء الفلك في عصرنا - يقدر على خلق آدم وحواء في الجنة فوق السماوات، وإذا أراد أن يهبط بهما إلى الأرض يهبط بهما مع سلامة كل منهما كما ينزل رواد الفضاء من الأعلى إلى الأسفل بسلامة، فإن المواد السفلية والعلوية والجواذب العالية كلها مربوط بخلق الصانع القادر العليم.

ليست بما يُعتاد فوق الأرض   بطولها معْ انضمام العرض

جملة ﴿لا تجوع﴾ مع ﴿لاتعرى﴾   جملةُ ﴿لا تظمأ﴾ مع ﴿لاتضحي﴾

لا توجد عند العقول المالية   في روضة فوق جبال عالية

أين على الأرض أو الجبال   تلك الصفات عند ذي الكمال

وإن تقل تلك بخرق العاده   فجنة السما بها معتاده

وإن تقل ما في العقول ضابطة   نفسٌ من السماء تأتي هابطة

في كيلومترات يرى مطشرة   أجزاؤها على الفضا مَنشَّرة

قلت الذي خلقه فوق السماء   في الجنة كما رواه العلما

مَن رفع السماء من غير عمدْ   وبسط الأرض على ماءٍ جمدْ

وخلق المجموعة الشمسية   وخلق الملائك القدسية

وخلق الكواكب الرفيعة   تدور في دائرة وسيعة

مع الجواذب التي قد اختفت   واليومَ عند العلماءِ اكتُشِفَت

وأسْكَنَ الأرض مع السماء   في واسع واف من الفضاء

وقرر المجرّة المُحِّيرة   فجعلت عقولنا في حيرة

وزاد شمسَه على أرضٍ بما   يعادل المليون عند العلما

وجعل الشعرى تزيد شمسا   بمثل مليون، ويأبي نقصا

مقتدر لا ريب عند العلما   أن يهبط آدم من فوق السما

بدون نقصان وبدون عيب   يسكنه في الأرض دون ريبِ

ويجعل النار على الخليل[158]	كروضة في موطن جميل
ويجعل النيل ممر الجيل	مائة ألف نسل إسرائيل

<256>

---

[158] قول الناظم: ويجعل النار على الخليل. معناه ذلك الصانع العليم المريد القادر الذي فعل ما فعل في السموات والأرض هو الذي جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وجعل نهر النيل ممر جيل بني إسرائيل مثل السبيل في الصحارى والجبال، وعمل ما عمل بجيش فرعون وجيش أبرهة - قادر على أن يخلق عيسي كآدم بلا أب ويرفعه إلى السماء العالي، ويسري برسوله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم يصعد به من المسجد إلى ما فوق السماوات ثم إلى ما شاء الله من الدرجات ثم ينزله إلى محله من الأرض، وهو الذي يخلق الخوارق الكونية لأصحاب الصفاء من الأنبياء والأولياء والصالحين. والأرض والسماء والكرسي وعالم الإنس والجن وغيرها كذرة يتصرف فيها حسب إرادته.
وقد ثبت بالأدلة القاطعة أن الصانع عنده نواميس أي قواعد وقوانين عديدة يمتاز بعضها عن بعض ويقدر أن يتصرف في العالم كما يشاء.
نعم لكل أمة مضت أو هي موجودة الآن أفراد من العقلاء يعتبرون بالأمور المعتادة عندهم وينكرون ما عداها، والكلام معهم يكون بأن نقول لكل منهم: إن كنت تؤمن بالرسالات السماوية وبأحوال الرسل الكرام فمعجزاتهم كلها خارقة للعادة.
وإن كنت لا تعترف بها - والعياذ بالله - ولكن تعترف بأن العلوم لها قوة وسببية في بعض الأمور الغير المعتادة فاعلم أن باب العلم أوسع الأبواب ولا يستحسن بالعاقل أن ينكر كل ما خالف طبعه، كما لا يستحسن بكل ما وافق طبعه، فإن الطبع ليس حاكماً وافعياً والحاكم هو الدليل، وأكبر الأدلة ما ثبت به وجود الصانع الواجب الوجود القادر على كل ممكن من الممكنات: هذا والله هو الهادي الى سواء السبيل.

ويقصر الجيش الطويل المَيْلِ من أذنِه وأَنِفِه والذيلِ
ويجعل الإنسان دون درس أستاذ إرشاد لجن إنس
مقتدرٌ حقا على أن يرفعا عيسى المسيح للسماء واسعا
ويَصعد الرسول في المعراج إلى مقام العز وابتهاج
ويخلق الخوارق الكونية لأهل دين وصفاء النية
فالأرض والسماء والكرسيّ والعالم الإنسيّ والقدسيّ
كذرة تُري بلا حدود في اقتدارِ واجب الوجود
وهذه الأمور قد يبتعد عند عقولٍ في هواه يرقد
وذلكم من خَرَفِ الأوهامِ يُخْدع بها كل جهول عامي
إذ ليس فوقُ عند ذي الإمكان في الخفض والرفع من المكان
إلا فموضوع المعاد أكبر خارقةٍ يحتار فيه البشر
وذاك عند قدرة الخلاق كشعرة في أصبع الحَلاّق
ومن يرى بفكره الأمين كيفية الدورات بالتمكين
صبحاً مساءً ليلاً أو نهاراً دوران مجموعة جهارا
قال بقلب ولسان: ربنا زدنا علوم الغيب واكشف كربنا
لا تشتبه في وسعة الجِنان[159] تناسب الرحمةَ الرحمن

[159] قول الناظم: لا تشتبه إلى آخره، نصيحة للطالبين حول دفع بعض الأوهام الواردة، أين الجنة التي عرضها السموات والارض ؟ وأين جهنم ؟ وكيف تستقر هذه الأوضاع في القلوب ؟ وحاصل الدفع أن الإنسان الذي له حظ من العقل والشعور إذا نظر إلى هذه الآفاق الواسعة أمامه، وأن الله تعالى خلق سبع سماواتٍ طباقا، وزيَّنَ السماء الدنيا بمصابيح مختلفة في الأنوار كالشمس والقمر وسائر النجوم المدركة، وأن كلها في السماء الدنيا يعلم أن السماوات الست الباقية أعلى وأرفع وأوسع من هذه السماء الدنيا، وأن الجنة التي عرضها السماوات والأرض بحسب ظاهر الأحاديث الشريفة فوق السماوات وتحت العرش العالي، وأنها يكون أوسع من جميع ما دونه وتسع الخلائق كلها.
ومع ذلك فالجنة والسماوات وما عداهما بالنسبة إلى قدرة الباري وعلمه كذرة في الكائنات، وجهنم معها كذرةٍ مع ذرة ثانية، وهي مستقر الكفرة اللئام، وأن الجنة مأوى الأحباء الكرام، وكل ذلك ثبت برسالة الرسول الثابت صدقه بالأدلة القاطعة، منها ظهور المعجزات.
وأن الإيمان بوجودها سهل الإيمان بوجود كوكب واحد تراه العين السالمة لمن وفقه الله تعالى، ونسأل المولى أن يجعل قلوبنا أوسع من ذلك علما وأدباً مع الله رب العالمين، ومع الرسول المبعوث رحمة للعالمين، وما ذلك على الله بعزيز والحمد لله.

فالنار والجنة والسماء   والعرش والكرسي والفضاء

في قبضة القدرة مثل ذرة   أو كوكب منن جملة المجرَّه

كل كواكب الجهات العليا   زينة عالم السماء الدنيا

باقي السماوات وما والاه   لا يعلم حاله إلا الله

وموقع النار اللهيبة التي   تقابل الجنة دار الرحمة

في علم ربي في فضاء العالم   لأهل كفر الجن ثم الآدميّ

لكن ما في القرآن من حوار   من بين أهل الجنة والنار

يشهد أن النار في الفضاء   من عالم علا على السماء

فما قدَرْنا الله حق قدره   في عالم الخلق وباب أمره

<258>

الفرق بين عالم الدنيا وعالم الآخرة

وطبع أهل جنةٍ ونار[160]	خلق للخلود واستمرار
دارانِ للخلود لا فناءِ	أكرم بصنع الذات ذي البقاء

<259>

---

[160] قول الناظم: وطبع اهل جنة ونار إلى آخره. أيضاً تنبيه للمسلمين العقلاء على أن الإنسان يجب أن يعرف الفرق بين الدنيا والآخرة من وجوه كثيرة: منها أن الدنيا دار الفناء والوقت المحدود، وأن الآخرة دار البقاء ودار الخلود، ومنها أن القوة الحيوية الإنسانية في الدنيا ضعيفة غير كاملة، وأما في الآخرة فهي قوية كاملة، فالعلوم أوسع والطاقات أزيد، والأكل والشرب هناك ليس عليها أوساخ وفضلات، وإنما هي تُصْرف برشحات.
ومنها أن أهل الجنة والنار لهما قابلية التخاطب والتفاهم كل وقت يريدون التخاطب، كما في نص القرآن الكريم في نداء اهل الجنة أهال النار: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ (الاعراف/44).
والنداء من أهل النار الى أهل الجنة ((أن أفيضوا علينا من الماء)). وليعلم أن الجنة والنار خلقنا وأعدتا للجزاء على وفاق الاعتقاد، وأن المؤمن لو عاش أبداً بقى على الإيمان فجزاؤه الجنة أبداً، وأن الكافر لو عاش أبداً بقى على اعتقاده أبداً فجزاؤه يكون في جهنم مؤبداً، وكل ذلك مستفاد من نصوص القرآن ففيه نص: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (الانعام /28) ونص ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾(النبأ / 26) ونص: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف / 49) وأن أحكامه حكيمة، وهو أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف / 156).
ثم إن دار الدوام الأبدي عجيبة ليس لها من آخر محدّد، ولا انتهاء أبداً.
والارواح وإن كانت حادثة خلقها الله تعالى، لكنه خلقها للدوام الأبدي، وأن الروح لا تفنى ولا تموت، وإنما الحيّ يموت بانتقال الروح من جسده إلى مقامه المعين في العالم حسب علمه تعالي مع بقاء علاقتها بجسده كيف كان، واين كان كعلاقة الشمس بأشعتها وعلاقة الأشعة الشمس، فلا جرم أن القوة الجسدية في الجنة أو النار للروح الأبدية تكون أقوى مما كانت في عالم الدنيا بل ولا مناسبة بينهما إلا بالتباين.
وعقولنا لا تصل إلى حقيقة ذلك ولا عجب فإنه تعالى قال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(الإسراء / 85).
ومما علم من النصوص أن الجحيم لها سبعة أبواب وأن الجنان ثمانية: منها جنة النعيم وجنة الفردوس وجنة عدن وأن فيها كلها ما تشتهيه الأنفس الطيبة المباركة، وتلذُّ به الاعين العارية عن خائنة الأعين، وأن المشتهيات الدنيئة ليست في دار الجنة، ونصَّ القرآن الكريم على أن فيها أنهاراً من العسل والألبان، وفيها نهر كوثر، وأنهارا من خمر لذة للشاربين، طاهرة بريئة من الغول والتأثيم، لأن جنة الله تعالي مقام الرحمة للأمة، رزقنا الله من سكناها ونسماتها ولذاتها الروحية والجسمية، ومن لقاء ذاته بفضله وكرمه إنه أرحم الراحمين.

داران للجزاءِ بالوفاق لنشر عدله على الطِّباق

يؤمن لو عاش الأمين أبدا يكفر لو عاش الكفور سَرْمَدا

فلهما الجزا كالاعتقاد والله علاّمٌ على العبادِ

لا ظلم لا عذر بقدر ذره وحكمُهُ عدل بلا معرَّهْ

عجيبة دار الدوام الأبدي ليس لها من آخر محدَّدْ

ولا يحيط علمنا بذالكا ولا بأحوال لنا هنالكا

<260>

قوةُ أهلها قوى الخلود ... لا قوةٌ الزمن محدود
والعقل والحواس والشعور ... كاملة ليس لها فتور
ودركات النار سبع اشتهر ... مأمورها في النص تسعة عشر
وطبقات الجنة ثمانية ... لذاتها باقية لا فانية
منها نعيمٌ جنةُ الفردوس ... جنة عدن لخيار الإنس
خيراتها أزيد مما يحصي ... أكلها فازت بحدٍّ أقصى
فيها جميع المشتهى للنفس ... لذةَ روح مع عقل حسِ
لباسنا من سندس واستبرقِ ... أنْعَمُ من حريرِ نسج المشرق
فيها حدائق ک ذا أنهار ... وهي تجري تحتها أنهار
كنهر كوثر صفاءِ القالب ... أنهار خمرِ لذة للشارب
وهي طهور لا كمثل ما هنا ... هنا بها الغَول هنالك الهَنا
كذاك انهار من الألبان ... وعسلٍ صافٍ على اللسان
لا لغو لا تأثيم فيها أبدا ... ولا صداع لرؤوسنا بدا
إذ جنة الله مقام الرحمة ... وليس فيها نقطة من زحمه
أما ميولٌ للخنا والفحشا ... فلا تكون فيها حاشا حاشا
طباع أهل الجنة شريفة[161] ... ليس بها من خصلة كثيفة

<261>

---

[161] قول الناظم: طباع أهل الجنة. بيان أن أهل الجنة في طبيعة الملائكة من العصمة والكرامة وليس فيها خصلة دنيئة رجالاً أو نساء، وكما أن المسلمين يتلذذون كذلك النساء يتلذذن، وان المسلمات يتبدلن صورة وسيرة جمالا وكمالاً وأخلاقاً وهن المسميات بالحور العين، ومن لها زوج واحد من أهل الدنيا أي أنها تزوجت بشخص فقط فهي حور تعود إليه، ومن تزوجت بأزواج وفارقتهم بالطلاق أو الوفاة فظاهر الآثار تدل على انها تعود لآخرهم، ومن لم تتزوج فهي تعود إلى من اختارها له على الألفة والوداد، والمجموع في نعيم مقيم، وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

إن النساءَ المسلمات فينا … يصرن في الجنة حوراً عينا

أزواجهن من رجال بررة … وهن زوجات لهم مطهره

من دنس الخُلّقِ الذميم القاسي … من دنس الحيض ومن نفاس

من غيرهن الحور في الجِنان … مخلوقة بقدرة المنان

خلاصة الكلام دار الجنة … دار الوداد والوفا والحِنّه

دار بها الرحمة والصفاءُ … ليست كدارٍ شأنها الجفاءُ

قواعدها ليست كعالمنا

دار البقاء عالم البقاء[162] … بعيدة عن أوجه الشقاء

كيف يكون عالم الآلاء … كعالم المحنة والبلاء

فيها نواميس بالاختصاص … ليست هنا للجن أو للناس

<262>

---

[162] قول الناظم: دار البقاء عالم البقاء. معناه ان دار البقاء ليس عالم التكليف، لأنه عالم الثواب والتشريف وليس عالم المحنة والمرض والأذى والأسف، وكل ما لا يستحسنه الطبيعة البشرية من الوساوس والقلق النفسي، ووجع الأعصاب ونحوها، فإنها عالم السعادة الصافية الأبدية، وقواعدها غير قواعد عالم الدنيا، وليس فيها الحرمان مما يتمناه الإنسان، بل كل ما جاء على خياله فهو حاضر عنده. وإحساس باصرته يعم ما شاء، وإبلاغ صوته ممكن لأي جانب أراد، وله قابلية السير في العالم كالبرق الخاطف، ومن ذلك نشأ ما في القرآن الكريم من الحوار بين أهل الجنة وأهل النار، وان رئيس الملائكة المأمورين في الجنة اسمه الرضوان، كما أن رئيس مأموري جهنم اسمه «مالك».
حفظنا من مالك وزبانيتهِ، ووهبنا النعم من الرضوان وملائكته، أي المأمورين عنده، مما عينه الله تعالي له، آمين.

في عالم الجنة كل فائدة ... مخلوقة لمن أراد عائده

إبلاغ صوتٍ دَوْنُهُ لما ورا ... والسير كالبرق بإشراق يُري

في الأرض في الهواء في الأثير ... في عالم الجَنة ذو تيسير

منها لأهل جنة الرحمن ... ما شاء من شاء على العيان

من ذاك في القرآن نصا جاري ... حوار أهل جنة ونار

اقرأ ﴿ونادَوا﴾ بعده ﴿يا مالك﴾ ... نداءُ ناريٍ بنارٍ هالكّ

ومالك الرئيسُ للزبانية ... على عذاب صاحب الأنانية

﴿رضوانُ﴾ في الجنة آمر على ... ملائك الجنة قد اشتهرا

جاء ﴿ونادي﴾ في خطاب المؤمن ... لكافرٍ في النار جوَّ المحن

ليست نواميس لدار الآخرة ... دار الخلود وخصال فاخره

مثل نواميس جهات الدنيا ... فهذه السفلي وذيك العليا

رؤية المؤمنين لله تعالي في الجنة

وفوق ذاك كله إحسانا[163] رؤيتنا لربنا عيانا

يعني وجوه يوم ذاك ناضره إلى جمال الرب عيناً ناظره

<264>

(163

يستغرق الشخص تجلي كرمه   ينال أعلى نعمةٍ من نعمه

وهذه ﴿زيادة﴾ نلقاها   يقرؤها في النص من قراها

أي ﴿للذين احسنوا الحسني﴾   ﴿زيادة﴾ كرؤية لذات حق

ينالْ أهلُ الجنة بنعمة   رؤيته فضلاً لهم ورحمه

ذاك تجلٍّ منه بالإحسان   ختام مسك جاء للإنسان

فنسأل الله العظيم المنّه   ختام أمري باللقا في الجنة

والحمد لله على ما قد هدى   شخصي إلى شفائه من كل دا

بنظمه (جواهر الكلام)   في اعتقاد أُمة الإسلام

ثم صلاة الله معْ سلام   على محمدٍ هدى الأنام

((الرحمة المهداة)) بالإكرام   للعالمين الكل بالتمام

والأنبيا والآل والأصحاب   والتابعين منهجَ الصواب

ما بقي الممكن ذا وجود   منوّرا بواجب الوجود

وبهدى رسالة الرسول   محمد وسيلة الوصول

ليستفيد القلب بالإسلام   مستبشراً بالحسن للختام

قول الناظم: وفوق ذلك كله إحسانا. بيان لصفوة النعيم في الجنة وأعلى اللذات الروحية لأهلها، وهو رؤيتهم لذات الباري تعالى على ما يعلمه هو، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة / 22) وقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس / 26) وفسرت الزيادة برؤيته تعالى، لأنها نعمة زائدة علي سائر النعم، وزائدة على الاستحقاق، وإن كان أصل دخول الجنة أيضاً بفضله ورحمته، وزائدة على الاستحقاق، لكنها زائدة على الزائد كما يقال: نور على نور.
والعقل قاصر عن بيان قليل من هذه اللذة الجليلة، فالروح والقلب وجميع أجزاء الجسد يمتلئ من روح وريحان، وفوحة النشاط والسعادة في تلك الأوان، رزقنا الله تعالى هذه النعمة في ظلال بركات حضرة سيد المرسلين صلي الله عليه وسلم وعلى جميع إخوانه الكرام وأمته الأصفياء والأولياء الصالحين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.
الحمد لله الذي وفقني على إتمام منظومة (جواهر الكلام) في اعتقاد أمة الاسلام مصادفاً ليلة الاثنين الثاني والعشرين من جمادي الآخرة سنة ألف واربعمأة واحدى عشرة من هجرة الرسول الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم.
موافقة لليوم السابع من كانون الثاني سنة ألف وتسعمائة واحدي وتسعين ميلادية. على الهاجر المسعود والمسيح المولود وإخوانهما الأنبياء والرسل الكرام أفضل الصلاة والسلام، وذلك في غرفة المدرسة الملاصقة للمنارة الشمالية من جامع حضرة سلطان الأولياء الكاملين وقطب العارفين سيدنا حضرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني ببغداد، حرسها الله تعالي عن الفساد والإفساد بجاه سيد العباد صلى الله عليه وسلم، وأنا الفقير الخادم لتدريس العلوم الدينية فيها المدعو عبدالكريم محمد المدرس الكردي من محافظة السليمانية المنتمي الى عشيرة (القاضي) الساكنة في ناحية السيد صادق المعروفة بناحية شهرزور، غفر الله تعالي لي ولهم ولسائر المسلمين آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

22 جمادي الثانية 1411 ه 7/1/1991 م

وقد أعانني فضيلة السيد الملا عمر عبدالله محمد بكتابة نسخة واعدادها للطبع غفر الله تعالى له ولوالديه ولسائر المسلمين برحمته، إنه أرحم الراحمين، وأنا المؤلف الناظم والشارح للمنظومة الخادم للعلم والدين في مدرسة سيدنا حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني نور الله روحه ونفعنا ببركاته آمين

عبدالكريم المدرس
10/10/1992

فهرس الكتاب